آثار وتاريخ

الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي

٥٦٤-٦٤٨ هـ/١١٦٥- ١٢٥٠م

إعداد

مها أحمد علي الداغش

المشرف

الأستاذ الدكتور صفوان خلف التل

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الآثـــــــــــــار

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان ٢٠٠٢

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٥/٤/٢٠٠٢ وأجيزت .

أعضاء اللجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور صفوان التل (رئيساً ومشرفاً)	....
الأستاذ الدكتور صبري كريم العبادي (عضـــواً)	....
الدكتور أسامة عبد اللطيف أبو قورة (عضـــواً)	....
الدكتور محمـــــد مفلـــــــح حتاملة (عضـــواً)	....

الإهداء

إلى زهرة المدائن

التي عيوننا إليها ترحل كل يوم

إلى أرض الأنبياء، محج الأولياء

أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى الرسول

القدس

وإلى القائد الذي جمع الصفوف ووحد الكلمة من أجل تحرير المدينة المقدسة من الغزو الفرنجي

السلطان صلاح الدين الأيوبي

أهدي هذا الجهد المتواضع

شكـر وتقديـر

بسم الله والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وأحمد الله حمداً كثيراً على ما وهبني من قدرة لاكمال هذا الجهد ، وأتوجة بالشكر لوالدي ، قال تعـالى "***ان أشكر لـي ولوالـديك***" والذين لم أنسَ فضلهما عليّ ما حييت ٠

كما وأتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان الى أستاذي الفاضل ***عطوفة الدكتور صفوان التل مدير عام الاعتماد في وزارة التعليم العالي*** ، لدعمه المستمر والمتواصل منذ ان اقترح عليّ موضوع الدراسة ، وتزويدي بالمراجع الهامة والنادرة ، وقد أعطاني الكثير من وقتـه الثمين ، وفتح لي باب مكتبه في عمله الجاد لخدمة الوطن والمواطن ، فكان نعم المشـرف ، وله مني وافر الشكر وعظيم التقدير ٠

وأتوجه بالشكر الى أعضاء لجنة المناقشة لما بذلوه من جهود فـي قـراءة وتـدقيق الرسالة ، وستكون ملاحظاتهم لها اكبر الأثر في إثراء الرسالة وهم الأستاذ ***الدكتور صـبري***

العبـادي أستاذ النقوش السامية القديمة في قسم الآثار في الجامعة الأردنية ، والذي أقدر فيه علمه الواسع الذي لم يبخل به على كل طالباً للعلم ، فله مني موفور التقدير والاحترام لما بذله من جهود ونصائح لطالما استنرت بها في مرحلتي البكالوريوس والماجستير ، ***والـدكتور أسامة أبو قورة*** ، أستاذ الدراسات العبرية والتوراتية في قسم الآثار بالجامعة الأردنية لما يبديه من حسن التعامل والتعاون ٠
والشكر الجزيل ***للدكتور محمد الحتاملة*** أستاذ الآثار الإسلامية في معهد الآثار والانثروبولوجيا في جامعة اليرموك لتفضله بالموافقة على المناقشة ، ولملاحظته القيمة التي أبداها ٠

ولا يفوتني أن أتقدم لأخواني جميعاً ***(علي ، عمر ، محمد ، موسى ، عيسى)*** لوقوفهم الى جانبي طيلة فترة دراستي في المرحلتين الجامعتين ٠

وجزيل الشكر لقسم الآثار بالجامعة الأردنية وأخص بالذكر المدرسة **رنده قاقيش** لما تبذلة من جهد وعطاء متميز ، كما وأشكر القائمين على وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ، وتزويدي بالوثائق الهامة التي تخص الدراسة وأخص بالذكر السيد شوكت الجعفري ٠

وأتوجه بالشكر الى المركز الأمريكي للدراسات والأبحاث الشرقية ممثلاً بالسيد بيير بقاعي مدير المركز ، والسيدة هومي الأيوبي مديرة مكتبة المركز ٠
والشكر الجزيل الى الزملاء والزميلات في قسم الآثار بالجامعة الأردنية وأخص بالذكر أختي وصديقة دربي هديل الربيع ، نهى المبيضين ، أديب السلامين ، سعد الطويسي ، دانية البدارنة ، إيمان مرزوق ٠

وجزيل الشكر لكل من معزوزه الزيتاوي ، لتوضيح ووضع البنود الأساسية لدراسة التاريخ ، وهناء ابو الرب ، لقراءتها اللغوية لجزء من الرسالة ، والمهندسة دينا لتسهيل وتوضيح دراسة العمارة وعناصرها ، ولا يفوتني شكر صديقتي من الجزائر الشقيق " نجاة " لما قدمته من نصائح وتشجيع ٠

كما وأتوجه بالشكر الى موظفي مكتبة الجامعة الأردنية وأخص بالذكر الآنسة فداء الزعبي ، لما قدمته من تعاون سخي ، وشكر خاص الى الصديقة لينا داوود ٠

والمعذرة ممن لم يرد ذكر اسمه حتى لو قدم كلمة تشجيع بسيطة ٠



فهرس المحتويات

فهرس الخرائط

فهرس اللوحات

فهرس الأشكال

ملخص

آثار وتاريخ الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي ٥٦٤-٦٤٨هـ/١١٦٥-١٢٥٠م

إعداد

مها أحمد الداغش

المشرف

الأستاذ الدكتور صفوان التل

تناولت هذه الدراسة موضوع الحرم القدسي الشريف في القدس خلال العصر الأيوبي ٥٦٤-٦٤٨هـ /١١٦٥-١٢٥٠ م ، دراسة تاريخية - أثرية ، فالدراسة التاريخية تمثل التطرق الى تاريخ الحرم الشريف خلال هذا العصر ، والحرم الشريف جزء لا يتجزأ من مدينة القدس ، لذلك فقد مثل الجزء التاريخي من هذه الدراسة الحديث عن بيت المقدس (مدينة القدس) وذلك من خلال أهمية موقعها الجغرافي ، ومكانتها الهامة عند المسلمين ، ثم الفترات الاسلامية التي شهدتها المدينة ، وتعرضها للغزو الفرنجي ، والدور القيادي الذي لعبه الايوبيون في تخليصها من هذا الغزو ، أما الدراسة الاثرية فقد تم من خلالها دراسة الاثار الايوبية الثابتة والمنقولة في داخل اسوار الحرم الشريف ٠

اشتملت هذه الدراسة بعد المقدمة على أربعة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول منها الحديث عن مدينة القدس الاسلامية ، من حيث اهميتها عند المسلمين ، ثم الفترات الاسلامية التي شهدتها المدينة ابتداء من ١٥هـ /٦٣٦ م ، بالاضافة الى ذكر موقع وحدود المدينة ٠ أما الفصل الثاني فقد اشتمل على تعرض المدينة المقدسة للغزو الفرنجي وتأسيس مملكة اللاتين فيها ، ثم دور الايوبين بقيادة صلاح الدين الايوبي في تخليص المدينة من هذا الغزو ٠ أما الفصل الثالث فقد سلط الضوء على الآثار المخلفات الأيوبية الحضارية في الحرم القدسي الشريف بشقيها الثابتة والمنقولة ٠ وفي الفصل الرابع تم الحديث عن مميزات العمائر والزخارف الايوبية في الحرم الشريف ، إذ جاءت هذه المميزات والخصائص جزء لا يتجزأ من الخصائص المعمارية والزخرفية للعمارة والفنون الإسلامية ٠

وانتهت هذه الرسالة بخاتمة تضمنت على ما توصلت إليه هذه الدراسة من استنتاجات حـــول مضمون الرسالة وقائمة بالمصادر والمراجع العربية، والمراجع الإنجليزية، بالإضـــافة الـــى الملاحق التي تضمنت الخرائط واللوحات والأشكال.

آثار وتاريخ

الملاحق

الملاحــــــــــــق

الملحق (١) الخرائط

الملحق (٢) اللوحات

الملحق (٣) الأشكال

الملحق (١)

الخرائط

إعداد

مها أحمد علي الداغش

المشرف

الأستاذ الدكتور صفوان خلف التل

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

الآثـــــــــــــــار

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان ٢٠٠٢

ملحق (٤)
الأشكال

اللوحات

الملحق (٣)

الأشكال

" وأما القدس فهو لنا كما هو لكم ٠ وهو أعظم عندنا مما هو عندكم ، فأنه مسرى نبينا ومجتمع الناس يوم الحشر فلا تتصوروا أننا ننزل عنه " ، (ابن شداد ، ١٩٩٤) ٠

هذه عبارة قالها السلطان صلاح الدين الأيوبي في رده على ريتشارد قلب الأسد زعيم الحملة الفرنجية الثالثة ، عندما فاوض السلطان بتسليم المدينة للفرنجة ٠

الملاحـــــــق

ملحق (١) الخرائط

ملحق (٢) المخططات

ملحق (٣) اللوحات

ملحق (٤) الاشكال

مقدمة

تمتعت مدينة القدس بمكانة عظيمة وجليلة منذ أقدم العصور، فهي ارض الديانات السماوية الثلاث، وعنت الكثير للمسلمين، إذ أنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، والتي نزل فيها قوله جل وعلا "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير".(سورة الاسراء الاية "١")

تعرضت المدينة خلال القرن الاول الميلادي لعدة أحداث كتدميرها على يد الامبراطور الروماني (تيطس) سنة ٧٠م، ثم شهدت الصراع الروماني المسيحي وإعلان الديانة المسيحية وقيام الدولة البيزنطية التي انتهت أبان الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب سنة ١٥هـ/٦٣٦م، ومنذ ذلك التاريخ احتلت المدينة مكانة هامة في نفوس المسلمين، وخلال العصور الوسطى تعرضت للحملة الفرنجية الأولى، والتي أدت إلى سقوط المدينة المقدسة أمام هذا الغزو سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وتم اعلانها عاصمة لمملكة اللاتين، لكن روح البطولة والشجاعة لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي جعلته، يعيد المدينة إلى ديار الإسلام والمسلمين فتمكن من دخولها وطرد الإفرنج منها بعد القضاء عليهم في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م.

لقد هدفت هذه الدراسة إلى البحث في الآثار الأيوبية في الحرم القدسي الشريف، إذ كثرت المخلفات الأثرية الممثلة للعصر الأيوبي في المدينة بشكل عام، وفي الحرم الشريف بشكل خاص، وقد ارتأيت أن دراسة الآثار وحدها لا تكفي، بل يجب الوقوف على الأحداث والظروف التاريخية التي أدت إلى بروز نجم الأيوبيين، وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين، وقد تطلب مني ذلك الرجوع إلى المصادر المعاصرة لهذه الأحداث خلال هذه الحقبة، لأنها تمثل صفحة مشرقة ومشرفة من التاريخ العربي الإسلامي الحافل بالثبات والشجاعة.

لقد ترك الأيوبيون بصماتهم الواضحة في المدينة المقدسة، وفي الحرم الشريف بشكل خاص على الرغم من أن الأيوبيين لم يغالوا بالنواحي التجميلية في الفنون والعمارة وذلك عائد إلى الظروف السائدة وما تبعها من تصدي للحملات الفرنجية اللاحقة، إلا أنهم أرادوا أن يعيدوا طابع المدينة الإسلامي الذي تغيب عنها مدة ثماني وثمانين سنة، فقد جلب المنبر الذي أعد خصيصاً للمدينة بمناسبة فتحها ليكون رمزاً للانتصار والتصدي، ونظف المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة بماء الورد، ثم حددت العمائر المتمثلة بتجديد الأروقة والمداخل والمساجد والمصليات وغيرها.

تكمن أهمية الدراسة في بيان أهمية التاريخ الأيوبي إلى جانب الآثار والفنون الأيوبية، إذا أن الأيوبيين قد جاء ترتيب حقبتهم الزمنية تاليةً للعصر الفاطمي؛ وسابقة للعصر المملوكي، وكلا هذين العصرين لعبا دوراً بارزاً في الفنون والعمارة الإسلامية، وبقيت الفنون الأيوبية على الهامش، والتي لم تحظ باهتمام علماء الآثار والفنون؛ وذلك لأنها اتسمت بالبساطة وعدم المبالغة، التي فرضتها عليها الظروف.

لقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، حيث تناول الفصل الأول الحديث عن مدينة القدس الاسلامية ، وتم الحديث عن الموقع الجغرافي والحدود ، ثم مكانتها العظيمة في نفوس المسلمين ، هذا وقد تم الحديث بنبذة عن المدينة منذ ان بزغ فيها فجر الاسلام منذ ١٥ هـ / ٦٣٦ م ، وانتهت هذه النبذة بوقوع المدينة في أيدي الفرنجة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.

اشتمل الفصل الثاني على دراسة للظروف التاريخية التي سادت الوطن العربي في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وما شهدته من تشتت أدى إلى ضعف الدولة الاسلامية آنذاك، وتحقيق الحملة الفرنجية الأولى هدفها؛ وهو احتلال بيت المقدس وتأسيس مملكة اللاتين فيها.

كما تناول هذا الفصل الجهود التي قامت ضد الفرنجة في بلاد الشام، وبيت المقدس بشكل خاص، إذ بدأت هذه الجهود بقيادة عماد الدين زنكي ثم خليفته ابنه نور الدين زنكي، إذ شكلا جبهات في بلاد الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية، تمكنا خلالها من تقليص النفوذ الفرنجي في بلاد الشام.

كما تضمن هذا الفصل نشأة الأيوبيين؛ إذ ان أهميتهم بدأت مع صلاح الدين الذي رافق عمه شيركوه في هجماته مع نور الدين ضد الإفرنج. وهذا ما أكسب صلاح الدين الخبرة الكافية في الأمور السياسية والقتال.

كما تناول هذا الفصل الدور القيادي والحضاري الذي لعبته الدولة الأيوبية في ظل قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ كون دولة واسعة مترامية الأطراف امتدت من ليبيا غرباً وحتى الموصل شرقاً، ومن أرمينيا في الشمال حتى شبه الجزيرة العربية في الجنوب. إذ استطاع أن يجمع الصفوف في هذه الأقاليم ويوحد الكلمة فحشد الجيوش المسلمة في شمال الأردن قرب بحرية طبرية، وتمكن من هزيمة الإفرنج وكسر شوكتهم في معركة حطين الشهيرة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وتابع المسير إلى القدس ليدخلها فاتحاً ومحرراً من ربقة الاحتلال الفرنجي، وبهذا تكللت جهوده وجهود أسلافه من قبله بتخليص بيت المقدس من هذا الاحتلال.

وركز الفصل الثالث على دراسة المخلفات الأثرية داخل أسوار الحرم القدسي الشريف، من خلال تقديم ووصف ودراسة للعمارة واستعراض أنواعها وإرفاق الصور والمخططات المتوفرة التي تعود لهذا العصر، فقد خلفوا لنا المباني الدينية المتمثلة بالجوامع والزوايا والمدارس، ومباني الخدمات كالسبل، والميضآت، وصهاريج المياه، والمباني التذكارية،كما أنشئت القباب في ساحة الحرم الشريف كمباني تذكارية، هذا بالإضافة إلى تجديد وإعمار البوابات وتزيينها بالحلي الزخرفية.

كما اشتمل هذا الفصل على دراسة للآثار المنقولة ودراستها دراسة وصفية، وتحليل عناصرها، والمتمثلة بالقطع الخشبية (منبر نور الدين) والذي أمر بصنعه نور الدين زنكي خصيصاً للمسجد الأقصى ليوضع فيه بعد أن يتم تحرير المدينة، فعمل السلطان على تحقيق رغبة سيده هذه وأحضر المنبر بعد الفتح مباشرة. والقطع الرخامية التي كسيت بها رقبة القبة (قبة الصخرة المشرفة)، ومحراب المسجد الأقصى الذي أمر بترخيمه السلطان صلاح الدين الأيوبي والقبة الخشبية الداخلية لقبة الصخرة التي أضيفت خلال هذه الفترة .

وتناول الفصل الرابع خصائص ومميزات الآثار الأيوبية في الحرم القدسي الشريف، والتي بدورها كانت متأثرة بالأنماط والأساليب الفاطمية سواءً في العمارة أو في الزخارف، والتي بدورها تشكل فناً معمارياً وزخرفياً يصب في قالب الفنون الإسلامية.

وانتهت الدراسة بخاتمة تبرز النتائج التي توصلت إليها، بالإضافة إلى إلحاق قائمتين بالمصادر والمراجع العربية والإنجليزية، وملخص، وإثراء الرسالة باللوحات والأشكال.

وبعد، فإني أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة وقدمت الشيء الجديد عن هذه الحقبة الهامة التي شهدتها مدينة القدس، من خلال دمج علمي التاريخ والآثار اللذين مثلا هذه الحقبة الهامة.

فأرجو من الله تعالى أن يوفقني في هذه الدراسة، فهذا حمد له وشكر، وإن لا فما هذه إلا محاولة .

والله من وراء القصد

الفصـــــل الأول

مدخل الى مدينة القدس الإسلامية

اولاً - موقع وحدود مدينة القدس :

الموقـــــع :

تقع مدينة القدس بفلسطين على خط طول ٣٥, ١٣ درجة شــرق غــرينتش ٠ وخــط عرض ٣١ , ٥٢ درجة شمالا ، وتبعد عن البحر المتوسط مسافة ٥٦ كم غربا ، وعن البحر الميت٢٤ كم (شرقا)٠ قدرت مساحتها بحوالي (١٩) كم(الــدباغ ، ١٩٦٥،ج١،ق١، Schaefer

1985) ، ويبلغ مستوى ارتفاعها عن البحر المتوسط حوالي ٢٥٠٠ قدم وعــن البحــر الميــت ٣٨٠٠ قدم ٠ (العارف ، ١٩٥١) ٠

الحـــــــدود

كانت نشأة المدينة الأولى على قمة الظهور تل عوفل ، ثم اتسعت فيما بعــد لتشــتمل مرتفعات وتلال مجاورة وهي تل موريا والواقعة في الجزء الشرقي من المدينة ، وقمة بيــت الزيتون بزيتا والواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة ٠ وهنـــــــــاك قمة صهيون الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة٠ وقد أحاط المدينة ثلاثة أودية عميقة من الجهات الثلاثة هي وادي جهنم (قدرون) من الجهة الشرقية ، ووادي الربابة (هنوم) مــن الجهــة الجنوبية ، ووادي الزبل من الجهة الغربية وكونت هذه الأودية خطوطاً دفاعية للمدينة ، بحيث لا يمكن دخولها الا من الجهتين الشمالية والشــمالية الغربيــة ٠ (الصــوري ١٩٩٤ ، ج ٢ ؛ العارف ،١٩٦١ سترانج ، ١٩٧٠ ؛) امتازت المدينة بموقعها الجغرافي ، حيث ان وقوعها على التلال المشرفة على ما حولها جعلها هدفاً لمن يريد السيطرة عليها ، بالإضــافة الــى ســهولة اقتحامها ٠

ويقع الحرم الشريف في الناحية الجنوبية الشرقية من بيت المقدس على مرتفع صخري تحيط به الأسوار بطــــول يقارب ٤٩٢ م من الغرب ، و٦٤٢ م من الشرق ، وعرضة فــي الشمال ٣١٠ م ومن الجنوب ٢٨١ م ٠ (زيادين ، ١٩٩٣ ؛ بهنسي ١٩٩٥) ٠

ثانيـــاً مكانـــــــة القـــــدس فـــــــي الإسلام :

ترتبط مدينة القدس من الناحية الدينية ارتباطاً وثيقاً بمدينتي مكــة المكرمــة والمدينــة المنورة ، اذ ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "(لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى) " (الحنبلي ،١٩٨٥ ، رواية علي رضــي الله عنه) وهذه الأهمية نابعة من كون بيت المقدس يتمتع بالمقومات التالية :

أ ــ أنها القبلة الأولى للمسلمين : إذ تشرفت المدينة بهذه الفضيلة مدة ستة عشر شهراً ٠ "عن البراء بن عازب قال :صليت مع رسول الله صلى الله علية وسلم نحو بيت المقــدس ســتة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً " (الحنبلي ، ١٩٨٥) ، لتصبح ارادة الله في تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة قال تعال :" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتــاب

ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون * ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك إذا لمن الظالمين " (البقرة : ١٤٤ – ١٤٥) ٠

ب ــ ارض الإسراء والمعراج : إذ تمتعت القدس بكونها ثالث أقدس المدن الإسلامية ، فاليها أسرى الرسول الكريم صلى الله علية وسلم ، ومنها عرج الى السموات العلى ، وحادثة الإسراء والمعراج كانت ولا تزال تعني الكثير للإسلام والمسلمين قال تعالى : " سبحان الذي أسرى بعبدة ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير " (الإسراء :١)

ج ــ مهد الديانات السماوية الثلاث ، ومسكن الأنبياء ، وارض المحشر المنشر ، وقد ذكر الرسول صلى الله علية وسلم فضل الصلاة في بيت المقدس عندما سألته زوجه ميمونة بنت الحارث " يا رسول الله ،افتنا في بيت المقدس ؟ قال : ارض المحشر ، والمنشر ، أيتوة فصلوا فيه ، فأن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه " (الحنبلي ، ١٩٨٥) ٠وكذلك فقد حظيت المدينة بكونها اشتملت على المسجد الأقصى ثاني المساجد على وجه الأرض وذلك عندما سأل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عن أي مسجد وضع في الأرض أولا قال :" المسجد الحرام " وسأله ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى " ثم سأله فكم بينهما قال :" أربعون عاماً " وهذا دليل واضح على ان ما بناه داود سليمان عليهما السلام ما هو إلا عملية ترميم واعادة بناء (المقدسي ، ١٩٩٤) ٠وتتجلى أهمية القدس من خلال ورودها في عدد من آيات القران الكريم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى : " والتين والزيتون ،وطور سينين ، وهذا البلد الأمين " (سورة التين :١–٣) وقوله تعالى :" ونجيناه ولوطاً الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " (الأنبياء : ٧١)

ثالثاً : نبذة عن مدينة القدس في العصور الاسلامية السابقة للعصر الايوبي ٠

العهد الراشدي :

قبل ان يتم وصول المسلمين الى مدينة القدس (ايليا)[١] وفتحها ، كانت تعني لهم الكثير ، واحتلت في نفوسهم مكانة عظيمة ؛ فهي قبلتهم الأولى ،واليها أسرى الرسول الكريم ومنها عرج الى السماء ٠

وفي الواقع كانت المدينة مزدهرة خلال تلك الفترة وذلك في ظل الدولـــة البيزنطيـــة اذ شيدت فيها الكنائس والاسوار ٠٠٠ وغيرها ، ويمكن إدراك أهميتها خلال تلك الفترة من خلال ظهورها على الخريطة الفسيفسائية المكتشفة في كنيسة الروم الارثوذكس بمادبا ، أنظر اللوحة (١) ٠

يعتبر الدوري المرحلة من القرن السابع الميلادي ٦٣٦ م وحتى القرن الحـــادي عشـــر ١٠٩٩ م أي منذ أن فتحها الخليفة الراشدي عمر وحتى احتلال الفرنجة لها تمثـــل المرحلـــة الإسلامية الأولى (الدوري ، ١٩٩٢) ٠

فتح المسلمون المدينة في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ، وقد تم ذلك على يد الصحابي الجليل أبو عبيده عامر بن الجراح وعلى اثر ذلك دخل الخليفة عمر الى المدينة حيث التقى البطريرك صفرونيوس ،وأعطى سكانها العهدة العمرية ، وهي وثيقـــة تضـــمن لســـكان المدينة (النصارى) الأمان لأنفسهم ومالهم ودينهم ، شريطة دفـــع الجزيـــة ٠ (الحمـــوي ، ١٩٧٩ ، ج٥ ؛يوسف ، ١٩٨٢؛ الدوري ، ١٩٩٢) ٠

أهتم الخليفة عمر بمنطقة الحرم التي كانت عبارة عن مكـــان للنفايـــات فـــي العصـــر البيزنطي ، وقد أوعز بتنظيفها ، وصلى قرب المكان ، ويذكر الازدي أنه وضع محراباً مـــن جهة الشرق وهو موضع مسجده ، وقد قدم الرحالة أركولف وصفاً لهذا المســـجد (ســـترانج، ١٩٧٠ ؛ الدوري ، ١٩٩٢) ٠

(١) ايليا : هذه التسمية كانت تطلق على المدينة عندما فتحها الخليفة عمر بن الخطاب وقد وردت في العهده العمرية ٠(الحنبلي ، ١٩٧٣)

القدس في العهد الاموي (٤١ ـ ١٣٢ هـ /٦٦١ ـ٧٤٩ م) :

أهتم الخلفاء الأمويون بالقدس اهتماما بالغا فقد أخذ معاوية بن ابي سفيان (أول خليفـــة أموي) البيعة في بيت المقدس ، كما أخذ البيعة في القدس من الأمويين الخليفة عبد الملك بـــن مروان(٦٥ هـ /٦٨٤ م) ، وابنه سليمان(٩٦ هـ ٧١٤ م) (الدوري ، ١٩٩٢) وكان من أهم الإنجازات في العهد الأموي إقامة قبة الصخرة على يد الخليفة عبد الملك بن مـــروان

في سنة ٧٢هـ /٦٩١ م ، ورصد لهذا الأثر الجليل خراج مصر لمدة سبع سنوات وكان هذا الأثر ولا يزال آية في الجمال والإبداع ٠ ومن الأعمال المنسوبة الى عبد الملك في القدس شروعه في بناء المسجد الأقصى ، ثم أكمله من بعده أبنه الوليد سنة ٨٦هـ /٧٠٥ م (الدوري ١٩٩٢ ؛ Creswell, 1969) ٠

تم الكشف في المنطقة الواقعة جنوب الحرم عن دار الأمارة الأموية ، والتي تتصل بالمسجد الأقصى ويرجع بناؤها الى فترة معاوية بن أبى سفيان ٤١-٦٠ هـ / ٦٦١- ٦٧٩ م (الدوري، ١٩٩٢ ؛ بيشة ، ١٩٩٣) ٠

القدس في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦ هـ / ٧٤٩ _ ١٢٥٨ م) :

بعد ان هزم العباسيون الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠ م ، استولوا على فلسطين بما فيها القدس ، وقد أهتم الخلفاء العباسيون بهذه المدينة ، فقام أبو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ / ٧٥٣- ٧٧٤ م) بزيارتها مرتين(يوسف ، ١٩٨٢؛ الدوري ،١٩٩٢) كما قام كذلك بتعمير المسجد الأقصى الذي تهدم على أثر زلزال عام (١٣١ هـ /٧٤٨ م) (سترانج ، ١٩٧٠) ٠ وبعد إتمام الترميم تم وضع الصفائح الذهبية والفضية على الأبواب ٠ هذا وقد استمر العمران العباسي في بيت المقدس إذ قام المهدي (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٤-٧٨٥م) بإعادة بناء المسجد الأقصى إذ تعرض مرة أخرى لزلزال تهدم على أثره الاقسام التي تم ترميمها في عهد المنصور أما في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ /٨١٣-٨٣٣ م) فقد تم ترميم الخراب الذي حل بقبة الصخرة ، وكما هو معلوم انه أثناء ترميم الشريط المكتوب بالفسيفساء داخل بناء القبة تم وضع اسم (المأمون) مكان اسم الباني الأصلي عبد الملك ولم يقم بتغيير التاريخ المكتوب(٧٢هـ) الذي يعود أصلاً الى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (سترانج ،١٩٧٠ ؛ الحنبلي ، ١٩٧٣ ،ج١ ؛ شراب ١٩٨٧) ٠

القدس خلال الفترات الاسلامية (الطولونية ، الاخشيدية، الفاطمية ، السلجوقية)

بعد ان استطاع حاكم القطائع أحمد بن طولون (٢٥٤هـ / ٨٦٨ م) الاستقلال بحكم مصر توجهه الى احتلال سوريا ومن ضمنها فلسطين وكان ذلك سنة ٢٦٥هـ/٧٧٨ م (العارف ، ١٩٥١) ، وقد حكمها مدة خمس سنوات ، واستمرت مدينة القدس تحت حكم هذه

الأسرة مدة ٢٢ سنة حتى سنة ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م الى أن عادت السيطرة على المدينة الى حكم الولاة العباسيين وحكموها حتى ٣٢٣ هـ/ ٩٣٤ م ، وهؤلاء بدورهم أوفدوا الى المدينة ولاتهم الاخشيديون ، وقد إمتد كيان هذه الفئة الى الشام ، على غرار سابقتها الطولونية إذ تمكنت بقيادة قائدها محمد طغج من الانفراد بحكم مصر سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م ومن ثم بسط نفوذه على جنوب سوريا وفلسطين سنة ٣٣٣هـ /٩٤٤ م وبقي حكمهم فيها حتى ٣٥٤هـ / ٩٦٥ م ، وقد دفن هذا القائد بالقدس ، كما دفن بها الحكام الذين جاءوا من بعده (سترانج ١٩٧٠؛ محمود ، ١٩٨٤ ؛ الموسوعة الفلسطينية ،١٩٨٤ ،ج٣ ؛الدوري ،١٩٩٢) .

تمكن الفاطميون من طرد الإخشيديين من مصر وجنوب سوريا وقاموا بالاستيلاء على مدنهم وذلك سنة ٣٥٨هـ /٩٦٨ م ، ومن بينها مدينة القدس التي احتلوها بقيادة جوهر الصقلي (محمود ، ١٩٨٤) وقد أورد المقدسي وصفاً للمدينة خلال هذه الفترة اشتمل على ذكر معالم عديدة من المدينة مثل البوابات ، المياه ، الحدود ، الأبراج ، وغيرها كما أشار الى المسجد الأقصى " ولا اكبر من مسجدها " (الحياري، ١٩٩٤ : ملحق رقم (١) ؛ العارف ، ١٩٥١) هذا وقد اختل النفوذ السياسي للدولة الفاطمية في مطلع القرن الخامس الهجري / مطلع القرن الحادي عشر وذلك بسبب نزاعاتهم مع القبائل العربية في بلاد الشام (الحياري، ١٩٩٤)

اهتم الخلفاء الفاطميين بالحرم الشريف؛ إذ رممت قبة الصخرة سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢ م وذلك أثر هزه سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وكذلك رمم سور المدينة سنة ٤٢٤هـ /١٠٣٢ م ولم يتم هذا العمل وذلك بسبب الهزة التي تعرضت لها المدينة سنة ٤٢٥هـ /١٠٣٣م ، هذا وقد رممت الواجهة الأمامية للمسجد الأقصى سنة ٤٥٨هـ /١٠٦٥ م ، (الدوري،١٩٩٢ ؛ الحياري ،١٩٩٤ ؛ Buhl,1927) .

وفي هذه الفترة زار المدينة الرحالة الفارسي ناصر خسرو سنة ٤٣٨هـ /١٠٤٦ م، وقدم لها وصفاً رائعاً يدل على ازدهارها في تلك الفترة ، فقد أشار الى موقعها ، وبواباتها ، وأسواقها ، والمستشفى ، وكنيسة القيامة ، وذكر أن المدينة أصبحت محجا لاهل الشام لمن لا يستطيع الذهاب الى مكة (buhl ,1927 ؛ محمود ، ١٩٨٤؛ الدوري ، ١٩٩٢ الحياري ١٩٩٤ ؛ Burgoyne,1987) .

كان دخول السلاجقة الأتراك الى القدس في زمن السلطان ألب أرسلان (٤٦٥-٤٧٠ هـ / ١٠٧٢- ١٠٧٧ م)على يد قائدة أتسز بن أوق سنة(٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) بعد أن أزال النفوذ الفاطمي عنها ، وأقام الخطبة للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ،

واصبحت القدس هي المدينة الأولى في فلسطين بعد ان كانت الرملـــة (الحنبلـــي١٩٧٣ :ج١ الدوري ، ١٩٩٢) لقد ساءت أحوال المدينة الاقتصادية خلال هذه الفترة وتضايق سكانها مـــن ذلك، إذ قام اتسز بفرض ضرائب على الحجاج عند مدخل المدينة ، مما حدا بالســكان القيــام بثورة ضد السلاجقة مستغليـــــــــــن خروج قائد السلاجقة أتسز لمهاجمة الفاطمييـــــــــن سنة ٤٧١هــ /١٠٧٨ م ، لكن الأخير تصدى للثائرين فدخل المدينة بعد ان قذفها بـــالمنجنيق ، وقتل قرابة ثلاثة آلاف من سكانها (عاشور ،١٩٨٢،ج١ ؛ الموسوعة الفلســطينية ، ١٩٨٤ ، ج٢ ؛ الحياري ، ١٩٩٤) ، ولم يتوقف الفاطميون عن محاولاتهم لاعادة القدس الى سيطرتهم ، ونتيجة لذلك فقد طلب أتسز النجدة من الدولة السلجوقية ، ولبى السلاجقة هذا الطلب وارســلوا الأمير السلجوقي تتش بن ألب ارسلان ، وأول عمل قام به ، قتل اتسز سنة ٤٧١هـــ/١٠٧٨ م واستولى على بلاد الشام وفلسطين ، بما فيها القدس ، وعين عليها ارتق بن اكسب واليا ؛ وهو مؤسس الدولة الارتقية في القدس سنة ٤٧١ هــ / ١٠٧٧ م (محمــود ، ١٩٨٤؛ الحيــاري ١٩٩٤ ؛ Buhl 1927) ٠

بقيت مدينة القدس بيد الارانقة الى ان تمكن الفاطميون مـــــن استعادتها وذلـــــــك ســنة (٤٩١ هــ /١٠٩٧ م) بعد حصار دام أربعين يوماً بقيادة الأفضل بدر الجمــالي ثــم تمكــن الإفرنج من إخضاعها في السنة التالية(٤٩٢هــ /١٠٩٨م)، (محمود ، ١٩٨٤ ؛ الدوري ، ١٩٩٢؛ Burgoyne,1987,Buhl,1927, ؛ الحياري ، ١٩٩٤)٠

الفصل الثـاني

تعرض مدينة القدس للغزو الفرنجي

ودور الايوبيين في تحريرها

أولاً : ــ احتلال بيت المقدس وتأسيس مملكة اللاتــين فيهـا ٤٩٢- ٥٨٣هــ / ١٠٩٨- ١١٨٧م

أ ــ أوضاع بلاد الشام في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ٠

عند الحديث عن أوضاع بلاد الشام خلال هذه الفترة ، يجدر بنا الإشارة الــى أوضــاع وحالة الوطن العربي والعالم الإسلامي آنذاك . فبعد أن سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هــــ / ٧٤٩م خضع المسلمون في المشرق إلى القوى التالية :

١ ــ الخلافة العباسية السنية : ومركزها بغداد ، وظهرت هذه الخلافة بعد أن تمكن خلفاؤها من القضاء على الأمويين في بلاد الشام ، وتولوا زمام الأمور في الدولة الإسلامية خــلال الفتــرة الممتدة من ١٣٢ــ ٦٥٦هــ / ٧٤٩ــ ١٢٥٨م واثناء تلك الفترة تمكن البويهيون الشــيعة مــن السيطرة على الحكم لفترة محدودة قبل سقوط بغداد . (زكار ، ١٩٨١) .

٢ ــ الخلافة الفاطمية الشيعية : ومركزها القاهرة ، وقامت هذه الخلافة بالسيطرة على الاجزاء الجنوبية من بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وكانت تهدف من ذلك الى إسقاط الخلافة العباسية . (الصوري ، ١٩٩٤ ، ج١)

٣ ــ الإمبراطوريــــة البيزنطيــــة : اســــتقر البيزنطيــــون علــــى ســــواحل آســــيا الصغرى الجنوبية وسيطروا على الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من بلاد الشام منذ القــرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أثناء صراعهم مع الحمدانيين في حلب ، وبسطوا نفوذهم على أنطاكيا واللاذقية وجبلة (ابن الأثير ، ١٩٧٩، ج٨) .

٤ ــ السلاجقة : هم جماعات من المشرق تركية الأصول ، وكونوا امارات تابعة لهم ، وكانوا قد ظهروا على مسرح الأحداث عشية الخلافات والمنازعــات التــي قامــت بــين الفــاطميين والعباسيين، وانتهى الأمر بأن تسلموا حكم الولايات العباسية . وهنا لابد من الوقوف للتعريــف بالسلاجقة ونشأتهم ،إذ ينتسب السلاجقة إلى قبائل الغز التركية ، وجدهم هو سلجوق بن دقاق ، وهو الذي كون قيادة له في تركستان خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ثم انتقــل من تركستان الى غرب بلاد ما وراء النهر ليكون بذلك الإمبراطورية السلجوقية والتي اشتملت على ايران والأناضول وبلاد الشام (زكار ، ١٩٨١) .وتمكنوا من الدخول الــى بغــداد بقيــادة طغرل بك سنة ٤٤٧هــ / ١٠٥٥م ، زمن القائم بــأمر الله(٤٢٢ــــ ٤٦٦هــــ / ١٠٣٠ ــ ١٠٧٣م) وأثبت السلاجقة حسن تعاونهم مع العباسيين ، إذ قاموا بالقضــاء علــى البــويهيين وعزموا على تقليص النفوذ الفاطمي في بلاد الشام (زكار ، ١٩٨١) .

لقد وجه السلاجقة أنظارهم غرباً نحو الإمبراطورية البيزنطية ،إذ تمكن قائــدهم ألــب أرسلان من الانتصارعلى الإمبراطور البيزنطـــي ديوجينوس فـــي معركـــة ملازكرت سنة ٤٦٣هــ / ١٠٧٠م (ابن الأثير ، ١٩٧٩، ج ١٠ ؛ رنسيمان ، ١٩٩٧ ، ج١) .

وقد شبهت تلك المعركة بمعركة اليرموك لأنها أعادت الى أذهان المسلمين انتصار المسلمين على البيزنطيين (عوض ، ١٩٩٩) .

استعانت الإمبراطورية البيزنطية بالغرب الأوروبي ، وذلك خشية التوسع الإسلامي والسلجوقي على اراضيها ؛ فوجهت ندائها الى الغرب وقد استجاب الأوروبيون لهذه النجدة مستغلين تلك الأحداث بالهجوم الاستعماري والاقتصادي على العالم الإسلامي ، متظاهرين بالدافع الديني لإغاثة مسيحي الشرق المضطهدين من المسلمين والسلاجقة ، (البيطار ، ١٩٨٢)٠ إذ قام البابا أوربان الثاني بإلقاء خطاب في كليرمونت / فرنسا من سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م ، أمام رجالات أوروبا المهمين ورجال الدين وغيرهم ، مفاده تشجيع التحرك نحو الشرق لتخليص الأرض المقدسة وقبر المسيح من المسلمين ، أما دوافعها الحقيقية فهي الهروب من الأوضاع السيئة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت الغرب الأوروبي خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، اتجهت الحملة الفرنجية الأولى إلى بلاد المشرق ، وقد ضمت كافة فئات المجتمع الأوروبي ، وقد وصلت حدود الإمبراطورية البيزنطية سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م ، ثم قاموا بالإغارة على الممتلكات السجلوقية ، واحتلوا عاصمتهم نيقية سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م ، وهزموهم في السنة التالية عند أسكي شهر ، وقاموا بتسليم ممتلكات السلاجقة إلى الإمبراطورية البيزنطية (عاشور ، ١٩٨٢، ج١) .

بدأت الحملة الصليبية بتأسيس إمارات فرنجية في منطقة بلاد الشام فأسسوا إمارتي الرها وأنطاكيا منذ ٤٩١هـ / ١٠٩٧م ، والتي أعقبت بالتوجه الى بيت المقدس وتأسيسها لتكون عاصمة لمملكة اللاتين . (زكار ، ١٩٨١) .وقد كانت القدس آنذاك(٤٩١هـ / ١٠٩٧م) بيد الفاطميون الذين استعادوها للتو من السلاجقة وكان إخضاع المدينة المقدسة سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م .

ب ـ سقوط المدينة أمام الغزو الفرنجي ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م :

كان من نتائج حالات التمزق والضعف السياسي الذي حل بالمنطقة خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، أن قام الغرب الأوروبي بالاتجاه نحو المشرق واحتلال القدس وجعلها عاصمة للمملكة اللاتينية ، إذ بعد أن أحكم الإفرنج سيطرتهم على شمال بلاد الشام ، اتجهوا جنوباً نحو بيت المقدس ، التي استغرقت أعمال الوصول إليها مدة أربعة أعوام (٤٨٨هـ ـ ٤٩٢هـ / ١٠٩٥ـ ١٠٩٨) وقد ساعدهم في ذلك بعض مسيحي الشرق وهم موارنة لبنان(عوض ، ١٩٩٩) .

وصل الإفرنج الى مدينة القدس ليلة ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ / ١٤ تموز ١٠٩٩م بقيادة (غود فري دي بويون) (Godfiry de Boion) (سترانج ، ١٩٧٠؛ البيطار ، ١٩٨٢ ؛ رنسيمان ، ١٩٩٧، ج١) بعد أن حاصرها قرابة شهرين ، حيث قاموا بصناعة برجين من الخشب يشرفان على سور المدينة وثبتوا الأول على باب صهيون ، والآخر على باب العمود وقاموا برمي المجانيق ، ودخلوا المدينة وأحدثوا فيها مذبحة وحشية ولم ينج إلا قلة من السكان وهي التي احتمت بمحراب داود ، وكان يرأسهم افتخار الدولة (سترانج ، ٩٧٠؛ الحنبلي ، ١٩٧٣، ج١؛ رنسيمان ، ١٩٩٧، ج١)

زخرت المصادر المعاصرة لهذه الأحداث (العربية والأجنبية منها) عما أحدثه الإفرنج في المدينة والتي ارتكبوها في حق ساكنيها فقد ذكر أن عدد القتلى قد زاد عن سبعين ألفاً اشتملت على العلماء والائمة المسلمين ، والنساء ، والاطفال ، والشيوخ ، كما ذكر كذلك انهم قاموا بمصادرة قناديل المسجد الأقصى وقبة الصخرة (أبن الأثير ، ١٩٧٩، ج١٠؛ الحموي ، ١٩٧٩، ج٥) .

بعد أن تمكن الإفرنج من دخول المدينة أصبحت عاصمة لمملكة اللاتين ، وعين عليها غود فري دي بريون ولقب " حامي القبر المقدس " (جوني ، ١٩٩٧) هذا وقد اعتبر يوم ١٥ تموز عيداً وطنياً تحتفل به مملكة القدس اللاتينية سنوياً (الحياري ، ١٩٩٤) .

أما عن التغيرات التي حدثت للحرم الشريف آنذاك فهي تحويل المسجد الأقصى الى مقر رسمي لملوك الفرنجة وسمي بـ (Palatium Solomone) بلاط سليمان ، وقد تحول جزء منه الى معقل لفرسان الداوية (فرسان المعبد) وأضافوا له جناحاً جديداً جعلوه مستودعاً للاسلحة أما الأقبية التي تقع اسفل المسجد فتم تحويلها الى إسطبلات لخيولهم ، ثم قاموا بتشييد برج تنكرد (١) .

وكذلك فقد تحولت قبه الصخرة الى كنيسة وسميت (Tempelum Domini) وتعني (هيكل السيد) وعلق عليها الصليب (الاصفهاني ، ١٨٨٨) وقد زينت بالصور والتماثيل واستبدل الرخام المزخرف الذي حولها بالحديد (درابزين) وكسيت الصخرة المشرفة بالرخام: إذ بات الحجاج الأوروبيون يأخذون منها قطعاً ويبيعونها في بلادهم (أوروبا) قسطنطينية وصقيلة بوزنها ذهباً (ستراتج ١٩٧٠ ؛ رجب ١٩٧٢؛ الحياري ، ١٩٩٤ ؛ , Buhl , 1927 ; (Burgoyne , 1987 .

---

(١) تنكرد : أحد الأمراء المشاركين في الحملة الفرنجية .

بعد أن تم قتل وطرد السكان الأصليين من المدينة سكنت المدينة من قبل القادمين من الفرنجة سواء ممن شاركوا في الحملة أو من الحجاج الذين تم توطينهم في حي البطريرك ، وكذلك فقد تم تهجير النصارى الشرقيين (من شرق الأردن) ليسكنوا في المدينة في منطقة خاصة أطلق عليها تسمية (حي النصارى) ، هذا وقد أقيمت الفنادق لتأوي الحجاج القادمين من أوروبا و أنشئت أحياء جديدة مثل حي القديسة مريم المجدلية ، وأنشئت الأسواق (سوق القطانين) (الحياري ١٩٩٤؛ Burgoyne , 1987؛ Schaefer , 1985) .

وخلال المسح الذي أجراه دينسي برنجل ، بلغ عدد الكنائس التي تعود للفترة الفرنجية في المدينة حوالي ٦١ كنيسة (Burgoyne , 1987) ٠

<u>ج ــ جهود أسلاف صلاح الدين (الزنكيين) في توحيد المسلمين لتحرير مدينة القدس :</u>

أحكم الفرنجة سيطرتهم على منطقة بلاد الشام ، فقد أمتد نفوذهم من ماردين شمالاً الى عريش مصر جنوباً ، باستثناء حلب وحمص وحماه ودمشق ، بالإضافة الى انهم كانوا قوة يحسب حسابها في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، فكانوا يتلقون الضرائب والإتاوات من المسلمين ؛ ثم أنهم قاموا بعزل العواصم الإسلامية للحيلوله دون أدنى اتصال بينها وهي : دمشق والقاهرة وبغداد ، ففي الشمال كانت إمارة الرها التي تفصل بين حلب والموصل وتشكل حلقة الوصل مع بغداد ، وفي الجنوب أقيمت إمارة الكرك الصليبية ذات الحصون العديدة في الشراة ووادي موسى والشوبك وأيلة ، لتمنع الأتصال بين القاهرة ودمشق وبغداد والحجازومملكة بيت المقدس (غوانمة، ١٩٨٢) ، (انظر خريطة رقم (١) الإمارات الصليبية في بلاد الشام) ٠

لقد لعب الزنكيون دوراً بارزاً في توحيد القوى الإسلامية لمواجهة الصليبيين ويعتبر بيت زنكي (عماد الدين) أول من احتضن نجم الدين أيوب (والد صلاح الدين) ونمى شجاعته بأن أقطعة بعلبك وجعل شيركوه (أخو نجم الدين) قائداً للجيش ؛ وتوالت اهتمامات الزنكيين بالأيوبيين بأن جعل صلاح الدين وزيراً لهم في مصر (ابن الأثير ، ١٩٧٩، ج ١٠) . لذلك فان ما تحقق على يد صلاح الدين كان بفضل وجهود آل زنكي .

تمكن عماد الدين زنكي (٥٢١ــ ٥٤١هــ / ١١٢٧ــ ١١٤٦م) أن يثبت دورة كسياسي بارع وعسكري متمكن ومسلم واعي ، فقد أدرك الخطر الذي حل بالعالم الإسلامي (الغزو الفرنجي) ، فقام بتوجيه الظروف لخدمة المسلمين ؛ فجمع القوى الإسلامية بضم وتوحيد المدن والإمارات والأقاليم التي عانت من مشكلة التجزئة والأنقسام (طقوش ، ١٩٩٩) .

لمع اسم عماد الدين في مواجهاته ضد الفرنجة منذ (٥٠٥هـ / ١١١١م) وذلك عندما اشترك مع والي الموصل آنذاك (الأمير مودود بن التونتكين (٥٠٢ـــ ٥٠٧هـــ / ١١٠٨ـــ ١١١٣م) في المعارك التي خاضوها في الجزيرة والشام ، وأسوار الرها ، والمعرة ، وفي معارك طبرية سنة (٥٠٧هـ / ١١١٣م). ثم بعد أن اكتسب شهرة في الشجاعة ، تولى عدة مناصب أبدى فيها انتمائه للأرض العربية وهاجسه المؤمن لتوحيد الجبهة الإسلامية أولاً ، ثم ضرب الصليبيين ثانياً (جوني ، ١٩٩٧) .

بعد أن تمكن من ضم الأقاليم المجاورة لولايته ، انتظر الفرصة المواتية للقيام بثورات على الإمارات الصليبية فبدأ بإمارة الرها فأخضعها سنة ٥٣٩هـــ / ١١٤٤م (ابن الأثير ، ١٩٧٩، ج١٠) . كان إخضاع هذه الأمارة وضمها خطوة في غاية الأهمية ، فقد مثل سقوطها انهيار أول إمارة صليبية في بلاد الشام ، سيما وإن هذه الإمارة ضرورية لتشكيل الوحدة الإسلامية ؛ إذ تشكل حلقة وصل بين الموصل وبغداد ، فلو بقيت تحت النفوذ الصليبي لحال تشكيل وحدة إسلامية في شمال بلاد الشام (عاشور ، ١٩٨٢) .

تظهر أهمية إخضاع هذه الإمارة في تحويل موقف عماد الدين وجبهته الإسلامية من حالة الدفاع الى حالة الهجوم ، بالإضافة الى ظهور علمين من أعلام الجهاد ضد الافرنج هما نور الدين محمود زنكي ، والناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي (غوانمة ، ١٩٨٢) . كما كان سقوط إمارة الرها أصداء واسعة في الغرب الأوروبي ، فقد اهتز نفوذهم في المشرق فسارعوا بإرسال حملة صليبية جديدة هي الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م (ابن واصل ، ١٩٥٧ ، ج٢) ، ثم تابع أعماله بشن الغارات على إمارة انطاكيا سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م (ابن الأثير ١٩٧٩، ج١٠) وجاء دخول هذه الولاية سهلاً ، إذ تمكن من إسقاط جميع الحصون الصليبية المجاورة لها ، ثم قام بطرد صليبي حلب بعد أن ضمها والذين كانوا قد احتشدوا فيها ليتصدوا لفتوحات عماد الدين (البيطار ، ١٩٨٢) .ومما هو جدير بالذكر أن عماد الدين قد لقي مصرعه وهو يتابع فتوحاته في بلاد الشام، إذ قتل من قبل أحد مماليكه أثر محاولته ضم قلعه جعبر سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م وكان يرافقه ابنه نور الدين الذي تسلم مهمة توحيد المسلمين من بعد والده ، (ابن واصل ، ١٩٥٧، ج٢ ؛ ابن الأثير ، ١٩٧٩ ، ج١١؛) .

إتبع نور الدين نهج والده في توحيد القوى الإسلامية ، واتخذ من حلب مركزاً لتحركاته ضد الفرنجة (غوانمه ،١٩٨٢) ، فقد اتجه نحو إمارة طرابلس سنة ٥٤٣هـــ / ١١٤٨م وقد عاونه في ذلك معين الدين أنر وتمكنا من إسقاط الحصون المحيطة بهذه الإمارة ، إضافة الى

القيام بضـــــم المدن والأقاليم المجاورة ثم عادا للسيطرة على إمارة انطاكيا (ابــن الأثيــر ، ١٩٧٩، ج١١) .

تمكن نور الدين من ضم مدينة دمشق سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م بمعاونة قائده أسد الدين شيركوه (عم صلاح الدين) بعد أن قام والده عماد الدين زنكي بمحاولات عديدة لاخضـاعها ، وبهذا فان حدود نور الدين ــ بعد ضم مدينة دمشق ــ أصبحت تمتد من شمال الجزيرة السورية حتى شرقي الأردن في الجنوب ، وبالتالي تصبح ملاصقة لإمارتي انطاكيا وطرابلس ومملكـة بيت المقدس (التي أضحت شريطاً ساحلياً ينتهي عند المجرى الرئيسي لنهر الأردن ويمتد قليلاً شرقي البحر الميت) (البيطار ، ١٩٨٢، ؛ مؤنس ، ١٩٨٤) . عمد نور الدين الى عدم قيـام هجوم مباشر على مملكة بيت المقدس ، وذلك تجنباً لوصول نجدات غربية ــ اوروبية تـودي بكل مخططاته ، لذلك فقد قام بغارات خاطفة على حدود مملكة بيت المقدس " فيرسـل قـواده فيوغلون حتى الرملة وعسقلان ، ويرسل الخيالة تجوب البلاد مـن الشـمال الـى الجنـوب ، وبعضها كان يقيم في معسكرات متنقلة داخل أراضي مملكة بيت المقدس " (مـؤنس ، ١٩٨٤) وكان قد تحاشى حدوث هجوم صليبي على ممتلكاته قبيل أن يوحد مصر والشام ؛ إذ قام بعقـد هدنه مع ملك بيت المقدس سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م مدتها سنة مقابل أن يدفع ثمانية آلاف دينار صورية . (ابن القلانسي ، ١٩٨٣) .

<u>ثانيا– دور صلاح الدين الأيوبي في تحرير بيت المقدس من الغزو الفرنجي .</u>

ينتسـب الأيوبيـون إلى أيـوب بن مـروان بن شـادي ، ولم يعـرف أحـد بعـد شـادي ، أصلـه مـن الأكـراد الروادية ، وكـان مستقـرا في دوين(١) (ابـن العبـري، ١٩٥٨ ؛ الحنبلـي، ١٩٧٣، ج١ ؛ ابن كثيـر، ١٩٧٧، ج ١٢) ٠

وهنـاك مـن نسـب الأيوبييـن الى الأموييـن ، حيـث ذكـروا أن أصلهـم مـن العـرب الذيـن هاجـروا مـن الجزيـرة العربيـة ، علـى الاغلـب أن الأيوبييـن ينتسبـون إلى الأصـل الكـردي ، لكنهـم في الحقيقـة هم عربـا بثقافتهـم، وتربيتهـم، ونشأتهـم، فأحبـوا اللغـة العربيـة ، ونشـأوا النشـأة الإسلاميـة. (العبـادي، ١٩٩٥) كـان لمـروان بـن شـادي ولـدان همـا : أيـوب (نجـم الديـن أيـوب) وهـو

---

(١) دوين : ناحية من نواحي آران ٠ (الحموي ، ١٩٧٩)

والـد صـلاح الديـن ، أمـا الإبـن الثانـي فهـو أسـد الديـن شيركـوه ، وأيـوب هـو الإبـن الأكبـر ، كـان ذو رأي سديـد لذلك فقـد عينـه بهـروز(١) مستحفظـا لقلعـة تكـريت ، وعلـى أعقـاب مشكلـة مـا ؛ طـردوا مـن تكـريت فالتجـأوا إلـى عمـاد الديـن زنكـي أتابـك الموصـل وذلـك سنـة ٥٣٢هـ /١١٣٧ م (المقريـزي،١٩٩٧، ج١) ، اعتلـى صـلاح الديـن الوزارة الفاطميـة فـي مصـر بعـد أن توفـي عمـه أسـد الديـن شيركـوه فـي جمـادي الثانيـة سنـة ٥٦٤هـ/آذار ١١٦٩م. وكـان يبلـغ مـن العمـر آنـذاك اثنـان وثلاثـون عامـا . وقـد ولاه هـذا المنصـب الخليفـة العاضـد ، وسمـاه الوزيـر الأول ، ولقبـه بالملـك الناصـر (شانـدور، ١٩٩٣) .

عمـل صـلاح الديـن اثنـاء توليـه الوزارة كنـائب عن الملك العـادل نـور الديـن فكـان يخطـب علـى المنابـر بإسمـه ، وضـرب النقـود بإسمـه (ابن الاثير، ١٩٦٣) ، وفـي المقـابل أحـب نـور الديـن صـلاح الـدين إذ كـان يخاطبـه بالأميـر الأسفهسـلار أي (مقـدم العسكـر) (الحنبلـي ، ١٩٧٣ ج١؛ ابـن خلكـان ١٩٧٨ ، ج٧) أمـا عـن أهـم مـا قـام بـه صـلاح الديـن فـي مصـر اثنـاء توليـه الـوزارة فتتمثـل بمـا يلـي :

١ــ قـام بتوطيـد أركـان وزارتـه ، فقـام بتثبيـت مركـزه فـي الـوزارة ، إذ التفـت إلى تحسيـن أوضـاع النـاس الإقتصاديـة ليكسـب محبتهـم فقـام بتخفيـف أعبـاء الضـرائب عنهم (قلعجـي، ١٩٩٢ ، ابـو شامـة، ١٩٩٧، ج١) .

٢ ــ القضـاء علـى الثـورات والفتـن الداخليـة التـي قـامت ضـده منـذ أن تولـى الـوزارة ، والتـي تمثلـت بتآمـر رئيـس بـلاط القصـر مؤتمـن الخلافـة (سودانـي الأصل) مـع صليبيـي بيـت المقـدس للقضـاء علـى صـلاح الديـن (قلعجـي، ١٩٩٢) فاكتشـف صـلاح الديـن الأمـر، وقتلـه سنـة ٥٦٤ هـ/١١٦٩م (ابـن واصـل، ١٩٥٣، ج١) ،بالإضافـة إلـى قضائـه علـى الأرمـن وعـدد مـن الأمـراء

---

(١) بهروز : قائد سلجوقي

المصريين مستعينا بأعماله هذه بالفرقة الأسدية (نسبة إلى عمه أسد الدين شيركوه) ثم قام بتأسيس فرقة خاصة أطلق عليها اسم الصلاحية ، بالإضافة إلى أنه استعان بالمماليك الأتراك (ابن واصل، ١٩٥٣،ج١؛ ابن الأثير، ١٩٦٣؛).

٣ ــ قام صلاح الدين بجلب أهله من الشام ليمكثوا معه بعد أن طلب ذلك من نور الدين (أبو شامة ١٩٩٧ ، ج٢).

٤ ــ أحكم السيطرة على كل الجند في مصر (البيطار ،١٩٨٢).

٥ ــ بعد أن تمكن صلاح الدين من تثبيت سلطانه في مصر واكتسب محبة المصريين، عمد إلى اسقاط الخلافة الفاطمية في مصر، وذلك بطلب من نور الدين، إذ قام الأخير بإرسال والده نجم الدين أيوب ليقنعه بذالك (ابن واصل ، ١٩٥٣ ، ج١ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١)، وقد مهد صلاح الدين لعملية الإسقاط هذه بأن قام بالطعن بالأصل الفاطمي ونسبهم إلى المجوس كما قام بتعيين قضاة شافعيين بدلا من الشيعة بعد أن أزال عبارة (حي على خير العمل) التي كان يرددها الشيعة والفاطميين في الأذان (أبو شامة، ١٩٩٧،ج٢) وقد حصل إسقاط الخلافة الفاطمية في سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١م (ابن واصل ١٩٥٣، ج١).

- **<u>الأحداث التي حصلت أثناء تولي صلاح الدين الوزارة الفاطمية</u>:**

بعد أن اعتلى صلاح الدين عرش الوزارة في مصر نشأت على الساحة السياسية عدة أحداث، استطاع من خلالها أن يثبت أنه قائدا فذا و شجاعا .

١ ــ حدث في سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩ م الحملة الفرنجية الثانية والتي اتجهت نحو دمياط في مصر ، وقد تزعمها إمبراطور المانيا (فريدريك بربروسا) وملوك كل من فرنسا (لويس السابع) ، وانجلترا (هنري الثاني) ، وصقلية (وليم الثاني) . (ابن واصل ، ١٩٥٣ ، ج١) ، وقد تم الإتفاق بين قادة هذه الحملة مع الإمبراطورية البيزنطية بزعامة مانويل كومنين (رنسيمان، ١٩٩٧ ، ج٢) ، وما كان من صلاح الدين إلا أن يستنجد بنور الدين في الشام (رنسيمان، المرجع نفسه) ، وقد بعث له نور الدين الإمدادات من العساكر والذخائر ، وأوكل صلاح الدين كلا من أخيه تقي الدين عمر وخاله شهاب الدين للعمل العسكري المكثف في دمياط ، وكان يرسل لهما تباعا كل ما يصله من الشام (الحنبلي، ١٩٧٣ ، ج١ ؛ عاشور، ١٩٨٢، ج٢؛ أبو شامة١٩٩٧ ، ج٢) . وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها

الإفرنج للحيلولة دون وصول هذه الإمدادات إلا أن اتجاه وسرعة الريح في النهر قد ساعدت وأسرعت في إيصالها (رنسيمان ١٩٩٧ ، ج٢) .

٢ ــ بعد الشهرة التي حققها صلاح الدين في فشل الحملة الصليبية الثانية على المشرق، سعى لتوجيه حملات على المعاقل الفرنجية المتواجدة في مدن الساحل الفلسطيني فبدأ بمحاصرة قلعة الداروم ١ ربيع الأول سنة ٥٦٦ هـ / كانون الأول ١١٧٠ م وهجم على غزة لكنه لم يحقق غايته بسبب المواجهة التي ترأسها عموري الأول بنفسه (ابن الأثير ١٩٧٩ ، ج١١) .

٣ ــ عمل صلاح الدين على تحصين الحدود المصرية ضد الافرنج حتى يتمكن من اقامة دولته، ويتمكن من القضاء عليهم في مملكة بيت المقدس . فقام بما يلي :

- إرسال حملة الى بلاد النوبة بقيادة أخيه توران شاه في جمادي الأول من سنة ٥٦٨ هـ/ شباط ١١٧٢ م . واستولى على مناطق منها (أبريم) (ابن الأثير ، ١٩٧٩، ج١١) وقد استمر النفوذ الأيوبي في اليمن مدة خمسين سنة (قلعجي، ١٩٩٢) .
- اتجه نحو البحر الأحمر لتحصين اليمن فسير إليها أخاه توران شاه في شوال سنة ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م وتمكن من الإستيلاء على عيذاب وجدة في شوال سنة ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م (ابن الأثير ١٩٧٩، ج١١)
- أرسل حملة إلى بلاد المغرب سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م بقيادة شرف الدين قراقوش وتمكن من الإستيلاء على برقة وطرابلس وقد سكن هذا القائد في القصر الموجود فيها بعد أن طرد أهله (ابن الأثير ١٩٧٩ ، ج١١) . ولهذا فقد تمكن صلاح الدين من احكام السيطرة على مصر ، وركز نفوذه فيها من جميع الجهات ، لانها (في الواقع) هي الاساس في تشكيل وحدة الاقاليم الاسلامية اذ انها منطقة الوصل بين بلاد الشام وشمال افريقيا والجزيرة العربية .

٤ ــ أظهر السلطان صلاح الدين الايوبي بوادر تحقيق الوحدة الإسلامية بين مصر والشام سيما وأن المطامع الصليبية قد ظهرت بعد وفاة نور الدين زنكي في شوال ٥٦٩ هـ/١١٧٤ م ، بعد ان ترك سدة الحكم لإبنه الصغير الملك الصالح إسماعيل (٥٦٩-٥٧٧هـ/١١٧٤-١١٨١م) ، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز

الحادية عشرة (ابن الأثير ، ١٩٧٩،ج١١) وكان الأمراء الزنكيون في دمشق والموصل والجزيرة الفراتية قد طمعوا في تولي الحكم من بعد نور الدين(نوري ، ١٩٧٦) .

٥ ـ أعلن صلاح الدين نفسه حاكما على مصر والشام،سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤-١١٧٥م، وبهذا فقد امتد نفوذه في بلاد الشرق الأدنى ، عندما ألف بين الأطراف المتنافسة في سوريا ، وأصبحت دمشق وحلب ، والعراق الأعلى والحجاز ، والنوبة ، واليمن تحت لوائه (أبوشامة، ١٩٩٧ ،ج٢). وبهذا الإتساع أصبحت الأرض المقدسة مطوقة من ثلاث جهات ، ولم يبق آنذاك ًالا التوقيت المناسب لدخولها وتخليصها من الإفرنج . أنظر الخريطة رقم (٢) مناطق نفوذ الأيوبيين .

أ- صلاح الدين ودخوله بيت المقدس .

- **مقدمات الفتح :**

قام صلاح الدين بتوحيد صفوف المسلمين، وجمع كلمتهم وقد استغرق ذلك وقتاً طويلا ، إلا أنه في النهاية تمكن من تكوين وحدة عربية متماسكة امتدت من برقة غربا إلى الفرات شرقا ، ومن الموصل وحلب شمالا إلى النوبة واليمن جنوبا .وكانت هذه النتيجة وليدة لما قام به من فتوحات وغارات على المواقع الفرنجية في المنطقة. ويمكن إجمال ما قام به بما يلي :

١ ـ تامين المواصلات بين مصر والشام والعراق والحجاز : إذ قام بتوجيه حملة على ميناء العقبة (أيلة) سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م ، حيث كان هذا الثغر تحت السيطرة الصليبية بعد أن احتله بلدوين الأول سنة ٥١٠هـ/١١١٦م ، بعدما استقر في بيت المقدس ، وقام الصليبيون بتكوين جبهة قوية في هذا الميناء استطاعوا من خلالها الإشراف والسيطرة على القوافل التجارية القادمة من الهند والصين واليمن ، بالإضافة إلى مراقبة قوافل الحج القادمة من وإلى القاهرة والعراق والشام لهذا فإن صلاح الدين رأى أن ازالة النفوذ الفرنجي من البحر الأحمر هي الخطوة الأولى لتوحيد الأقاليم الإسلامية (مصر والشام والعراق والحجاز)(غوانمة،١٩٨٢) فقام بحصار العقبة (أيلة) وطرد النفوذ الفرنجي منها، ودخلها فاتحا في ربيع الآخر ٥٦٦هـ/ كانون الأول

١١٧٠م (ابن واصل، ١٩٥٣،ج١) . وكان قد سبق هذا العمل إنشاء أسطول على البحر الأحمر (العبادي، ١٩٩٥) .

٢ ــ حصن الثغور المصرية على البحر الأبيض المتوسط كالإسكندرية ودمياط ورشيد (العبادي ، ١٩٩٥) .

بعد أن توفي نور الدين في شوال ٥٦٩هـ/١١٧٤م لم يكن له خليفة سوى إبنه الصغير الملك الصالح إسماعيل ، وكان يبلغ من العمر أحد عشر عاما (ابن العبري، ١٩٥٨؛ الحنبلي ١٩٦٨، ج١؛ ابن الأثير ١٩٧٩، ج١١) .

لقد كثر الطامعون في أملاك نور الدين الزنكي بعد وفاته داخليا وخارجيا ، فعلى الصعيد الداخلي ثار الأمراء الزنكيين وأرادوا السيطرة على ممتلكات وولايات نور الدين وذلك على أعقاب مغادرة صلاح الدين دمشق إلى مصر مستخلفا في دمشق أخاه سيف الدين طغتكين على أن يحكمها بإسم الملك الشاب (الصالح اسماعيل) ؛ إذ ارتأى الأمراء الزنكيين أن الأولوية في الحكم والسيطرة تكون لهم ، لكن صلاح الدين ترك مصر على الفور واتجه نحو (دمشق)، وتغلب على الأمراء الزنكيين ، ونصب نفسه حاكما على مصر والشام وأعلن أنه لن يكون تابعا للملك الصالح ، وقام الخليفة العباسي المستضيئ بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م) تبشجيعه على ذلك ، إذ عندما أعلن عدم تبعيته للملك الصالح أرسل الخليفة الخلع السنية والتشريفات العباسية وتوقيع من الديوان وأعلنه سلطانا على مصر والشام (البنداري، ١٩٧١) .

أما على الصعيد الخارجي، فقد قام الصليبيون بقيادة أموري الأول (ملك بيت المقدس) بالهجوم على مدينة بانياس، وأحكموا عليها الحصار في شوال سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م ، وقد هادنهم قائد العساكر في دمشق (ابن المقدم) ودفع لهم مبلغا من المال ؛ على أن يطلق سراح الأسرى المسلمين . أما صلاح الدين فقد كان في مصر، ولم يعجبه ما قام به قائد العسكر (ابن المقدم) فبعث كتابا إلى دمشق ؛ يطلب إلغاء هذه الهدنه مستعينا بعلماء الدين؛ ليقوي الوازع الديني لدى المسلمين في الشام ومصر ، ضد ما فعله ابن المقدم في هدنته مع الافرنج (ابن شداد، ١٩٩٤)، ثم توجه صلاح الدين إلى دمشق يرافقه سبعمائة فارس ، بعدما

استخلف في مصر أخاه العادل. (ابن تغربردي ١٩٩٢، ج٦؛ المقريزي، ١٩٩٧، ج١) ، وكان قد أرسل كتابا إلى الخليفة العباسي المستضيئ بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م) يعلمه أنه ما خرج إلا لإنقاذ الملك الصالح اسماعيل ، ويقف بجانبه، ويشرف على تربيته ؛ وليقف ضد الأطماع الفرنجية التي استغلت وفاة والده لتبسط نفوذها على الشام (ابن واصل ١٩٥٧، ج٢؛ البنداري، ١٩٧١) ٠

وصل السلطان صلاح الدين الايوبي دمشق في أواخر ربيع الآخر سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وقد استقبل فيها بالحفاوة والترحيب ، إذ خرجت حشود العساكر إكراما له، ودخل المدينة وأحل في دار والده (دار االعقيقي) (ابن واصل ١٩٥٧، ج٢؛ ابن الأثير، ١٩٧٩،ج١١؛) ودخل حمص وحماة وحاصر حلب (الحنبلي ١٩٦٨،ج١؛ الأصفهاني، ١٩٧٩).

مما سبق نتبين أن السلطان صلاح الدين لم يفرط ببلاد الشام بعد وفاة سيده نور الدين زنكي ٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م ، إذ كثرت الأطماع من حول إبنه الصغير الملك الصالح إسماعيل (٥٦٩-٥٧٧هـ/١١٧٤-١١٨٠م) وهو الوارث الوحيد الذي تسلم مكان والده ، فما هي إلا أيام ويستغل الإفرنج وفاة نور الدين ويتجهون جنوب بانياس بغية الوصول إلى دمشق واخضاعها لسيطرتهم ، لكن صلاح الدين أوقفهم عند حدهم وخرج من مصر على رأس سبعمائة فارس وتمكن من دخول دمشق باستقبال طيب من أهلها وبذلك كسر شوكة الإفرنج في بلاد الشام .

إن جهود صلاح الدين ضد الإفرنج والأمراء الزنكيين لم تكن ذات غايات شخصية (الانفراد بحكم بلاد الشام) إنما أراد أن يتخذ خطوة أولية في فتح بيت المقدس عن طريق توحيد مصر والشام وضم ممتلكات نور الدين زنكي الممتدة من حلب إلى اليمن .(شاندور،١٩٩٣) ٠

بعد أن تجاوز مرحلة الإستعداد الحربي بدأ صلاح الدين بتوجيه ضرباته ضد مراكز الفرنجة خلال الفترة (٥٧٥هـ- ٥٧٩هـ/١١٧٩-١١٨٣م) والتي كانت عبارة عن غارات تكللت بالنجاح في كل من بيروت وعكا وجزيرة أرواد وقبرص وكريت وسواحل آسيا الصغرى الجنوبية(العبادي،١٩٩٥) ثم قام في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م بإرسال حملة أخرى إلى عكا قادها إبنه الأفضل،

واتجه إلى طبرية فحاصرها وفتحها بالسيف إلى أن وقعت المعركة الشهيرة (حطين) ٥٨٣هـ/١١٨٧م والتي سيتم الحديث عنها لاحقا (ابن شداد، ١٩٩٤) .

ب ـ معركة حطين ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م .

بعد النجاح الذي حققه السلطان صلاح الدين في إتمام السيطرة على المناطق الممتدة من النيل إلى الفرات، إذ شكل قوة يحسب حسابها على الصعيدين الداخلي والخارجي ؛ فعلى الصعيد الداخلي سانده ووثق به سكان الأقاليم التابعة له والتي سيطر عليها ، وعلى رأس هؤلاء الخليفة العباسي في بغداد ، وعلى الصعيد الخارجي سعى السلطان السلجوقي ببلاد الأناضول إلى كسب صداقته ، أما الإمبراطورية البيزنطية فلم يتخوف منها لأنها هادنته سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م (عاشور ،١٩٨٢ ،ج٢؛ البيطار، ١٩٨٢ ؛ رنسيمان ،١٩٩٣ ج٢) لذلك فقد حان الوقت المناسب للقيام بإعلان الجهاد العام ضد الغزو الفرنجي الذي اجتاح البلاد منذ ثماني وثمانين سنة ، فقد رأى صلاح الدين أنه مستعد للقيام بهذه الخطوة سيما وأن ثروة مصر بين يديه ؛ وخضعت كلا من دمشق وحلب لحكمه المباشر وثبت أقدامه على الثغور التي قد يصل منها أمدادات أوروبية ، فأحكم سيطرته على طول البحر المتوسط والبحر الأحمر ، واستعد لذلك وحصن أسوار الموصل الشمالية (رنسيمان ١٩٩٣ ج٢) .

جاءت الفرصة المواتية للقضاء على الإفرنج ففي مطلع سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٣م ؛ ضعفت مملكة القدس اللاتينية بسبب المنازعات الداخلية في قضية ولاية العرش إذ اعتلى بلدوين الخامس(١١٨٥-١١٨٦م) العرش بعد والده بلدوين الرابع (١١٧٤-١١٨٥م)وما لبث أن مات الملك بلدوين الخامس وتلاه غاي دي لوز نيان (١١٨٦-١١٨٧م)ملكا وهذا برأي الأفرنج لايستحق المنصب، لأنه كان مكروها وليس له سلطة في بلده ولا الخبرة الكافية في تنظيم الأمور قبل أن يأتي إلى القدس (رنسيمان ١٩٩٣ ، ج٢). وفي ظل هذه الظروف المواتية لهجوم صلاح الدين، حدث أمر آخر أثار غضب السلطان وشجعه على الإسراع في تخليص بيت المقدس من الغزو الفرنجي ؛ ألا وهو قيام أرناط (بارون الكرك) بالإنقضاض على قافلة تجارية للمسلمين كانت متجهة من القاهرة إلى دمشق سنة ٥٨٢هـ/ مطلع ١١٨٧م

وقام بالاعتداء عليها؛ آخذاً ما بحوزتها وأسر من فيها وسامهم سوء العذاب (ابن واصل , ١٩٥٧ ج٢؛ ابن الأثير ١٩٧٩،ج١١؛ عاشور،١٩٨٢،ج٢؛ البيطار، ١٩٨٢ ؛ أبو شامة ، ١٩٩٧، ج٢).

ولم يقف أرناط عند هذا الحد ، إذ قرر أن يعترض قافلة الحجيج القادمة من مكة إلى بلاد الشام وهذه القافلة تذكر المصادر أنه كان فيها أخت صلاح الدين ، (ابن واصل ١٩٥٧، ج٢ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩ ، ج١١).

وبهذا لن يبقى لصلاح الدين عذرا لئن يبطئ في الهجوم على الفرنجة على الرغم من أنه تروى في فعلة أرناط الأولى ؛ فقام بتذكير الملك بالهدنة المبرمة بينهما، وطلب من الملك (غاي دي لوزنيان ١١٨٦-١١٨٧). إعادة ما سلبه أرناط ، وان يطلق سراح الأسرى ، إلا أن الملك لم يكن قادرا على ردع أرناط . لذلك فقد أعلن السلطان صلاح الدين الأيوبي الجهاد ضد الافرنج وعمم ذلك على البلاد الاسلامية لجمع القوى المسلمة والتي تتمثل بالموارد البشرية وعدة القتال وتستعد لحرب أرناط ، واتجه من دمشق – مستخلفا إبنه الاكبر (الأفضل) في حوران قرب دمشق وجعله نقطة تجمع القوات الإسلامية – إلى بصرى ليحول دون اعتداء إرناط على قافلة الحجاج المذكورة سابقا ، وقد تمكن صلاح الدين من منع أرناط من الإعتداء على هذه القافلة ، ثم اتجه الى الكرك ومعه اثنا عشر ألف فارس ، فحاصرها وأفسد مزروعاتها وفعل نفس الشيء في الشوبك ، ثم التقى بإبنه العادل القادم من مصر على رأس حملة كبيرة (الأصفهاني،١٨٨٨ ؛ ؛ ابن الجوزي، ١٩٥١، ج٨، ق١ ؛المقريزي، ١٩٩٧،ج١) .

واتجه هو والعادل إلى حوران حيث الأفضل و قد تجمعت حوله حشود المسلمين وقد وصفهم الأصفهاني بما يلي "....والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء ، في جمع عظيم من العظماء ... والجيش الجائش والجنود (المجندة) والفيالق الفوالق..." (الأصفهاني ، ١٨٨٨) .

وكان قد قام بتأمين خطوط المواصلات بين دمشق وفلسطين ومصر والجزيرة العربية ، ففي سنة (٥٨٠ هـ /١١٨٤ م) أوعز الى أميرة عز الدين أسامة بن منقذ (واليه في دمشق) التي كانت من جند الأردن أوعز إلية الشروع في بناء قلعة بين دمشق في الجنوب ،

وفلسطين في الشمال الغربي ، وذلك للحفاظ على طرق المواصلات والسيطرة على الأراضي الممتدة بين غور الأردن في الشمال وأقليم الشراه في الجنوب وقد وقع اختيار الأمير عز الدين اسامه على جبل عوف ليبني على قمته قلعة عجلون ، وذلك لما تتمتع به هذه القمة من أهمية استراتيجية ، تحقق أهداف السلطان صلاح الدين الايوبي التي تتمثل بالإطاحة بمملكة اللاتين في بيت المقدس ثم الحيلولة دون توسعهم في جنوب الاردن وبالتالي إسقاط قلاعهم في كل من الكرك والشوبك (التل ، ١٩٨٨) .

ويمكن أجمال أهمية جبال عوف الاستراتيجية بأنها المكان الذي يمكن من خلاله مراقبة المنطقة المحاذية لوادي الأردن من طبرية حتى البحر الميت ، ثم مراقبة فلسطين ، إذ أن جبال عجلون تشرف على سلسلة جبال فلسطين الممتدة من القدس وحتى صفد (المومني ، ١٩٨٥) .

لقد بنيت القلعة بخصائص تناسب أهميتها الاستراتيجية والدفاعية ، إذ أحيطت بخندق عميق يتراوح عرضة بين (١٠- ١٥ م) ويعبا بالماء ليحول دون وصول الغرباء اليها بسهولة ولا يمكن الدخول لبوابتها الوحيدة إلا بواسطة جسر خشبي، وقد زودت بمخازن وغرف للقادة وآبار في طابقها الأرضي يبلغ طولها سبعين متراً ، وعرضها خمسين متراً ، هذا وقد أحيطت بستة أبراج مربعة ، ثلاثة من الشرق ، وثلاثة من الغرب ، وقد زودت بنوافذ للمراقبة وفتحات لاطلاق الأسلحة الدفاعية بالإضافة الى احتوائها على محطات للحمام الزاجل الذي كان يتداول الرسائل بين القاهرة ودمشق (التل ، ١٩٨٨) .

وبهذا فقد حققت عجلون أمل السلطان صلاح الدين الأيوبي كونها مكاناً لتركز المؤن والمقاتلين القادمين من الشام ومصر فكانت قاعدة للتخزين ، والإمداد ، والتجهيز ، ومحطة للإنذار ومركزاً للاتصالات وحلقة وصل ما بين دمشق وفلسطين ومصر(المومني ،١٩٨٥)

تجمع اثنا عشر ألفا من المقاتلين واتجه بهم صلاح الدين يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ/١١٨٧م ، وتمركزوا في المنطقة المحيطة ببحيرة طبرية (الأصفهاني، ١٨٨٨ ؛ ابن شداد، ١٩٩٤)، في حين أن الإفرنج كانوا قد احتشدوا في صفورية ومعهم صليب الصلبوت[1] وبلغ عددهم نحو خمسين ألفا ، وبهذا فقد نجح صلاح الدين في استدراج القوات الفرنجية نحو طبرية فتوجه بقواته باتجاه غرب طبرية في حين كان الإفرنج على

[1] صليب الصلبوت : خشبةالصليب التي صلب عليها السيد المسيح.

سفح جبل طبرية (قرون حطين)[1] وقد انهكهم الحر وقلة الماء ، فقام بمحاصرتهم والاحاطة بهم ، وامر باشعال النار لانهاكهم . وقد ساعدت حركة الرياح بتوجه الحرارة والدخان نحوهم والتي ابادت اعدادا غير قليلة من المقاتلين وانتهت هذه الاحداث باستسلام الملك غاي دي لوزنيان وحاشيته ، (الاصفهاني، ١٨٨٨؛ ابن الجوزي، ١٩٥١،ج٨ ، ق١؛ ؛ ابن الأثير، ١٩٧٩،ج١١ ؛ أبو شامة ١٩٩٧، ج٣؛ المقريزي،١٩٩٧،ج١).

- **دخول المدينة المقدسة :**

وصل السلطان صلاح الدين الايوبي أسوار المدينة المقدسة في ١٥ رجب ٥٨٣ هـ/٢٠ أيلول ١١٨٧م عبر الطريق الواصل بين الساحل والمدينة والذي يمر بالرملة واللطرون وبيت نوبة (الحياري، ١٩٩٤) . وقام باختيار مناطق الضعف في أسوار المدينة فقد قرر الهجوم من الجهة الشمالية ، قرب كنيسة صهيون وقام بتنصيب المنجنيقات نحو باب العمود وتمركز في هذه الجهة (الشمالية) من يوم الجمعة ٢٠ رجب ٥٨٣ هـ/٢٦ أيلول ١١٨٧م ، وقد قام قتال عنيف بين الفريقين (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢ ؛الأصفهاني، ١٩٧٩ ؛ابن الأثير، ١٩٧٩،ج١١ ؛ ابن شداد، ١٩٩٤) هذا وقد امتلأت المدينة بالسكان خلال تلك الأيام فهرع إليها الفرنجة والنصارى المحليين من مناطق فلسطين الساحلية والجنوبية والوسطى (الحياري، ١٩٩٤) .

عندما رأى الإفرنج عدم تكافؤ الفريقين قام باليان (أحد أمراء الإفرنج) بالتفاوض مع السلطان صلاح الدين وطلب الأمان ، فرفض السلطان هذا العرض، وأراد أن يدخلها بالسيف كما دخلوها قبل ثماني وثمانين (سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م)، إلا أنه أعطى السكان الأمان بعدما أقنعه أمراؤه بذلك، وتم تسليم المدينة مقابل دفع فدية بلغت عشرة دنانير عن كل رجل وخمسة دنانير عن كل أنثى وديناران عن كل طفل ذكر كان أم أنثى ، على أن يتم هذا الدفع خلال أربعين يوما، ومن لم يدفع خلال هذه المدة يصبح مملوكا (الأصفهاني ، ١٨٨٨ ؛ ابن الأثير ، ١٩٧٩ ، ج١١ ؛ ؛ ابن الجوزي ، ١٩٥١،

---

(١) انظر خريطة (٣) معركة حطين (ص :) .

ج٨، ق٢ ؛ الحنبلي ١٩٧٣ ، ج١؛ الأصفهاني، ١٩٧٩ رنسيمان ، ١٩٩٣، ج٢ ؛ إبن شداد ، ١٩٩٤) .

وبهذا فقد تم تسليم المدينة في نفس يوم الإسراء الكريم الذي تحتفل به الشعوب الإسلامية يوم ٢٧ رجب من سنة ٥٨٣هـ الموافق ٢ تشرين الأول ١١٨٧م ، وقد عم الفرح وابتهج المسلمون بهذه المناسبة ورفعت الأعلام والرايات الإسلامية في المدينة (الحنبلي، ١٩٦٨ ، ج١ ؛ أبن الأثير، ١٩٧٩،ج١١ ؛ أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣ ; Schaefer, 1985) ، فقد غدت معركة حطين وفتح بيت المقدس من أقدس المعارك في التاريخ الاسلامي ؛ اذ قام السلطان صلاح الدين بإرسال سبعين كتابا إلى زعماء الدول الإسلامية المجاورة على رأسهم الخليفة العباسي في بغداد (ابن الجوزي، ١٩٥١، ج٨ ، ق١) .

ان أول ما استرعى اهتمام السلطان صلاح الدين في المدينة المقدسة هو إعادة منطقة الحرم القدسي الشريف إلى طابعها الإسلامي فقام بإزالة ما تم إضافته في الفترة الفرنجية والتي اشتملت على الإضافات التي أضافوها لتخدم دينهم ، فقام بإزالة الصور من قبة الصخرة وإزالة التغيرات والمرافق التي ألحقت بالمسجد الأقصى ثم نظفت منطقة الحرم وغسلت بالماء وتم جلب ماء الورد من حماة لغسل الصخرة المشرفة . وأعمال اخرى سينفرد الفصل الرابع من هذه الدراسة بالحديث عنها ، (الأصفهاني،١٨٨٨) .

وفي الجمعة الأولى بعد الفتح ألقيت الخطبة في المسجد الاقصى والتي اختير لها القاضي محيي الدين أبو المعالي محمد بن الزكي وتحدث فيها عن الفتح الجليل وفضائل المسجد الاقصى. (الاصفهاني، ١٨٨٨؛ الحنبلي، ١٩٧٣، ج١; Schaefer , 1985).

ج- الموقف الأوروبي بعد معركة حطين ٥٨٣هـ/ ١١٨٧ م :

استاءت أوروبا بعد أن تمكن السلطان صلاح الدين من دخول بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وطرد الإفرنج منها ، فما هي إلا خمس سنوات ويجهز الغرب الأوروبي حملة دعيت بالحملة الصليبية الثالثة هدفها استرداد بيت المقدس من المسلمين ، وكان قد تزعمها ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، وفيليب أوغسطوس ملك فرنسا ، وفريدردك بربروسا أمبراطور

ألمانيا ، والتي تمكنت من الوصول إلى مدينة عكا ودخولها ١٢ جمادي الاخرة ٥٨٧ هـ/١٢ تموز ١١٩١م ، (رنسيمان ،١٩٩٣ ، ج٤) .

في ظل هذه الأحداث التفت السلطان صلاح الدين إلى تحصين مدينة القدس للحيلولة دون وصول هذه الحملة إليها ودخولها ، فقام بحفر خندق حول سور المدينة ووصف الأصفهاني ما قام به على النحو التالي " وصمم السلطان على حفر خندق جديد ، عميق ، وإنشاء سور وثيق وأحضر من أسارى الفرنج قريب ألفين ، ورتبهم في العمارتين ، وجدد أبراجا حربية من باب العمود إلى باب المحراب " (الأصفهاني، ١٨٨٨) .

" وسلم كل برج إلى أمير يتولى عمله ، فعمل ولده الأفضل من ناحية باب العمود إلى باب الرحمة ، وارسل أتابك عز الدين مسعود ، صاحب الموصل ، جماعة من الحصاصين ، ممن له في قطع الصخر اليد الطولى فعملوا أبراجا وبدنة " (ابن الأثير، ١٩٧٩ ، ج١٢) .

قام ريتشارد قلب الأسد بالتفاوض مع السلطان صلاح الدين لتسليم المدينة؛ وعرض عليه زواج شقيق صلاح الدين العادل من أخته الملكة جوانا (ملكة صقلية) ، وأن تحكم المدينة حكما مشتركا يتقاسمه الزوجان (ابن شداد، ١٩٩٤) ، وكان هدف ريتشارد من هذا العرض " خديعة ومكرا " (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١٢) لذلك فقد قوبل بالرفض من قبل صلاح الدين .

توصل ريتشارد إلى قناعة تامة ألا وهي أنه لا يستطيع مجابهة استعدادات وحصانة السلطان صلاح الدين في المدينة المقدسة ، مدركا استحالة إخضاع هذه المدينة ، سيما وأن الخلافات قد تزايدت بين الفرنجة أنفسهم (رنسيمان ١٩٩٧، ج٤) ، لذلك فإنه ارتاى أن يفاوض صلاح الدين في المصالحة ، وانتهت هذه المفاوضات بعقد صلح الرملة في ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨هـ/٢ أيلول ١١٩٢(الأصفهاني، ١٨٨٨؛ ابن شداد، ١٩٩٤) ، وقد نسب هذا الصلح إلى مدينة الرملة لأنه حصل فيها ، حيث تجمع فيها الافرنج بعد أن فشلوا في دخول المدينة المقدسة .

لم يمس هذا الصلح مدينة القدس والمسلمين بسوء ، والبند الوحيد الذي يمس القدس مباشرة من هذا الصلح، هو منح ريتشارد الحق بالسماح للحجاج بزيارة المدينة المقدسة ٠ (لتل ،١٩٩٢)

عادت الحياة الطبيعية إلى القدس بعد هذا الصلح ، إذ فرح الطرفان لما آلت إليه المدينة ، وزادت أعداد الحجاج إلى المدينة، وبهذا فقد نشطت الحركة التجارية في المدينة (ابن شداد، ١٩٩٤ ؛ أبو شامة، ١٩٩٧،ج٣). أما ريتشارد فقد غادر عبر البحر المتوسط صوب بلاده (الأصفهاني، ١٨٨٨) .

بعد أن اطمأن السلطان صلاح الدين على وضع المدينة المقدسة اتجه إلى دمشق في شوال سنة ٥٨٨ هـ/ تشرين الثاني ١١٩٢ م ، وولى على المدينة عز الدين جرديك (أحد مماليك نور الدين) (الأصفهاني، ١٨٨٨ ؛ ابن شداد، ١٩٩٤) ، ولم يطل مقام صلاح الدين في قلعة دمشق، إذ توفي فيها في ١٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ/ ٤ آذار ١١٩٣ م عن عمر يناهز الرابعة والخمسين عاما (ابن شداد، ١٩٩٤) ودفن في القلعة ، مخلفا سبعة عشر ولدا وإبنة صغيرة ، ولم يعثر في خزانته سوى دينار واحد وست وثلاثين درهما (الأصفهاني، ١٨٨٨) .

وبهذا انطوت صفحة من صفحات التاريخ المشرقة ، التي شهدت قائدا عظيما جمع الكلمة ووحد الصفوف ، وبدد الظلام ، إذ استطاع أن يشكل دولة مترامية الأطراف تحت شعار واحد (لا إله إلا الله) على الرغم من القوة الفرنجية التي شهدتها المنطقة ، إلا أنه استطاع أن يهزمهم بأساليب حبكت ودرست جيدا ، فأسقط معاقلهم وحصونهم الواحد تلو الآخر، إلى أن قيد حدودهم ، وتمكن من هزيمتهم و طردهم من المدينة المقدسة .

ثالثا – المجتمع والسكان في القدس خلال العصر الأيوبي : (١)

اشتملت الأحياء السكنية في القدس خلال العصر الأيوبي على أحياء للمسلمين وأخرى لأهل الذمة ، وهي كالتالي :

– المسلمون :

١. **حي المسلمين** : وهو أكبر الأحياء في تلك الفترة ، يشغل الجزء الشمالي الشرقي من المدينة ، بحيث يمتد من باب العمود شمالا حتى باب السلسلة جنوبا (Tibawi , 1978) .

---

(١) أنظر المخطط رقم (١) .

٢. **حي المغاربة** : يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة ، ويتمتع بموقع استراتيجي في المدينة ، فهو يقع غرب المسجد الأقصى والصخرة ومنطقة البراق ، وإلى الشرق من حي اليهود ، وله باب يدعى (باب المغاربة) (Tibawi , 1978) ، أنشئ هذا الحي عندما قدم المغاربة إلى المدينة سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م عندما طلب منهم ذلك صلاح الدين ، للوقوف الى جانبه في حال حدوث تمرد فرنجي – صليبي على القدس ، (خليل ١٩٩١) .

٣. **حي الأكراد** : يقع إلى الشرق من حي اليهود وإلى الغرب من حي المغاربة (Tibawi , 1978) ، وقد جاء الأكراد إلى المدينة عندما صحبوا السلطان صلاح الدين أثناء فتوحاته ، واستوطن بعض منهم في هذا الحي. (خليل، ١٩٩١) .

– أهل الذمة :

١. **حي النصارى** : مكث النصارى المحليون في القدس كأهل ذمة للمسلمين ، وسكنوا قرب كنيسة القيامة (الأصفهاني ، ١٨٨٨) .

٢. **حي اليهود** : بعد أن سمح السلطان صلاح الدين الأيوبي بعدد محدود من اليهود ، تم توطينهم في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة . (Tibawi , 1978) .

الفصل الثالث

المخلفات الأثرية في الحرم القدسي الشريف
خلال العصر الأيوبي
٥٦٤-٦٤٨ هـ / ١١٦٥-١٢٥٠ م

أولاً: اهتمام الأيوبيين بمدينة القدس بعد الفتح الصلاحي ٥٨٣هـ/١١٨٧م:

استمر حكم الفرنجة للمدينة المقدسة مدة ثماني وثمانين سنة امتدت من ٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م، بعد أن أسسوا فيها مملكة اللاتين التي امتدت حدودها من "سمت مصر من العريش، وعلى صوب الحجاز من الكرك والشوبك،وتمتد من البلاد الساحلية إلى منتهى أعمال بيروت" (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢)، وجعلوها عاصمة لهذه المملكة. وقد بذل الفرنجة ما بوسعهم لتغيير طابع المدينة، فقد أصبحت في نظرهم ـ كونها عاصمة لمملكة اللاتين ـ مدينة يقصدها الحجاج القادمين من مناطق عديدة من أوروبا، فأول ما شرع به الإفرنج هو تحصين سور المدينة كونه خط الدفاع الرئيسي عنها، وعلى الأخص السور الشمالي، إذ كان يحوي مناطق ضعف، ثم قاموا بتزويد السور بعدد من الأبراج كبرج تانكرد الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من السور، ثم قاموا ببناء برجين آخرين قرب باب صهيون. (الحياري، ١٩٩٤).

قام الفرنجة بتغيير وتحويل المعالم الإسلامية في المدينة لخدمة أغراض دينهم، فالتفتوا إلى المسجد الأقصى، وحولوه إلى كنيسة أطلق عليها (Palatium Solomone)، وتحول الجزء الغربي منه إلى معقل لفرسان الداوية ، وتم استحداث جناح جديد فيه استخدم كمستودع للأسلحة، أما السراديب الواقعة أسفل المسجد (الأقصى القديمة) فقد استخدموها لتكون إسطبلات لخيولهم (الأصفهاني، ١٨٨٨). وقبة الصخرة فقد تحولت إلى كنيسة وسميت بـ (Tempelum Domini)، ووضع أعلاها صليب كبير ومذهب، وزينت من الداخل بالصور الآدمية والحيوانية (سترانج، ١٩٧٠). ومن المباني التي تم تحويلها خلال هذه الفترة المدرسة الشافعية (الواقعة خارج السور الشمالي للحرم)، فقد حولت إلى كنيسة القديسة حنة (آنا) (الأصفهاني، ١٨٨٨). كذلك وجهوا أنظارهم نحو كنيسة القيامة فأضيفت لها الإضافات والمرافق الجديدة (الحياري، ١٩٩٤). هذا وقد استحدثت مباني جديدة في المدينة خلال هذه الفترة والتي تمثلت بالكنائس والأديرة ، إذ بني عدد لا بأس به من الكنائس. بالإضافة إلى بناء الفنادق لتأوي الحجاج القادمين من شتى أنحاء أوروبا (Burgoyne, 1987).

عندما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس فاتحاً سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أصبحت المدينة ولاية صغيرة تابعة له، فقام بإعادة الطابع الإسلامي إليها، وإزالة كل أثر يبين أن بيت المقدس عاصمة للملكة اللاتين، إذ أن أول ما استرعى اهتمامه هو منطقة الحرم الشريف، فأعاد المسجد الأقصى إلى سابق عهده وأزال كل الإضافات التي أضيفت إليه خلال الفترة الفرنجية، فقام بتجديد المحراب وترخيمه، حيث قام الإفرنج ببناء جدار على هذا المحراب كمستودع للغلال (الأصفهاني، ١٨٨٨)، وقد اشتمل تجديده بنائه بالرخام الجديد، وزينه

بالفسيفساء. وكتب عليه نقشاً مذهباً يبين هذه التجديد (أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣). ثم جلب المنبر الذي أمر بصنعه نور الدين محمود زنكي في المدرسة الحلوية بحلب سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وقام بتنصيبه في مكان المنبر الذي أحرقه الإفرنج عندما احتلوا المدينة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢). وقد تابع السلطان اهتمامه بمنطقة الحرم الشريف فاتجه نحو قبة الصخرة، وأزال الصليب الذي كان يعلوها، والرسوم والصور التي رسمت على جدرانها من الداخل، وقام بإزالة الرخام الذي كسا به الإفرنج الصخرة المشرفة، وغسلت بماء الورد الذي جلب لها من حلب (الأصفهاني، ١٨٨٨). ومن المباني الواقعة خارج سور الحرم الشريف كنيسة القديسة حنة (آنا) والواقعة عند باب الأسباط، والتي كانت في الأصل مدرسة، وأعادها مدرسة لتعليم الفقه الشافعي ووقفها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وقد سميت بالمدرسة الصلاحية أو الناصرية (الحنبلي، ١٩٧٣، ج١). والبيمارستان الصلاحي الذي حوله الإفرنج إلى كنيسة، قام صلاح الدين بإعادته إلى سابق عهده وجعله بيمارستاناً لمعالجة المرضى ولتعليم مهنة التداوي (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢). أما الخانقاه الصلاحية والتي تقع شمال غرب كنيسة القيامة فقد أنشأها السلطان صلاح الدين بعدما كانت قصر البطريرك الفرنجي، وقد وقفها للمتصوفة سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م (الأصفهاني، ١٨٨٨) (انظر المخطط رقم ٢) .

بعد أن قام السلطان صلاح الدين بإعادة الطابع الإسلامي إلى منطقة الحرم الشريف، وتحويل بعض المباني المسيحية لأغراض إسلامية خارج منطقة الحرم اتجه إلى تحصين أسوار المدينة وكان هذا بعد ثلاث سنوات من الفتح الذي أنعم الله به عليه . كما نلاحظ أن اهتمامات السلطان بعد الفتح الجليل تركزت على منطقة الحرم وهذا نهج من خلفه من أبنائه وأبناء أخوته' ولم يكن من أولويات أعماله تحصين أسوار المدينة؛ وذلك لانه ضمن عدم وجود خطر مباشر يهدد أمن المدينة، بالإضافة إلى أن عمليات التحصين تحتاج إلى طاقات مادية وبشرية كان قد وفرها لإعادة الطابع الإسلامي إلى وسط المدينة والحرم.

شرع السلطان ببناء سور المدينة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وذلك على أثر تزايد الخطر الفرنجي عندما قاموا بمحاصرة عكا والذي تزامن مع قدوم الحملة الفرنجية الثالثة فأسرع في عملية بناء السور وحفر حوله خندقاً وقسم العمل على أبنائه، وأخيه العادل واستخدم عدداً من أسرى الفرنج. وتخبرنا المصادر أنه كان يقوم بعمليات قطع ونقل الحجارة بنفسه وكانت إضافاته هذه من باب العمود إلى باب الخليل (الأصفهاني، ١٨٨٨؛ ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢).

لم يقتصر الاهتمام بالمظاهر العمرانية وإعادة المدينة إلى قدسيتها على السلطان صلاح الدين الأيوبي، بل انتهج خلفاؤه من بعده نهجه في عمارة المدينة، فقد شاركه الملك العادل

(٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م)عملية تحصين سور المدينة وبناء الخندق (الأصفهاني، ١٨٨٨) وقام بإنشاء المطهرة الواقعة في الجزء الغربي من الحرم الشريف سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وأنشأ الكأس في ساحة المسجد الأقصى (الحنبلي، ١٩٧٣، ج١) هذا وقد جددت في عهده قبة المعراج في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، والواقعة في صحن الصخرة المشرفة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢).

أما الملك الأفضل وعلى الرغم من قصر مدة حكمه للقدس، فقد ترك لنا آثاراً عمرانية كالمدرسة الأفضلية ٥٨٩هـ/١١٩٣م الواقعة في حي المغاربة، وجامع عمر الذي بناه قرب كنيسة القيامة سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وقام ببناء المدرسة الجراحية خارج سور المدينة (الحنبلي، ١٩٦٨،ج٢) (انظر المخطط رقم ٢) .

لقد بلغت العمارة أوجها في العهد الأيوبي خلال فترة حكم الملك المعظم عيسى بن العادل (٦١٥-٦٢٣هـ/١٢١٨-١٢٢٦م)، إذ ترك لنا آثاراً متعددة تركزت في منطقة الحرم الشريف، فأنشأ المدرسة النحوية وقبتها سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م الواقعة في صحن الصخرة المشرفة الجنوبي، والمدرسة المعظمية (الحنفية) سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م (العسلي، ١٩٨١) والمدرسة البدرية سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م الواقعة خارج السور الغربي للحرم الشريف (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢). وقام ببناء القناطر الجنوبية الشرقية لصحن الصخرة المشرفة سنة ٦٠٨هـ/١١١١-١٢١٢م (Burgoyne, 1987)، وجدد بوابات عديدة من بوابات سور الحرم الشريف(باب العتم ٦١٠هـ/١٢١٣م، باب السلسلة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، باب الناظر ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، باب خطة ٦١٣هـ/١٢١٦م) ، بالإضافة إلى تجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى سنة ٦١٤هـ/١٢٢٦م، والمكون من سبعة عقود، وحدد الأبواب الخشبية عند مدخل المسجد الأقصى. وقام ببناء سبيل شعلان سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م (الحنبلي، ١٩٦٨،ج٢).

ومما يؤسف له فإن الازدهار العمراني الذي شهدته المدينة إبان حكم الملك المعظم عيسى قد شهد تراجعاً، وذلك عندما أمر الملك المعظم بهدم أسوار المدينة وتحصيناتها ومنشآتها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م باستثناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وكنيسة القيامة، وبرج داود وذلك حتى لا يستفيد الإفرنج من تحصيناتها، وأخليت المدينة من السكان خوفاً منهم وأن يكرروا ما عملوه بالمدينة وأهلها سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، لأنه اعتقد أنهم سيحتلون المدينة بعدما وصلوا مصر.

ولم يقف التدهور العمراني للمدينة عند هذا الحد، فقد شهدت المدينة حدثاً سيئاً وهو قيام الملك الكامل (٦٢٥-٦٢٦هـ/ ١٢٢٨-١٢٢٩م) ، بتسليم المدينة إلى إمبراطور ألمانيا

فريدريك الثاني سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، وكان من شروط هذا التسليم أن تبقى المدينة خراباً كما هي، ولا يجدد فيها أي أثر، إلا أن الإفرنج قاموا بنقض هذه الشروط فقاموا ببناء القلعة وبرج داود (ابن الجوزي، ١٩٥٢، ج٨،ق٢)

لقد عادت المدينة إلى الازدهار العمراني في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٥ –٦٤٨هـ/١٢٤٧–١٢٥٠م) والذي صرف أموالاً طائلة على اعمار المدينة، إذ قام ببناء قبة موسى سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م والواقعة خارج الزاوية الجنوبية الغربية لصحن الصخرة المشرفة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢).

من الملاحظ أن النشاط العمراني خلال العهد الأيوبي في المدينة المقدسة قد تركز في منطقة الحرم القدسي الشريف (انظر المخطط رقم "٣")، إذ أن هذه البقعة – والتي تبلغ مساحتها ٥٠٠×٣٠٠ متراً مربعاً، وتقع في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة التي تشغل ما مساحته ما يقارب كيلومتراً مربعاً واحداً – كانت تعني الكثير للأيوبيين، فعملوا على إعادة طابعها الإسلامي الذي انتهك خلال العهد الفرنجي ، وتغيب عنها مدة ثماني وثمانين سنة، كانت المدينة خلالها عاصمة لمملكة اللاتين، بالتالي أصبحت فرنجية مسيحية الطابع.

كان اهتمام الأيوبيين بمنطقة الحرم القدسي الشريف منذ الفتح الصلاحي لها ، وقد تولى السلطان صلاح الدين ذلك بنفسه ثم تبعه في ذلك من خلفه من أبنائه وأبناء أخوته، وقد أقيمت وتحولت منشآت لخدمة المسلمين خارج أسوار منطقة الحرم، ولكنها ليست بالمقدار الذي أنشئ ورمم في منطقة الحرم الشريف (انظر المخطط رقم "٣")،

حتى أن الاتفاق الذي تم بين الملك الكامل وفريدريك الثاني سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م لم يشمل وقوع الحرم الشريف ضمن السيطرة الفرنجية، إذ وقعت سلطة هذه المنطقة تحت سيطرة الملك الكامل.

ثانياً: المنشآت المعمارية الايوبية في الحرم القدسي الشريف :

أبدى الأيوبيون اهتمامهم بعمائر الحرم القدسي الشريف؛ سواء في استحداث معالم معمارية جديدة، أم في تحويل العمائر السابقة للفتح الصلاحي ، ووقفها لتخدم المسلمين والمقدسات الإسلامية، أم في عمليات الترميم والتي تمثلت بتوفير الأمن لمنطقة الحرم فأجريت عمليات الترميم لأسوار المدينة وأبواب الحرم.

أ. مباني شيدت خلال العصر الأيوبي:

لم يكتف الأيوبيون بالمعالم المعمارية داخل منطقة الحرم الشريف، بل قاموا ببناء معالم معمارية جديدة، أخبرتنا المصادر المعاصرة لها أنها بنيت وأسست بعد الفتح الصلاحي للمدينة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكان الهدف من استحداث هذه العمائر الحاجة الماسة إليها، سيما وأنها دينية الطابع وبالتالي حتى تتأكد قدسية الحرم، وإعادته إعادة فعلية إلى الطابع الإسلامي، الذي غاب عنه قرابة ثماني وثمانيين سنة.

قام السلطان صلاح الدين ببناء قبة يوسف سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وهي تقع إلى الجنوب من قبة الصخرة، ثم قام الملك العادل ٥٩٦هـ/١١٩٩م-٦١٥هـ/١٢١٨م باستحداث الكأس والتي لا تزال ماثلة إلى اليوم في الساحة الشمالية للمسجد الأقصى، وكذلك قام بإنشاء المطهرة؛ ولسنا بصدد الحديث عنها لأنها تقع خارج منطقة الحرم الشريف. أما المعظم عيسى ٦١٥هـ/١٢١٨م-٦٢٤هـ/١٢٢٧م فقد استحدث المدرسة النحوية لتعليم الفقه واللغة العربية.

كما قام ببناء سبيل شعلان في الزاوية الشمالية الشرقية للحرم الشريف.

أما الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٣هـ/١٢٤٥م-٦٤٧هـ/١٢٤٩م فقد أنشأ قبة موسى والتي أنشئت كمبنى تذكاري في آخر أيام حكمة .

ب. مباني كانت موجودة في الفترات السابقة وأعيد استخدامها:

وهي تلك المباني التي كانت موجودة قبل الفتح الصلاحي ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وقد شيدت قبل العهد الفرنجي في المدينة/ الحرم، وقاموا (الإفرنج) بتحويلها كمرافق لخدمتهم. ومن الأمثلة عليها جامع النساء وهو في الأصل بناء فاطمي (الحنبلي، ١٩٦٨)، وفي العهد الفرنجي تم تحويله إلى مكان لطعام فرسان الهيكل، وقد تحول هذا المبنى إلى جامع النساء منذ أن قام صلاح الدين بطرد الإفرنج من المدينة.

أما الزاوية الختنية التي أنشأها صلاح الدين كمعلم ديني خلف المسجد، فهي بناء قديم منذ الفترة الرومانية (الحنبلي، ١٩٦٨) وقد استخدمها الإفرنج كمساكن لأمراء الصليبيين (Burgoyne, 1987).

وقبة سليمان التي يرجح أصل بنائها إلى الفترة الأموية (الحنبلي، ١٩٦٨) وقد استخدمها الإفرنج وسميت بعرش المسيح (Burgoyne, 1987) أما قبة المعراج فقد استخدمها الإفرنج أيضاً وسميت خلال احتلالهم للمدينة ببيت المعمودية الصليبية (Burgoyne, 1987وقد بنيتقبة المعراج في وقت سابق لاحتلال الفرنجة ، وكانت الغاية من تشييدها أن تكون ذكرى معراج النبي الكريم إلى السماوات العلى.

ج ـ عمليات الترميم:

حافظ الأيوبيون – منذ أن خلصوا المدينة من الفرنج سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م على حدودها وأسوارها إذ قام السلطان صلاح الدين بترميم السور وإعادة بنائه وحفر خندق حوله، وجدد عدداً من الأبراج في هذا السور، كما بذلوا عناية خاصة بسور منطقة الحرم الشريف وبواباته، فقد ترك لنا الملك المعظم عيسى ٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٧م عدداً من الكتابات على الألواح التذكارية الموجودة على الأبواب والأروقة التي رممها وجددها ، والتي تمثلت بترميم الرواق الشمالي للمسجد الأقصى وباب السلسلة وباب حطة وباب الناظر وباب العتم.

الغايات الوظيفية للمباني خلال العصر الأيوبي:

ينفرد هذا البند بالحديث عن أقسام المباني خلال العصر الأيوبي، سواء كانت أيوبية البناء والتشييد؛ أم حصل لها عمليات تجديد أم أجريت عمليات حفظ وصيانة، وذلك من خلال غاياتها الوظيفية الأولى واستعمالاتها ويمكن إجمالها بالشكل التالي:

١. المباني الدينية: (الجوامع، الزوايا، المدارس).
٢. مباني الخدمات: الكأس، صهريج المعظم عيسى، السبيل.
٣. المباني الدفاعية: (تجديد سور المدينة).
٤. المباني التذكارية: ترميم بوابات الحرم الشريف، القباب.

١ ـ المباني الدينية:

لقد نشطت الحياة الفكرية والدينية على حد سواء في بيت المقدس بعد الفتح الصلاحي للمدينة، وقد تعددت روافد تلك الحياة الفكرية والتي تمثلت بإنشاء المراكز العلمية مثل المدارس والمساجد والزوايا والمكتبات والبيمارستانات. وقد درست في هذه المراكز العلوم المختلفة: العلوم الدينية، علوم اللغة العربية، التاريخ، الجغرافيا، العلوم العقلية وغيرها.

أ.المساجد / الجوامع:

تعتبر المساجد من المباني الوظيفية بالإضافة إلى أنها أول ما بنيت في العمارة الإسلامية، وقد أعدت ضمن مخططات جديدة، ولم يؤخذ بعين الاعتبار في بنائها، أن تكون مقلدة لمبنى سابق، وكان الغرض الأساسي منها العبادة، وكانت المساجد منذ نشأتها الأولى للاجتماعات والتعليم بالإضافة إلى كونها مكان يجتمع به مجلس الشورى (الحاكمين) في صدر الإسلام (مؤنس، ١٩٨٢).

تمثلت المساجد بنوعين وهما: المساجد الكبيرة الجامعة وتكون لعموم أهل المدينة وتقام فيها صلاة الجمعة؛ والمساجد الصغيرة نسبة إلى عدد من المصلين فيها؛ والتـي يخضـع لهـا المصليات وجوامع النساء.

أطلقت تسمية الجامع على مكان تجمع المسلمين، ليؤدوا فرائضهم على مواعيدها فهـو قبل أن يكون مسجد كان يسمى جامعاً. هذا وقد اتخذ المسلمون النهج الذي اتبعه الرسول الكريم حينما بنى مسجده الأول في المدينة، والذي كان جزءاً من حوش بيته صلوات الله عليه، وسـقفه بفروع النخيل. (Creswell, 1969)

اقتدى المسلمون ببناء مسجد الرسول لأنهم رأوا أنه لا توجد آية في القرآن الكـريم، أو في الأحاديث النبوية الشريفة تعطي ملامح ومخطط عام ينتهج في تخطيط المسـاجد/ الجوامـع سوى أن يكون المحراب في جدار القبلة.

جامع عمر بن الخطاب (شكل "١"):

وهو المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح المدينة سـنة١٦ هـ/٦٣٧ م حيث أورد الحنبلي ما يلي "... هذا ما تقدم من حديث عمر لما قال لكعب: أين تجعل مصلانا في هذا المسجد؟ فقال في مؤخره مما يلي الصخرة فقال بل تجعل قبلته صدره، ثم خط المحراب من جهة الشرق، مثبت بالحجر والشيد".

وهناك من يدعي أن محراب عمر هو المحراب الواقع بجانـب المنبـر فـي المسـجد الأقصى (الحنبلي، ١٩٦٨). ومما تجدر الإشارة إليه أنه ليس جامع عمر المتعارف عليه اليوم (الذي يقع قرب كنيسة القيامة).

الجامع مستطيل الشكل، يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى، يبلغ طولـه من الشرق إلى الغرب حوالي ١٧,٥م، وبعرض مقـداره حـوالي ١٠م (Yadin, 1976) انظـر الشكل رقم (١). له باب في الجهة الغربية يتم الدخول منه إلى المسجد الأقصى، وله باب آخر في جهة الشمال يفتح على إيوان يدعى مقام عزيز، وهذا بدوره يؤدي إلى محراب زكريا الواقع قرب الباب الشرقي للمسجد الأقصى.

وقد تم تحويل المقام واركانة إلى جامع منذ الفتح الصلاحي للمدينة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حيث كان الإفرنج قد حولوا هذا الجزء من المسجد الأقصى إلى كنيسة، وبعد طرد الإفرنج مـن المدينة حوله صلاح الدين إلى جامع، وسماه بجامع عمر نظراً لاحتوائه على محراب عمر.

جامع النساء لوحة (٢) شكل (٢)

يعود بناؤه الى الفترة الفاطمية (الحنبلي، ١٩٦٨)، وقد تحول خلال العهد الفرنجي إلى مكان طعام فرسان الهيكل كما أسلفنا سابقاً. (Burgoyne, 1987) وقام صلاح الدين بتحويله إلى جامع للنساء منذ أن فتح المدينة وخلصها من الإفرنج (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المسجد الأقصى وحائطه الجنوبي جزء من سور الحرم وهو مبنى مستطيل الشكل، يمتد من الشرق إلى الغرب، يبلغ طوله الكلي ٨٠م وبعرض ٢٠م (قبل أن يتم تقسيمه) وفي المرحلة الأخيرة فأصبحت أبعاده حوالي (الطول ٤٠م والعرض ٢٠م) (. Grabar & Nuseibeh,1996 ؛ Yadin, 1976)

وقد ذكر مجير الدين عن هذا الجامع أشار الى انه كان في زمنه ، بناءاً كبيراً معقوداً بالحجارة الكبيرة، بني بعشرة قناطر مقامة على تسع سواري (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) وجاءت هذه القناطر بشكل عقود مدببة، بالإضافة إلى أن الأقبية كانت متقاطعة.

يوجد للجامع عدد من النوافذ تقع في الجدار الجنوبي، والجدار الغربي ، وأهم ما يميزه أنه لا يحتوي محراباً، أما عن أبوابه فيوجد له مدخل مزدوج يقع في الجهة الشمالية ويحيط به عمودان من الرخام (نجم وآخرون، ١٩٨٣) ومما تجدر الإشارة إليه أنه يمكن ملاحظة وجود أقواس من بقايا الأبنية الفرنجية، والتي استخدمت خلال العصر الأيوبي (الفني، ١٩٩٧).

ب. الزوايا:

الزاوية مدرسة دينية، وداراً مجانية للضيافة، وهي تحوي كلاً أو بعضاً من الأجزاء التالية: غرفة للصلاة، محراب، ضريح (أبو دية، ٢٠٠٠).

تعتبر الزوايا مؤسسات ذات طابع ديني، يؤمها المتصوفة الذين يعيشون حياة زاهدة، معرضين عن الدنيا ومتفرغين لعبادة الله (شافعي، ١٩٧٠)، وما يميز الزوايا عن المؤسسات الدينية الأخرى (الخوانق، المدارس، الأربطة وغيرها) إنها كانت تقام للمتصوفين ؛ ومخصصة للذكر وترتيل القران الكريم (المدني، ١٩٩٦).

لقد ازدهر التصوف في أقاليم العالم الإسلامي في مصر والشام والعراق، شمال غرب أفريقيا، غرب ووسط آسيا، وأول من أدخل الزوايا إلى مصر هو السلطان صلاح الدين، ثم أدخلها إلى القدس بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧، إذ انتشر التصوف في مصر وبلاد الشام أثناء الحروب الصليبية ذلك أن المآسي التي أصابت المسلمين، حدت بهم أن يتجهوا الاتجاه الصوفي والعودة إلى الخالق بالزهد والعبادة ليجدوا مخرجاً من وضعهم الأليم (عاشور، ١٩٧٤).

الزاوية الخنثنية / الختنية[1] ، لوحة (٣) .

أطلق عليها مجير الدين (الزاوية الخنثنيــة) (الحنبلـــي، ١٩٦٨، ج٢)، إلا أن اســـمها الحقيقي هو الختنية وذلك نسبة إلى شيخها الختني خلال القرن الثامن الهجري (ابــن فضـــل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)، وقد تأكد اسمها (الزاوية الختنية) من خلال سجلات المحكمة الشـــرعية في القدس والمصادر المعاصرة لها في القرن الثامن، بالإضافة إلى أن مجير الدين نفسه أطلـــق عليها في مواضع أخرى من كتابة (الأنس الجليل) تسمية الزاوية الختنية (العسلي، ١٩٨١).

تقع الزاوية الختنية جنوب المسجد الأقصى (خارج السور)، خلف المنبر وبابهـــا يقـــع بجواره، والمبنى الأصلي لها يعود إلى الفترة الرومانية (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)، وقد استخدمت خلال العهد الفرنجي كقصور للأمراء (Burgoyne, 1987) وعندما فتح صلاح الدين المدينة، قام بتجديد البناء وحوله إلى الزاوية الختنية، حيث تم وقفها على الشيخ جلال الدين محمد بن احمـــد الشاشي سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١ م) ، وتم وقفها في سنة ٥٧٨هــــ / ١١٩١ م (الحنبلـــي، ١٩٦٨، ج٢).

هذا وقد لعبت الزاوية دوراً هاماً في الحركة الفكرية والدينية خلال العصرين الأيـــوبي والمملوكي، فقد كانت تؤدي دور الزاوية والمدرسة معاً (عبد المهدي، ١٩٨٣).

لم يتبق من البناء الأيوبي إلا بعض العقود والشبابيك، ومن تقارير المكتب الإعمـــاري لإصلاح وإعمار الصخرة المشرفة في القدس يشير الباحث الأثري حســـن عبـــد الوهـــاب، أن الزاوية الختنية قد بنيت فوق باب النبي وهو من الأبواب القديمة للحـــرم الشـــريف (العســـلي، ١٩٨١). تستخدم الزاوية في الوقت الحاضر سكناً لموظفي المسجد الأقصـــى، وهـــي مهـــددة بالانهيار والسقوط وذلك بسبب قيام السلطات الإسرائيلية بحفر نفق أسفل السور الجنوبي للحرم الشريف والذي امتد أسفل الزاوية (العسلي، ١٩٨١، عن تقرير أوقاف القدس، تموز، ١٩٧٤)

<u>الزاوية الناصرية:</u>

وهي الزاوية التي جعلها الملك المعظم عيسى ٦١٥-٦٢٣هـ/١٢١٨- ١٢٢٦ م لتعليم القرآن والنحو، ووقفها سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وقد أقامها في السور الشرقي للحرم على بـــرج باب الرحمة، ولكنها اندثرت منذ زمن بعيد، حيث أورد لنـــا الحنبلي أنها اندثرت في زمنـــــه. (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

<u>ج. المدارس</u>

[1] قامت الباحثة بدراستها على الرغم من أنها تقع خارج سور الحرم الشريف، إلا أنها تقع خلف المسجد الأقصى وبابها يقع جانب المنبر.

أنشئت المدارس خصيصاً لتدريس العلوم الدينية والدنيوية، وقد جاءت مستقلة عن المساجد لإعداد أجيال متعلمة ، ولعل أهم ما يميز المدارس أنها ذات تصميم معماري إسلامي خالص، وليست مقلدة لأبنية سابقة لا بالشكل ولا بالمخطط ولا بالوظيفة، فهي تحتوي كلاً أو بعضاً من الأجزاء التالية: الإيوان وقد يتعدد في بناء المدرسة ويعتمد تعددها على المذاهب أو أساليب التدريس، حيث أن الأواوين هي قاعات المحاضرات (مشتت؛ يحيى، -١٩٩١)، ومسكن للمدرس أو شيخ المدرسة، هذا وقد انتشرت المدارس خلال العصر الأيوبي في مصر والشام.

ولم تنتشر المدارس بشكل واسع قبل هذه الفترة (القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي) وهذا بسبب أن المدارس في مصر والشام كانت منذ نشأتها مؤسسات دينية سنية ظهرت لتدعيم المذهب السني والدولة السنية، خاصة وأن النزاعات كانت قائمة بين الدولة السنية، والشيعة وأتباعها (البويهيون الفاطميون) حيث أن الأخيرين قد قاموا بنشر الدعوة الشيعية وأسسوا المدارس في مصر والشام لنشر دعوتهم، ومن هنا كانت ردة الفعل السنية في إنشاء المدارس لتدعيم الحكم السني (العسلي،١٩٨١؛ الأبيض، ١٩٩٤).

المدرسة النحوية ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م اللوحات (٤، ٥) الأشكال (٣، ٤، ٥):

تقع المدرسة في الزاوية الجنوبية الغربية لصحن الصخرة الشرقية، بجانب البائكة الجنوبية الغربية للصخرة. (انظر الخريطة رقم ٤)

أنشئت المدرسة النحوية في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، وكما يدل اسمها فقد اختصت بتعليم علوم اللغة كالنحو والصرف والشعر والبلاغة وغيرها. وقد رتب لها شيخاً وطلبه بلغ عددهم خمسة وعشرين طالباً (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

ويعلل الدكتور عبد الجليل عبد المهدي سبب الاهتمام المتزايد بعلوم اللغة العربية خلال تلك الفترة، إذ أن للعربية صلة قوية بالعلوم الدينية فهي توضح القرآن الكريم وتبين تفسيره وإعجازه كونها هي اللغة التي نزل بها (عبد المهدي، ١٩٨٣).

أما رأي الباحثة، بالإضافة إلى موافقتها رأي الدكتور عبد المهدي، إن الاهتمام بتعليم اللغة العربية وعلومها يعتبر جزء لا يتجزأ من إعادة الطابع الإسلامي العروبي إلى المدينة المقدسة بعد أن صقلت بالطابع الفرنجي مدة ثماني وثمانين سنة.

ألحق بالمدرسة قبة لتعليم القرآن الكريم والقراءات السبع، ووقف عليها أوقافاً جلية، اقتصر صرفها على الحنفية فقط (ابن واصل، ١٩٧٢، ج٤)، ويوجد على الجدار الشمالي من الداخل لهذه الغرفة نقشاً تذكارياً هذا نصه : **"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة**

المباركة وما يليها من العمارة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو المنصور عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو بكر بن أيوب أعز الله أنصارهما وجرى ذلك على يد عبده الراجي عفو ربه الأمير حسام الدين أبي سعد قماز بن عبد الله المعظمي الوالي بالبيت المقدس الشريف وذلك في شهور سنة أربع وستمائة" (Berchem, 1925)

المبنى عبارة عن غرفتين مربعتين مبنيتين من الحجر، يفصل بينهما إيوان مستطيل الشكل (انظر الشكل ٣) الغرفة (أ) عبارة عن غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٦,٥م ويعلوها قبة (القبة النحوية). أما الغرفة (ب) وهي مربعة الشكل طول ضلعها ٥م، وكانت تستخدم لسكن الإمام أو الخادم وقد زودت بساعة كما أخبرنا ابن فضل الله العمري، أما الإيوان الواقع بين الغرفتين والذي أطلق عليه ابن فضل الله العمري رواق. فهو مستطيل الشكل تبلغ أبعاده ١٣×٥م. مدخله يقع في الجهة الشمالية وهو المدخل الرئيسي للمدرسة، وقد انعكست على هذا المدخل سمات العمارة الإسلامية التي تمتاز بالتناظر، والتكرار. فهو عبارة عن مدخل ذو مصراعين (انظر اللوحة ٥) ويوجد على جانبيه عمودان رخاميان يتكون كل عمود من أربعة أعمدة ملفوفة ومثعبنه (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)، ويطلق عليه تسمية عاق والديه أو (بطن المرابي) (العسلي، ١٩٨١) وقد زخرف أعلى المدخل بزخرفة مخروطية احتوت بداخلها عنصر زخرفي وهو شكل كمثرى انطلقت منه أشعة وقد اتسم بالتناظر والتماثل. ثم زخرف الباب من الأعلى بزخارف هندسية امتازت بالإيقاعية والتكرار وثبات الشكل.

أما الرواق الموجود أمام الإيوان الشكل (لوحة ٥) فهو عبارة عن ثلاثة أعمدة مثعبنة أيضاً بحيث جاء الاثنان الجانبيان مكونان من أربعة أعمدة ملفوفة أما الأوسط فهو عبارة عن عمودين ملفوفين على بعضهما، وكان يعلو الأعمدة تيجان احتوت زخارف نباتية (الأكانثوس). كما يوجد بين هذه الأعمدة عقود مدببة وقد بينت الواجهة من الطوب. إن سمة التناظر والتكرار واضحة في هذا الرواق.

وقد زود الإيوان بثلاث نوافذ (تطل على المسجد الأقصى الآن) ويوجد قرب غرفة القبة الممر الجنوبي العربي لصحن الصخرة المشرفة وهو عبارة عن درجات بلغ عددها زمن ابن فضل الله العمري سبع وعشرين درجة وعرض الواحدة منها نصف متر (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١).

يتمتع مخطط بناء المدرسة بأسلوب العمارة الإسلامية، والتي امتازت بالمحورية، والتناظر. ولعل من أهم هذه المميزات المعمارية والتي تتجلى بشكل واضح في بناء المدرسة

على الأخص امتداد الإيوان في الوسط. وهذا يؤكد أهمية الفضاء الأوسط لتنوير مبنى استخدم للدراسة وتلقي العلم، ويتلو هذا الإيوان غرفة التدريس وغرفة السكن.

٢ ــ المباني الدفاعية*:

تجديد سور المدينة ٥٨٣هـ/١١٨٧م

منذ أن دخل السلطان صلاح الدين بيت المقدس سنة بذل قصارى جهده في سبيل الدفاع عن المدينة وتحصينها وحرص على منع خول أو حدوث خطر خارجي يهدد أمنها، في قام سور المدينة وجدد بناؤه وأقام عليه أبراجاً حربية من باب العمود وحتى باب الرحمة (الخليل) وذلك سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وقد انفق أموالاً طائلة على تلك الأعمال بالإضافة إلى الجهود البشرية، كما استغل أسرى الإفرنج في هذا العمل واستخدم منهم قرابة ألفين شخصاً في عملية بناء السور، ثم بعث إلى والي الموصل يطلب منه إيفاد عمال لحفر الخندق، فقاموا بحفر الخندق واستعملت الحجارة في بناء السور، وقد أنجز العمل في مدة تقارب نصف السنة، وكان العمل يحتاج إلى سنين (الحنبلي، ١٩٧٣، ج١؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١).

وقد ذكر لنا الأصفهاني سير العمل في إنشاء السور والخندق فقد كان السلطان يقوم بنفسه بنقل الحجارة للبناء، وقد قسم العمل بين أخيه العادل وأولاده وأمرائه (الأصفهاني، ١٨٨٨).

ويشير الأصفهاني أيضاً الى أن السلطان قد طلب منه أن ينشئ مكاتبة فيها شكر ، كشكر لوالي الموصل وذلك لإرساله نخبه من العمال في إنشاء هذا السور (الأصفهاني، ١٨٨٨).

من الملاحظ أن عملية تحصين السور لم تكن أعظم الأعمال التي قام بها صلاح الدين في الحفاظ على المدينة، بل كما أسلفنا سابقاً كان أهم أعماله إعادة الطابع الإسلامي للمدينة بشكل عام وللحرم القدسي الشريف بشكل خاص لقد انشغل السلطان صلاح الدين .في تخليص المدينة وبلاد الشام قاطبة من الخطر الفرنجي، سيما وأنه ظل يطاردهم بنفسه عندما كانوا يغيرو على الأقاليم الإسلامية، إذ أن عمليات البناء والتحصين هذه تحتاج إلى جهود مادية وبشرية استخدمها جميعًا في عملياته الحربية.

ولكن عندما داهمه خطر الإفرنج الحقيقي في إعادة السيطرة على المدينة في الحملة الفرنجية الثالثة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، أسرع إلى تحصين السور حتى لا يتمكنوا من الدخول إلى المدينة مرة أخرى.

* تطرقت الباحثة إلى تحصين سور المدينة على الرغم من أنه ليس من الآثار داخل منطقة الحرم الشريف، ولكن بيان اهتمام الأيوبيين بهذه المباني .

ومما يؤسف له ، ان سور المدينة قد دمر خلال العصر الايوبي وذلك في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م عندما كان في دمشق، وكانت القدس تابعة لمملكته. وقد أمر بهذا التدمير حتى لا يتمكن الفرنجة الصليبيون الذين جاؤوا في الحملة الفرنجية الخامسة. من دخول المدينة والاستفادة من تحصيناتها لكن هذه الحملة قد باءت بالفشل (ابن واصل، ١٩٦٠، ج٤)، وبقيت القدس في حوزة الأيوبيين ولكن بدون أسوار تحميها، مما أدى إلى هروب ساكنيها إلى بلاد الشام ومصر، إلا أعداداً قليلة بقيت لخدمة الحرم (الحياري، ١٩٩٢) ٠

<u>٣ ــ مباني الخدمات:</u>

وهي تلك المباني التي أقيمت لتخدم الناس سواء أكانوا قاطنين أو زائرين فقد انتشرت مباني الخدمات في المدينة المقدسة، إذ أمت المدينة أعداداً كبيرة من الناس للزيارة والتبرك، فأنشئت الأسواق والحمامات والبيمارستان وغيرها. أما ما يهمنا من مباني الخدمات التي انتشرت في ساحة الحرم الشريف وهي: سبيل شعلان، صهريج المعظم عيسى، الكأس.

<u>سبيل شعلان ٦١٣هـ / ١٢١٦م: شكل (٦) لوحة (٦)</u>

السبيل : هو ما يجعل وقفاً وتباح ثمرته للموقوف عليه (ابن منظور، ١٩٥٦، ج١١). وهو لفظ يستخدم للدلالة على عين الماء التي يقيمها أهل الخير للسائلين ، وعادة ما تتواجد السبل في الأماكن التي يؤمها الناس، وذلك لتزويدهم بالماء لاغراض الشرب والمنفعة العامة .

يقع سبيل شعلان في الجهة الشمالية الغربية من صحن قبة الصخرة المشرفة وقد أنشأه الملك المعظم عيسى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م: إذ ترك لنا نقشاً تذكارياً وضع أعلى العقد في الجهة الجنوبية من السبيل هذا نصه:-

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تطوع بعمل هذا الصهريج والمصنع المبارك لوجه الله تعالى محمد بن عروة ابن سيار الموصلي رحمه الله ورضي عنه من نعمة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب غفر الله لهما وذلك في شعور سنة ثلث عشر وستمائة وصلى الله على محمد وآله" (Berchem, 1925).

بناء السبيل عبارة عن بئر ويوجد في الجهة الغربية من البئر غرفة هي الشكل (٦:أ)، مفتوحة من الجهات الثلاث ، وكان بناؤها عبارة عن اربع دعامات ، وصل بينها باقواس مدببة وهي مسقوفة لتقي الشاربين من اشعة الشمس (انظر لوحة (٦)) اما الغرف الواقعة الى الشرق من البئر (شكل د:ج) فهي عبارة عن غرفة مربعة الشكل ربما اقيمت كمسكن لمن يقوم على خدمة السبيل .

صهريج المعظم عيسى ٦٠٧هـ/١٢١٠م لوحة (٧) شكل (٧):

يقع خلف المدرسة النحوية، في جدارها الجنوبي (Burgoyne, 1987)، وقد بناه الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م كما دلنا النقش التذكاري الذي كتب فوق المدخل الأوسط لهذا الصهريج وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تطوع بعمل هذا الصهريج المبارك لوجه الله تعالى الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد ابن عروة بن سيار الموصلى رحمه الله من نعمة مولانا الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة سبع وستمائة" (Berchem, 1925)

ويستخدم في أيامنا هذه كمقر لقسم البستنة في الحرم الشريف (نجم وآخرون، ١٩٨٣). يتكون الصهريج من ثلاثة أروقة ، شكل (٧) أغلق ما بينها بواسطة قواطع بنائية ثم غطيت بأقبية متقاطعة ، الاثنان الواقعان في الغرب مربعا الشكل طول ضلع الواحد حوالي ٨م، أما الرواق الثالث وهو الشرقي فهو مستطيل الشكل أبعاده ١٤×٤م ، (انظر الشكل ٧)، ويعتقد أن بناء الأروقة هذه قد تم في نفس السنة التي بنيت فيها المدرسة النحوية . ويحتوي على ثلاثة مداخل تقع في الجهة الجنوبية مسقوفة بعقود مدببة (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

الكأس ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م لوحة (٨) شكل (١٦)

تعريفه ونشأته: وهو المتوضأ ، ويمكن تعريفه بأنه فسحة مبلطة ولها حوض مائي، ويوجد بأرضيتها مناهل لتصريف المياه، ويراعى فيها أن تكون منخفضة عن مستوى سطح الأرض، وعادة ما تلحق بالمسجد أو المدرسة او الخانقاة، فالمتوضأ ابتكار إسلامي خالص، غايته وجوب الطهارة والنظافة التي أمر بها الدين الإسلامي الحنيف.

ظهر المتوضأ لأول مرة في جامع ابن طولون ٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٨م (شافعي،١٩٧٠) والكأس الموجود في ساحة المسجد الأقصى الشريف أنشأه الملك العادل أبو بكر أيوب سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وقد جدد زمن الأمير تنكز الناصري سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وأعيدت عمارته في عهد السلطان الأشرف قايتباي. (نجم وآخرون، ١٩٨٣؛ شعث، ١٩٩٣).

وفي زمن ابن فضل الله العمري (القرن الثامن الهجري) كان الكأس عبارة عن بركة للوضوء، ومصدر مياهها من قناة من الخليل، تبعد عنه عشرين ميلاً (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١) .

والكأس عبارة عن حوض رخامي مستدير الشكل طول قطره ١٠ م (انظر شكل ١٦)، وفي وسطه نافورة، ويوجد على جوانبه من الخارج صنابير يخرج منها الماء للوضوء، وقد زود بمقاعد حجرية ليجلس عليها المتوضئون (نجم وآخرون، ١٩٨٣؛ شعث، ١٩٩٣).

٤ ـ المباني التذكارية:

عمّ الاستقرار بالمدينة وصبح لدى الأيوبيين إحساس بالعظمة والثقة وخاصة ، بعد أن كان خلاص المدينة المقدسة من الغزو على أيديهم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فقد حاولوا أن يتركوا بصماتهم على منشآت المدينة والحرم القدسي الشريف، إذ أنشئت القباب ورمم بعضها، والتفتوا إلى بوابات الحرم الشريف الرئيسية وقاموا بتجديدها وما زالت النقوش ماثلة تشهد على هذه الأعمال المنسوبة إليهم .

أ. القبـــاب:

بدأت عمارة القباب في بلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد ثم استعملت في العمارة الرومانية والبيزنطية (شافعي، ١٩٧٠).

تعتبر قبة الصخرة (سنة ٧٢هـ) أول نموذج للقبة في العمارة الإسلامية، (وزيري، ١٩٩٩) ويمثل إنشاء القبة عند المسلم مدلول روحاني يرمز إلى السماء ، مستدلاً من الآية القرآنية: ***"الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها"*** [1]. (شافعي،١٩٧٠؛ بهنسي، ١٩٩٥)

تميزت معظم القباب في العمارة البيزنطية قبل الإسلام إنها اعتمدت على تحويل الشكل المربع إلى دائرة (Creswell,1969) هذا وقد اتبع الفنان المسلم بناء القبة على عدة اساليب ، أولها ان يتم تحديد الشكل الدائري بواسطة الاعمدة وفوقها الاقواس المعروفة بالروتندا (Rotonda) وثانياً بواسطة الاعمدة التي تقام عليها القبة على اربع دعائم تمثل الشكل المربع وتحمل اربعة اقواس وفوقها حلقة العنق (Drum) وهنا تظهر المثلثات الكروية على الزوايا الاربعة (Pendentive) (التل، ١٩٦٩؛ Tell, 1982) مع العلم أن النوع الثاني من القباب قد عرف في الفترة الرومانية، حيث وجد نموذج له في نويجيس جنوب عمان (نهاية القرن الثاني الميلادي) (Creswell, 1969) والنوع الثالث يمثل تحويل المربع الى ثماني بواسطة الاقواس الثمانية التي تحمل القبة (Squinsh)

غلب على قباب الحرم القدسي الشريف الطابع التذكاري، ابتداءً من قبة الصخرةاما القباب التي أنشئت/ جددت خلال العصر الأيوبي فقد كانت محمولة على أعمدة التي يعلوها الأقواس ومن اشهرها قبة يوسف و قبة موسى (بهنسي، ١٩٩٥)

---

[1] الآية (٢) من سورة الرعد.

<u>قبة يوسف ٥٨٧هـ/١١٩١م لوحة (٩، ١٠):</u>

تقع قرب السور الجنوبي لصحن الصخرة المشرفة، بين المدرسة النحوية من الغرب ومنبر برهان الدين من الشرق. (انظر الخريطة رقم ٤)

بنيت هذه القبة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وترك لنا في داخلها النقش التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد النبي وآله أمر بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونصر أعلامه في أيام الاسفهسلار الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله في سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة النبوية وبنظر الأمير ناصر الدين [ ] السيفي وفقه الله" (Berchem, 1925)

بنيت القبة فوق قاعدة مربعة الشكل طول ضلعها ٢م ترتفع عن الأرضية بمقدار ١٥سم، البناء مكشوف من جميع الجهات باستثناء الجهة الجنوبية، التي التي تمثل جداراً يحتوي في وسطه على كوة مزخرفة (انظر لوحة ١٠) يعلوها قوس والجدار يحتوي في أسفله على النقش التذكاري السالف الذكر. أما بقية البناء،فيوجد في الجهة الشمالية عمود رخامي فوقهما تيجان مزخرفة بالنحت الدقيق (نجم وآخرون،١٩٨٣).

يمثل بناء هذه القبة والطراز العربي الإسلامي التذكاري، إذ بنيت من الحجر وأقيمت على جدار وعمودين من الرخام ذات تيجان مزخرفة ، ويوجد بين الأعمدة والجدار عقود مدببة والتي إزدهرت في العصر الفاطمي. بالإضافة إلى أن زخارف هذه القبة إسلامية الاسلوب تعتمد على زخارف هندسية قوامها التكرار والتماثل والمحورية ٠ إن زخارف الواجهة تمثل زخرفة هندسية على شكل حنية مبنية من الرخام الابيض ، وقوام هذه الزخرفة شكل زهرة تتوسط الجدار او النقوش بشكل مركزي متداخل .

<u>قبة المعراج لوحة (١١)، (١٢):</u>

تقع إلى الغرب من قبة الصخرة، وقد ذكر مجير الدين أنها كانت في زمنه مقصودة للزيارة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢).

كانت هذه القبة تسمى في العصر الفرنجي ببيت المعمورية الصليبية ، ويعود بناؤها الى فترات سابقة •

ولم يتم التوصل الى معرفة التاريخ الحقيقي بناء هذه القبة ، وكما يبدو اسمها فقد أقيمت لذكرى عروج النبي الكريم الى السموات العلى (Burgoyne , 1987) •

هذا وقد جددت خلال العهد الأيوبي زمن السلطان الملك العادل ٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م، وفي سنة(٥٩٧هـ / ١٢٠٠ م)على يد الاسفهسلار عز الدين عثمان بن علي الزنجيلي الذي كان والياً على القدس آنذاك. (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢). وقد ترك لنا نقشاً تذكارياً أعلى الباب الخارجي يبين ذلكهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم وما تفعلوه من خير يعلمه الله ومن يعمل مثقال ذره خير يره هذه قبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي ذكرها أهل التاريخ في كتبهم تولى إظهارها بعد عدمها وعمارتها بعد دثارها بنفسه وحالة الفقير إلى رحمة ربه الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير الأوحد الأعز الأخص الأحق المجاهد الغازي المرابط عز الدين جمال الإسلام سعيد السعداء سيف أمير المؤمنين ابي عمرو عثمان بن علي بن عبد الله الزنجبلي متولي القدس الشريف وذلك في شهور سنة سبع وتسعين وخمسمائة" (Berchem, 1925)

القبة عبارة عن بناء ثماني الشكل، مبني على مصطبة مستطيلة الشكل ترتفع عن أرضية صحن الصخرة المشرفة مسافة ٢٢سم، طول هذه المصطبة من الشرقي إلى الغرب حوالي ٩م وعرضها من الشمال للجنوب حوالي ٧م، وللقبة باب يقع من الجهة الشمالية عرضه حوالي ٩٠سم، وطوله حوالي١,٥م يتم الدخول منه عبر صعود ثلاث درجات (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)

أقيمت القبة على أعمدة رخامية بيضاء عددها ثلاثون عموداً ارتفاع الواحد منها حوالي (٨٠ , ١ م) ، تقف كل أربعة في مجموعة واحدة باستثناء الجهة الجنوبية، فشكلت مجموعتيها ثلاثة أعمدة لكل مجموعة، وقد فرشت أرضيتها بالرخام. والمساحات التي بين مجموعات الأعمدة (أضلاع الشكل المثمن) كسيت بالرخام، وأبعاد القبة من الداخل من الداخل هي ، الطول من الشرق إلى الغرب حوالي ٤,٧٦م والعرض من الشمال إلى الجنوب حوالي ٤,٢٥م، وتحتوي عدداً من الطاقات، وقد زودت بمحراب مساحته حوالي ١م^{٢} لوحة رقم (١٢) (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١) وقد غطيت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص (شراب، ١٩٩٤).

جاءت التيجان الموجــودة علـــى الأعمدة الداخليـــة قــرب المحراب مختلفة من حيث الزخارف انظر لوحة (١٢) (Burgoyne, 1987) ومن المحتمل أن يكون اختلاف التيجان هــذا مقصوداً، وقد علل ذلك جرابار عندما وضح ذلك في التيجان التي ظهــرت علـــى الزخـــارف الفسيفسائية في قبة الصخرة، حيث كان أحدها مجنح والآخر شبه مستدير، وعلله برمز انتصار الإسلام على الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية (بيشه، ١٩٩٣).

قبة سليمان لوحة (١٣)، (١٤):

تقع هذه القبة في الجزء الشمالي من الحرم الشريف، قرب باب العتم، وقد جددت خلال العهد الأيوبي (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)، هذا وقد تم استخدامها خلال العهــد الفرنجـــي وســـميت بعرش المسيح (Burgoyne, 1987).

لم يعثر على نقش تذكاري يذكر إعادة بنائها خلال العهــد الأيــوبي إلا أن المحـــراب الموجود داخلها يعود لهذه الفترة (انظر لوحة ١٤)، وهو جــزء لا يتجــزأ مـــن هـــذه القبـــة (Burgoyne, 1987)

بناء مثمن الشكل، له مدخل في الجهة الشمالية، بنيت أضلاعه الثمانية بالرخام، ويحتوي على أربع وعشرين عموداً رخامياً يبلغ طول الواحد منها حوالي ١,٧٠م وعلى جانبي المحراب يوجد عمودين رخاميين طول كل واحد حوالي ١م، وتبلغ مساحت البناء مـــن الـــداخل حـــوالي ٤,٥م٢. وترتفع أرضية البناء حوالي ١٣,٥سم عن سطح الأرض. (ابـــن فضـــل الله العمـــري، ١٩٢٤، ج١)

قبة موسى لوحة (١٥) شكل (٨)، (٩)

تقع خارج الزاوية الجنوبية الغربية لصحن قبة الصخرة، وهي تقابل باب السلسلة الواقع في السور الغربي للحرم الشريف.

بنيت القبة خلال العهد الأيوبي في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٣-٦٤٧هـ) وكما يظهر في نهاية الكتابة كما بين النقش التذكاري الذي كتب بالخط النسخي الأيوبي فـــوق مدخلها وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمارة هذا المكان مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدنيا والدين ابن الملك الكامل في شهور سنة سبع وأربعين وستمائة"

(Berchem, 1925)

يتكون البناء من غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٦,٨م، بنيت على مصطبة ترتفع عن مستوى سطح الأرض حوالي ٣٥سم، يبلغ طول هذه المصطبة من الشمال إلى الجنوب حوالي ١٦,٣م، أما عرضها من الشرق إلى الغرب فهو ١٦,٦م، وقد جاء بناء غرفة القبة في الجهة الجنوبية من المصطبة. فرشت أرضية الغرفة بالرخام، ولها باب يفتح في الشمال عرضة(١ م) وطوله ١،٣٥م وهو الجزء الذي يعلوه النقش الشكل (٩: ج) وقد زود بنافذتين الشكل (٩: أ، ب) (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤ ج١)

بنيت القبة على عقود، إذ جاء بين كل حائط وآخر قوس عقد (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١).

وجاءت رقبة القبة على شكل مثمن (Squinsh) ، إذ اعتمد في بنائها على تحويل الشكل المربع إلى مثمن والذي يسهل إقامة القبة عليه. وقد اتبع هذا الأسلوب في العمارة الإسلامية.

ب. تجديد وإعمار المداخل والبوابات:

ترمز مباني المداخل الكثير للشعوب القديمة، وقد اختلفت أشكالها باختلاف الحضارات التي أنشئت فيها، مع بقاء التشابه والتباين في وظائفها. إذ جاءت مداخل الأهرامات المصرية التي تعود للحضارات الفرعونية سرية ولا يستطيع أي شخص الوصول إليها، بينما بوابة عشتار، الممثلة للحضارة البابلية، والتي جاءت غنية عن التعريف بضخامتها وفخامتها، بالإضافة إلى زخرفتها البديعة بالطوب المزجج، هذا وقد تميزت مداخل الفترات الرومانية والإغريقية بالضخامة والعلو ووجود الأعمدة العالية والنوافذ الكبيرة (Fletcher, 1959) ٠

البوابة / المدخل في العمارة الإسلامية:

تكمن وظيفة المدخل في الدخول والخروج، ولإعطاء الطابع الحضاري سواء للمسجد؛ أو للقصر أو المسكن أو السور، ولبيان حرمة الجزء الذي يكمن خلف المدخل، إذ أن القرآن الكريم أمرنا بالدخول من الأبواب ونهى عن الدخول من أي موضع آخر. إذ قال جل جلاله في محكم كتابه: ***"وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون"***. سورة البقرة الآية ١٨٨.

لقد اهتم المعماري المسلم بعنصر المدخل في عمارته، إذ قام بتزيينه بالعقود والأقــواس المدببة والمخصصة. وهذه المعطيات الزخرفية أعطت المداخل الإسلامية صفة معمارية جمالية وظيفية، فبالإضافة إلى أن المعماري المسلم قد ابتكر فن زخرفي زيــن بــه المــداخل وهــو المقرنصات، إذ أعطت هذه الزخرفة المبتكرة بعداً ثالثاً في جمالية المدخل والمبنى ككل. (حسن، ١٩٨٧).

أبدى الأيوبيون جل اهتمامهم في بوابات ومداخل الحرم القدسي الشريف وخاصة زمــن الملك المعظم عيسى ٦١٥-٦٢٣هـ/ ١٢١٨-١٢٢٧م، والذي ترك لنا آثاراً جلية ليس فقط في منطقة الحرم الشريف بل في المدينة، إذ ورث عن أبيه الملك العادل سبعمائة ألف دينار استغلها في إعمار المدينة وكما نعلم فإن السلطان صلاح الدين منذ أن فتح المدينة كــان يقــوم بحمــل الحجارة بنفسه في عملية ترميم وبناء سور المدينة وبواباتها (الأصفهاني، ١٨٨٨) .

والأبواب التي جددت زمن المعظم عيسى هي: الرواق الشــمالي، والــرواق الشــمالي للمسجد الأقصى، وباب العتم، وباب حطة، وباب السلسلة، وباب الناظر، وقناطر قبة الصــخرة (الجنوبية – الشرقية) (Burgoyne ,1987) .

<u>الرواق الشمالي ٦١٠هـ/١٢١٣م لوحة (١٦) شكل (١٠):</u>

قام الملك المعظم عيسى بترميم وتجديد الرواق الشمالي للحرم الشــريف، وذلــك ســنة ٦١٠هـ/١٢١٣م (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

وقد اشارت بعض المراجع الى ان هذا الرواق قديم ويعود إنشاء أجزاء منه إلى الفتــرة الهيرودية. (Burgoyne, 1987)

يمتد الجزء الذي جدده الملك المعظم عيسى من باب العتم (الدويدارية) وحتــى النهايــة الغربية للرواق بالإضافة الى عدد من المدارس التي أنشئت خلال العصــر المملــوكي وهــي: الأمينية، والفارسية، والمالكية (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) .

لقد تم تأكيد هذا التجديد الذي قام به الملك المعظم للرواق الشمالي مــن خــلال الــنقش التذكاري الذي كتب فوق الباب (٣) الشكل (١٠) وقد كتب النقش بالخط النسخي الأيوبي، وهذا نصه: "**جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة عشر وستمائة والحمد لله وحده في ولاية الأمير الأجل عز الدين عمر بن يغمور". (Berchem, 1925)**

اشتمل التجديد الذي جرى زمن الملك المعظم عيسى على تسعة أبواب (١-٩) الشكل (١٠)، وقد لوحظ أن هذا الجزء الذي تم تجديده قد كان ذو عمق واحد وهو ٤,٦٥م، وهذا العمق يختلف عن عمق المباني التي بنيت في الفترات اللاحقة التي بلغ عمقها ٤,٣٧م (Burgoyne, 1987) ويعتقد بيرغوين أنه بني لأول مرة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

إن الباب رقم (١) الشكل (١٠) قد احتوى من الأعلى دعامات ذات سطح منحدر بشكل عمودي وذلك لتصريف مياه الأمطار، وهذه تقنية استخدمت خلال فترة الفرنجة، واستعملها المسلمون خلال الفترة الإسلامية الأولى، هذا وقد تم تكييف الجزء الذي أضيف للرواق الأيوبي في الفترات اللاحقة (المملوكية) بجانب الباب رقم (١) شكل (١٠) إذ كان يحتوي نافذة تعود لفترة مبكرة من بنائه – فقاموا بإزاحة كتف العقد ليلائم الرواق الأيوبي، بالإضافة إلى أنه تم بناؤه بنفس العمق الذي بنى به الرواق الأيوبي ٤,٦٥م ويعود تاريخ بناء هذا الترميم إلى ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. (Burgoyne, 1987)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأبواب ذوات الأرقام (٢) (٣) قد رممت خلال العصر العثماني (Burgoyne, 1987)

كان الطابع المعماري للرواق الشمالي الذي رممه الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ هو الطابع المعماري الإسلامي، إذ احتوى عنصر العقود، وذلك لإعطاء الهيبة والفخامة، حيث أعتمد عنصر التكرار (تكرار العقود) وهذا بحد ذاته ابتكار إسلامي خالص، إن استخدام العقود في العمارة الإسلامية يعتمد على .وسيلة تقنية معمارية وهي توزيع الثقل.(مشتت؛ يحيى، – ١٩٩) استخدمت الحجارة في بناء الرواق وأغلب الحجارة تمثل إعادة استخدام للحجارة المستخدمة في المباني الفرنجية ٠

<u>باب العتم ٦١٠هـ/١٢١٣م لوحة (١٧) شكل (١١)</u>

اهتم المسلمون بهذا الباب، إذ يعتقد مجير الدين الذي أطلق عليه تسمية باب شرف الأنبياء أنه الباب الذي دخل منه الخلفية عمر بن الخطاب عندما فتح المدينة سنة ١٥هـ /٦٣٦ م ، وقد أطلق عليه خلال العهد المملوكي بأن الدوايدارية نسبة إلى المدرسة المسماة بهذا الاسم (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) وقد سمي من قبل المجلس الإسلامي الأعلى اسم بوابة الملك فيصل، وذلك لأنه كان قد تبرع بعمارة المسجد الأقصى (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

جدد هذا الباب زمن الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣-١٢١٤م في نفس الفترة التي تم فيها تجديد الرواق الشمالي، إذ وجد عليه نقشاً يحمل اسم الملك المعظم عيسى وذكر في هذا النقش أبعاد الحرم ، وقد كتب النقش بالخط النسخي الأيوبي ونصه هو:

"بسم الله الرحمن الرحيم طول المسجد سبع مائة وأربع وثمانين ذراع وعرضه أربع مائة وخمسة وخمسين ذراع الملك" (Berchem, 1925) ٠

يشكل باب العتم أحد الأبواب التي جددت ضمن الرواق الشمالي، فهو عبارة عن بوابة، ذات عقد مدبب ، يبلغ طوله ٥,٥م، وعرضه ٢,٧٠م (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١) وعمقه ٤,٦٥م وهو نفس العمق للرواق الأيوبي (الرواق الشمالي) بالإضافة إلى أنه احتوى في الجزء العلوي منه على دعامات ذات سطح منحدر بشكل عمودي (وهذه التقنية الفرنجية التي تم الحديث عنها سابقاً) (Burgoyne, 1987) ٠

باب حطة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م لوحة (١٨) شكل (١٢)

يقع هذا الباب في النصف الشرقي من السور الشمالي للحرم الشريف ، وهو من الأبواب القديمة للحرم، ويذكر لنا مجير الدين أنه الباب الذي ورد فيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ρ : قيل لموسى عليه السلام: قل لبني إسرائيل "***ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين***" الآية (٥٨) من سورة البقرة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

جدد هذا الرواق زمن الملك المعظم عيسى سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م واستدل بها على ذلك من خلال النقش الذي وجد عليه وهو:

"جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وذلك في شهر رجب من سنة سبع عشرة وستمائة" (Berchem, 1925) ٠

الباب عبارة عن مدخل عالي الارتفاع وذو عقد مدبب ، يبلغ عمقة (٣٧, ٤ م) الشكل (١٢) عمقه ٤,٣٧م وذو عقد مدبب، زينت مقدمته من الأعلى بحلية معمارية (طنف) (Corbel table). وهذا العنصر إعادة استخدام لأثر يعود إلى الفترة الفرنجية، وهو ليس الجزء الوحيد الذي يشكل إعادة استخدام لعناصر سابقة، إذ أن معظم الحجارة المستخدمة في بناء وتجديد باب حطة كانت مستخدمة في العهد الفرنجي، حيث ظهرت عليها توقيعات البنائين الإفرنج (Burgoyne, 1987). وقد بلطت أرضية ببلاط حجري (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

باب السلسلة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م لوحة (١٩)، (٢٠) شكل (١٣)

يقــع باب السلسلة في الســور الغربي للحرم الشريف، وبالتحديد في النصف الجنــوبي منه.

الباب عبارة عن مدخلين هما: السلسلة والسكينة ٠ وكان يطلق في السابق، على بــاب السلسلة اسم باب داود، باب السحرة، أما باب السكينة فهو مغلق ، كان يطلق عليه تسمية الباب المغلق (الحنبلي ١٩٦٨، ج٢)

جدد هذا الباب خلال العهد الأيوبي، وقد تم الاستدلال على ذلك من خــلال تفصــيلات وواقع أجزاء من البناء المشابهة للأبنية الأيوبية (نجم وآخرون، ١٩٨٣)، وقد بنــي بعناصــر صليبية، لكن عمليات البناء أيوبية تعود لـــ ٥٨٣هــ/١١٨٧م و٥٩٥هــ/١١٩٩م (Burgoyne, 1987)، وقد خضع الباب في العهود اللاحقة لعمليات التجديد وإعادة البناء، إذ يوجد عليه نقــش يعود إلى سنة ٧١٣هــ/١٣١٣ (Burgoyne, 1987)

إن أبعاد كلاً من السلسلة والسكنية متشابهة، وسيتم وصف بــاب السلســلة كونــه هــو المفتوح، يبلغ طوله تقريباً ٥م، وعرضه ٣,٥م (العمري، ١٩٢٤، ج١) وهو عبارة عــن عقــد مدبب تعلوه صنج حجرية معشقة. وقد زود بباب خشبي مكون من مصراعين (نجم وآخرون، ١٩٨٣؛ غوشة، ١٩٩١)

يتلو الباب رواق معقود على عشر سواري، يبلغ طوله حوالي ٣٨م وبعرض حوالي ٥م، وارتفاع العقود حوالي ٧م وبالاتجاه شرقاً يوجد ممر يؤدي إلى سلالم صحن الصخرة المشرفة وهي الواقعة قرب المدرسة النحوية (العمري، ١٩٢٤، ج١).

يوجد على جانبي الباب تسعة أعمدة رخامية (انظر اللوحة "٢٠") خمســة فــي الجهــة اليمنى ، واربعة في الجهة اليسرى وكانت الغاية من هذه الاعمدة زخرفية اذا جــاءت باحجــام صغيرة نسبياًووضعت على جانبي الباب على شكل طابقين في الجهة اليمنى بلغ عدد الاعمــدة السفلية ثلاث والعلوية اثنان واحد منها مزدوج (ملفوف ومثعبن) اما الجهة اليسرى الاعمــدة السفلية اثنان والعلوية اثنان أحدهما ملفوف ومثعبن كما في الجهة المقابلة ٠ (نجــم وآخــرون، ١٩٨٣)، ويمكن إدراك الطابع الإسلامي على هذا المدخل وهو تناظر الأعمدة التي وجدت على جانبي المدخل ولكن الغريب هو دمج الأعمدة، إذ اعتدنا وجود نمط واحد من الأعمدة في نفــس المبنى.

<u>باب الناظر ٦٠٠هــ / ١٢٠٣م لوحة (٢١) شكل (١٤)</u>

يقع في الثلث الشمالي من سور الحرم الشريف، وهو قائم منذ أقدم الأزمنة وكان يعرف قديماً باسم باب ميكائيل، وقد أخبرنا مجير الدين أنه هو الباب الذي ربط به جبريل عليه السلام

البراق ليلة الإسراء، وذكر أنه رمم زمن المعظم عيسى في حدود سنة ستمائة للهجرة بإشـــراف الأمير حسام الدين الجراحي. (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) ولا بد أن يكون قد ترك نقشاً تذكارياً يبين هذا الترميم، ويبدو أنه اندثر مع الزمن.

إلا أن ليسترانج – مستنداً على ما ذكره السيوطي – قد ذكر أن هذا الباب لم يرمم خلال العصر الأيوبي (سترانج، ١٩٧٠)

جدد بناء الباب خلال العصر المملوكي، إذ يوجد نقش تذكاري يذكر هذا التجديد يعــود إلى سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧-١٣٠٨م (Burgoyne, 1987)

هو باب ضخم، بني باتقان، ذو عقد مدبب، وتعلوه زخرفة المقرنصـــات التـــي تعلـــو المداخل (بواطن العقود) (انظر لوحة ٢١)، زود بمصراعين من الخشب صفحا بالنحاس (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

لقد ابتكر المعماري المسلم وخاصة في الفترات اللاحقة للعصر العباسي استخدام زخرفة المقرنصات الصنج المعشقة في الأجزاء التي تعلو المداخل ، وقد كانت الغاية من إضافة هــذه العناصر زخرفية ليست معمارية "أما المقرنصات فكانت تتدلى من داخله (المدخل) بهدف جمالي بحت دون أضعاف القوة البصرية لقوة العقد فكان بطن العقد يبدوا وكأنه غار تتدلى منه الهوابط المتكلسة بحيث تعود بنا الناحية التعبيرية للشكل الإنشائي إلى خبرة الإنسان الأولى في الكهوف" (مشتت؛ يحيى، -١٩٩)

<u>تجديد القناطر الجنوبية الشرقية لصحن قبة الصخرة ٦٠٨هـ (لوحة ٢٢)</u>

قام الملك المعظم عيسى بتجديد القناطر الجنوبية الشرقية لصحن قبـــة الصـــخرة ســـنة ٦٠٨هـ/١٢١١-١٢١٢م. (Burgoyne, 1987) ٠

وقد ترك نقشاً تذكارياً يبين هذا التجديد، هذا نصه:**"بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القناطر في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة ثمان وستمائة والحمد لله" (Berchem, 1925)**

ويذكر بيرغوين أن بيرشم لم يقرأ النقش كاملاً إذ زودنا بتكملته وهي:

"في ولاية الأمير الأجل عز الدين عمر بن يغمور" (Burgoyne, 1987)

هذه القناطر عبارة عن أقواس حجرية مدببة، بنيت على دعامتين من الحجر المبنى حصر بينهما عمودين من الرخام (نجم وآخرون، ١٩٨٣)، وقد كان العرض لوجود هذه القناطر في العمارة الإسلامية الاهتمام بالمداخل المؤدية إلى قبة الصخرة المشرفة، إذ جاء فيها عنصر تكرار الأقواس، وسمة التكرار هذه من أهم سمات العمارة الإسلامية.

تجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى ٦١٤هـ/ ١٢١٧م لوحة (٢٣) شكل (١٥)

(ملاحظة: كان من ضمن العمل لها عمل الأبواب الخشبية الموجودة عند مدخل المسجد الأقصى الشمالي عام ٦١٤هـ/١٢٢٦) .

قام الملك المعظم عيسى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بتجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى، وهو المدخل الرئيسي للمسجد. وترك لنا نقشاً تذكارياً (اللوحة ٢٤) على لوح رخامي أعلى الباب، هذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم أنشئت هذه الوالي الأروقة في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي العزائم عيسى ابن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي بكر ابن أيوب ابن شاذي خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكهما وذلك في سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله" (Berchem, 1922)

الرواق عبارة عن سبعة أقواس مدببة ، مبنية بالحجر، أكبرها الأوسط والذي بلغ ارتفاعه حوالي (٨ م) وعرضه حوالي (٤م) أما الأقواس الأخرى فبلغ ارتفاع كل واحد منها (٦م) وبعرض (١,٨م).

وقد ارتكزت هذه الأقواس على ثماني دعامات مربعة الشكل احتوت الدعامات الموجودة عند الباب الأوسط على أربع أعمدة تحمل تيجاناً، لقد تميز المدخل بالفخامة إذ تكون من واجهة اشتملت على دعامات، حملت هذه الدعامات عقوداً مدببة، وجاءت هذه العقود سعة في العرض والارتفاع لفضاء المداخل ، وهذا يعود لنمط توزيع القوى فيها وتحملها العالي للأثقال وقلة دفعها الجانبي، وقد أكسبتها هذه الصفة تحملها للأثقال أكثر ، وهذه المميزات ميزتها عن العقود الدائرية والمخروطية. وتعتبر هذه من صفات مداخل المساجد في العمارة الإسلامية.

جاء باطن هذه العقود مزخرف (زخرفة منحوتة Zig-Zag) هذا وقد زخرف الجزء العلوي من الرواق وذلك على طول امتداده الأفقي بزخرفة قوامها قطعاً حجرية مقصوصة بحيث انتهت برؤوس مدببة (مقصقصات) (انظر للوحات ٢٣؛ شكل ١٥) وقد أعطت هذه الزخرفة سمة جمالية للواجهة.

ثالثاً: الآثار المنقولة في الحرم الشريف خلال العصر الايوبي .

أ. التحف والقطع الخشبية:

منبر نور الدين زنكي ٥٧٠هـ اللوحات (٢٥ _ ٣٢) .

المنبر من الفعل نبر وتعني ارتفع، والمنبر هو مرقاة الخطيب وقد سمي بهذا الاسم نظراً للارتفاع والعلو (ابن منظور، ١٩٥٦، ج٥) .

ألحق الرسول الكريم ρ بمسجده منبراً خشبياً صنعه له تميم الداري في ٧هـ / ٦٢٨م. وكان عبارة عن درجتين والثالثة هي مكان جلوس الخطيب (Houtsma, et.al, 1936)

وبهذا فقد كان منبر الرسول صلى الله عليه وسلم بسيطاً في التكوين ومتيناً في الصناعة (وزيري، ١٩٩٩) ، حيث كان الرسول قبل ذلك يستند إلى جذع نخلة في المسجد، وربما يكون هناك دكة طينية تقع إلى جانب الجذع يجلس الرسول عليها (رجب، ١٩٧٥) .

لقد مر المنبر بعدة مراحل خلال العصور الإسلامية، إذ أصبح يحتوي درجات عديدة تتراوح بين ٨-١٠ درجات وزود بدرابزين على جانبي الدرج، وباب ذو مصراعين، وشرفات مزينة من الأعلى بالمقرنصات (غالب، ١٩٨٨) .

عندما دخل الإفرنج مدينة القدس ٤٩٢هـ /١٠٩٩م قاموا بإحراق المنبر الموجود في المسجد الأقصى، وقد نذر الملك العادل نور الدين نذراً؛ أن يستعيد بيت المقدس من أيدي الفرنجة ، وأن يصنع منبراً في حلب لينصب في المسجد الأقصى ، ليدل على انتصاره (الكواكبي، ١٩٧٨). ولكن الأجل وافى نور الدين قبل إنجازه هذا المنبر وقبل أن يتم تحرير بيت المقدس، فقد بدء العمل به سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وانتهت أعماله في ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م ، وحيث أكمل في عهد ولده الملك الصالح إسماعيل (Grabar, 1973; Berchem, 1927)

ولما كان فتح المدينة المقدسة على يد السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م أراد أن يصنع منبراً يليق بالمسجد الأقصى، فأشير إليه بالمنبر الذي أمر بعمله نور الدين منذ سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م. (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١ ؛ المقريزي، ١٩٩٧، ج١) .

وقد أورد لنا الأصفهاني أحداث هذا العمل المبارك إذ قال: "ولما فتح السلطان القدس تقدم بحمله وصح به في محراب الأقصى تفريق شمله، وظهر سر الكرامة، في فوز الإسلام بالسلامة، وتناصرت الألسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة ولصلاح الدين بالنصرة والنعمة" (أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣)

وربما كان وصول المنبر إلى بيت المقدس في النصف الثاني من رمضان لسنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، لأن دخول السلطان صلاح الدين المدينة كان في السابع والعشرين من شهر رجب، وبقي في المدينة حتى نهاية شهر شعبان من نفس السنة ، فإذا كان قد أمر باستحضار المنبر قبل أن يغادرها وضمن الترتيبات التي أمر بها فلا يعقل إلا أن يكون قد وصل بعد منتصف شهر رمضان المبارك (الأنصاري، ١٩٨٩) .

صناعة المنبر :

لقد كلف نور الدين نجاراً في حلب يدعى الأختريني (نسبة إلى بلده اخترين) وكان قد أوصاه بأن ينجز ويحسن ويتقن صناعة المنبر ، مهما تطلب منه ذلك من وقت ومن مال "فأمره نور الدين (الاختريني) بعمل منبر بيت الله المقدس، وقال له: "اجتهد أن تأتي به على النعت المفهوم، والنحت المهندس، فجمع الصناع وأحسن الإبداع ..." (أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣).

هذا وقد استغرقت صناعة المنبر مدة ست سنوات، وبعد أن اكتمل وضع في مسجد سليمان بن عبد الملك في مدينة حلب، حيث كان منبر هذا المسجد قد احترق منذ أيام نور الدين زنكي، ولكن المنبر الجديد نصب مكانه ليس ليحل محلة ، بل تم وضعة إلى حين أن يتم تخليص المدينة المقدسة من الفرنجة (الكواكبي، ١٩٧٨).

ولما كان المنبر في حلب ، قدم ابن جبير وصفاً له عندما كان في رحلتة يقوم بزيارة مدينة حلب سنة (٥٨٠هـ /١١٨٤) ووصف المنبر بالصفات التالية : "وقد استغرقت الصنعة القرنصية جهدها في منبره، فما رأى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته واتصلت الصنعة الخشبية منه إلى المحراب فتجلت صفحاته كلها حسناً على تلك الصفة الغريبة. وارتفع كالتاج العظيم ... وقد قوس أعلاه وشرف بالشرف الخشبية القرنصية، وهو مرصع كله بالعاج والأبنوس، واتصال الترصيع من المنبر إلى المحراب..." (ابن جبير، ١٩٦٤)

كان إنجاز المنبر في مدينة حلب في المدرسة الحلوية التي ضمت فنانين وحرفيين في صناعة النجارة وهم من أصول حلبية، إذ تركوا أسمائهم على أماكن متفرقة من الباب (Berchem, 1927) ومن أبرز الأسماء صانع اسمه سلمان بن معالي ويعتقد أنه من أسرة عبيد

النجار بن معالي ، صانع تابوت الإمام الشافعي سنة ٥٧٤هـــ/١١٧٨م (حســن،١٩٥٦) أمــا الكواكبي فقد ذكر أنه هو الاختريني (الكواكبي، ١٩٧٨) ٠

إن المنبر – واعتماداً على الفترة الفاطمية يمثل خصائص تلك الفترة البنائية والزخرفية، وهو يشابه النماذج الفاطمية الموجودة والمحفوظة إلى الآن، وكذلك فإن خصائص هذه النمـــاذج استمرت خلال العصر المملوكي (Berchem, 1927 ؛ Houtsma, et.al. 1936) ٠

يمثل المنبر تحفة فنية رائعة، فقد تميز بالديكور الجميل والمتقن، والنقــوش المنحوتـــة ضمن الأشرطة الخشبية المنحوتة، فهو مصنوع من خشب السرو الحلبي (أحد أنـــواع الأرز)، وقد طعم بالعاج والأبنوس، وتميزت صناعته بأنه كان بطريقة التعشيق، إذ لــم يســتعمل فــي صناعته مسمار ولا أي مادة لاصقة، (دونكان، ١٩٩٢). جاءت القطع الخشــبية علـــى نســق متداخل، ثم ان تشابك الأخشاب مغطى بالقطع العاجية المزخرفـــة (Buhl, 1927, , Berchem, 1927).

يرتكز المنبر على الحائط القبلي للمسجد الأقصى، له مدخل مكون من مصرعين (انظر لوحة "٢٦") يعلوهما قوس متعرج على شكل القبة ، وقد أحــيط البـــاب بدعائــــــــم تحمــل مقرنصات (تاج المدخل) وبعد الباب يوجد عدة درجات ، ارتفاع هذا الـــدرج (٢٨٠ ســم) ، وهي تؤدي الى كرسي الامام الذي يتوسط مقصورة متوجة بمقرنصات تشابه تلك التـــي تعلـــو الباب لوحة (٢٧) ويوجد على جانبي كرسي الإمام نافذتين ذات عقود مدببة ، ويبلــغ ارتفـــاع المنبر الكلي من سطح الأرض وحتى أعلى نقطة (٤٩٠ سم) . أما الدرجات فقد احيطت مـــن الجانبين بدرابزين على شكل متوازي مســتطيلات (Berchem, 1927،بهنســي ١٩٩٠ الفنـــي، ١٩٩٧) (انظر اللوحة ٢٨) ٠

زخارف المنبر:

لقد تم تصميم المنبر وتنفيذه ليوضع في صرح ديني، لذلك فقد راعـــى الفنـــانون فـــي صناعته الاعتماد على الزخارف النباتية والهندسية والابتعاد عن تصوير الكائنات الحيـــة ذوات الأرواح، وهذا لا ينفي أن المسلمين قد استعملوا الكائنات الحية على نماذجهم، بالرغم مـــن ان الفن الإسلامي منذ نشأته اعتمد الأشكال النباتية والهندسية والكتابية وتكرار هذه الأشكال لتشكل لوحات فنية متناظرة قوامها التكرار الذي يعتبر من أهم صفات الزخارف الإسلامية، التي تعبر عن صفاء الروح والذهن والتي بدورها تواكب تعاليم الدين السمحة، ونلاحظ صـــور ورســـوم الكائنات الحية على كثير من نماذج الخزف والمعادن الإسلامية التي تعود للعصور الوسطى.

احتوى المنبر كلاً من الزخارف التالية:

١ ــ الزخارف النباتية الشكل (١٧) والتي جاءت متنوعة ومتقنة، وأهم ما يميزها أنها جاءت ذات حفر عميق (حسن، ١٩٥٦). وقد استخدمت هذه الزخارف في المنبر لملئ الحشوات الزخرفية وسد فراغاتها، وعمل الأفاريز وتغطية المساحات الزخرفية (الجنابي، ١٩٧٥)، هذا وقد كانت الزخارف النباتية على منبر نور الدين مطعمة بالعاج (انظر الشكل ١٨) وقوامها أغصان تلتف على بعضها البعض وتنتهي بوريقات.

٢ ــ الزخارف الهندسية في لوحة (٣١) ، جاءت في غاية الاتقان في منبر نور الدين، إذ جاءت زخارف وأشكال هندسية مزجت بزخارف نباتية، بحيث أصبحت الخطوط الهندسية تمثل خطوطاً خارجية وملئت حشواتها من الداخل بالزخارف النباتية، والتي ضمت في ثناياها الحشوات العاجية المجمعة. ومن أصناف الزخارف الهندسية في المنبر الأطباق النجمية وهذه الميزة من ميزات زخارف العصرين الفاطمي والأيوبي في مصر والشام (ماهر، ١٩٨٥). وهي ذات الرؤوس الثمانية التي جاءت على درابزين الدرج (لوحة ٣٠) ، وهناك الأطباق النجمية ذات العشرة رؤوس (لوحة ٢٩) وقوام الأطباق النجمية هو عبارة عن نجمة تحتوي عدداً من الرؤوس اللوزية الشكل يدور حولها قطعاً هندسية ، ويسمى الطبق بعدد رؤوس النجمة المركزية فيه (الجنابي، ١٩٧٥).

هناك عنصر هام من عناصر الزخرفة الهندسية نفذت بمنتهى الدقة والإتقان وهي زخرفة المقرنصات. والتي أخذت حيزاً لا بأس به من المنبر ، الى زين التاج الذي يعلو الباب، والتاج الذي يعلو مكان جلوس الخطيب بالمقرنصات المذهبة (انظر لوحة ٢٥).

والمقرنصات عبارة عن حلى معمارية زخرفية، تتكون من مجموعة من الحنايا التي تتدرج في صفوف فوق بعضها البعض، وقد استخدمت في العمارة الإسلامية، وشكلت أحد أهم خصائص الفن الإسلامي، وقد نشأ وتطور هذا النوع من الزخارف على يد العرب المسلمين. (حيدر، ١٩٩٤)

وقد جاءت مقرنصات منبر صلاح الدين مركبة من ثلاث حنايا ومبنية على شكل مربع، وضعت بشكل فني إذ أن أركان الحنية العليا ارتكزت على رأسي الحنيتين اللتين تقعان أسفلها.

لقد تعدد استخدام المقرنصات في العمارة الإسلامية، فقد استخدمت وبشكل واسع في القباب، ولتزيين فتحات الأبواب والنوافذ، وتزيين العقود والمداخل والأركان والزوايا والأروقة والأعمدة وشرفات المآذن والمحاريب (حيدر، ١٩٩٤).

النصوص الكتابية على منبر نور الدين :

كان من ضمن الزخارف الهندسية على منبر نور الدين الزخارف الكتابية والتي كتبت بالخط النسخي الايوبي ، والتي جاءت على أماكن متفرقة من أجزاء المنبر ٠ ويمكن تقسيم النصوص الكتابية على هذه التحفة الى نوعين (الانصاري ،١٩٨٩) ٠

١ــ نصوص الكتابة التاريخية

أ ــ نص يشتمل على الشروع بانجاز المنبر بامر من نور الدين زنكي :

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله من الظالمين دينه الملك العادل نور الدين ركن الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القسم محمود بن زنكي أق سنقر ناصر أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره ونشر في الخافقين ألونية وأعلامه وأعز أولياء دولته وأذلّ كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقرّ بالنصر والزلفىعيناه برحمتك يا رب العالمين وذلك في شهور سنة أربعة وستين وخمس مائة". (Berchem, 1927)

يوجد هذا النص الكتابي التاريخي على جوانب الدرابزين الشمالي (الجهة الشرقية للمنبر من الخارج. ويبدأ من الجانب العمودي السفلي الصغير (من اليمين إلى اليسار)، ثم يستمر في الجزء العلوي من الدرابزين وعلى امتداده وينزل من الجانب العمودي العلوي الصغير ويقف. أما تكملة النقش فقد كتبها الفنان من اليمين إلى الشمال على الخط العمودي الطويل (السفلي) أنظر اللوحة (٢٨) وهي التي تمثل هذا النص. ويلاحظ ان النص لم يرد فيه أن المنبر قد صنع خصيصاً للمسجد الأقصى (الأنصاري، ١٩٨٩). هذا وقد احتوى هذا النص رسومات جميلة ودقيقة ذات لون داكن، والكتابة (النص) كتب باللون الفاتح. (Berchem, 1927)

أشار النص الى مناقب نور الدين وهي العدل وتطرق الى بطولاته ومعاركه التي خاضها ضد الصليبيين. هذا بالإضافة الى اشتمال النص على لقب "الملك العادل" والذي يتبعه لقب "نور الدين"، وثم الكنية أبو القاسم والاسم الأول محمود. (Berchem, 1927) ٠

ب ــ نص يدل على انجاز المنبر في عهد الملك الصالح إسماعيل سنة (٥٧٠هــ)

والنص عبارة عن شريط يحيط بالقوس الموجود على قمة الدرج، وقد جاءت الكتابة على النحو التالي في الجزء الأيمن من القوس **" بسم الله الرحمن الرحيم"**. وفي الجزء الذي يعلو القوس كتب **" اتمامه في أيام حكم ابنه الملك العادل الصالح"**. وإلى الشمال من القوس كتب **" اسماعيل بن محمود بن زنكي بن أق سنقر" (Berchem, 1927)** ٠

ج ــ نصوص تشتمل على أسماء صانعي المنبر :

ترك الفنانون أسمائهم على المنبر وذلك كنوع من الكتابة التاريخية، حتى يخلدوا أنفسهم، أو ربما يكون ذلك للتبرك ، ويعتقد الأنصاري أن كل فنان أوخطاط قد وضع اسمه في الجــزء الذي أنجزه (الأنصاري، ١٩٨٩). وقد نُقشت هذه الأسماء/ التواقيع في خانات صغيرة. وكان الخط بنفس اساليب الكتابات الأخرى على المنبر (مــن حيــث عــرض الخــط وســمكه).... (Berchem, 1927) والنصوص هي:

في الجزء الذي يعلو المصراع الأيمن للباب:

" صنعه سلمان بن معالي رحمه الله"

في أعلى المصراع الأيسر:

" عمل حميد بن ظافر رحمه الله"

وفي الجزء الذي يقع أسفل مقرنصات الباب وجاء بحروف مذهبة

" عمل أبي الحسن بن يحيى رحمه الله"

وعلى مسند المنبر في أعلى الدرج: وقد جاء باللون الأسود

" صنعه حميد بن ظافر رحمه الله"

تحت المنبر وفي الواجهة الشرقية خارجاً (لوحة ٢٩)

" صنعه حميد بن ظافر الحلبي رحمه الله"

تحت المنبر وفي الواجهة الغربية من الخارج

" صنعه فضائل وأبو الحسن ولديَّ يحيى الحلبي رحمه الله"

وقد تميز النقشان الأخيران أنهما كُتبا باللون الأبيض. (Berchem, 1927) ٠

ومما تجدر ملاحظته أن هؤلاء الحرفيين (سلمان بن معالي، وحميد بن ظافر، وفضائل وأبو الحسن ولديّ يحيى) هم من أصول حلبية وأن حلب هي مكان صناعة المنبر .

وقد جاء ترادف التعبير في أعمال الصناعة، إذ مرّ الفعل " صنعه والكلمة "عمل" ويعتقد أن هذا الترادف يشير الى الانتقال من مصطلح الى آخر. (Berchem, 1927)

٢- نصوص من القرآن الكريم

زين المنبر بآيات من القرآن الكريم، لها علاقة بالمساجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتميزت النصوص القرآنية والتي جاءت في مواضع مختلفة من المنبر بأنهــا كتبــت بأسلوب زخرفي ومنسجمة مع زخارف المنبر. (الأنصاري، ١٩٨٩) والنصوص هي:

أ- نص يقع على يمين الخطيب ، زين افريز الدرجات من الخارج وكتب بشكل متوازي أضلاع ويمتد مع امتداد الدرجات. والنص هو:

" بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها. وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً. إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمه إنما يبلوكم الله به، وليتبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ". (وهذه الآيات من -٩٠-منتصف٩٣- من سورة النحل)

ب- نص يقع على افريز مجلس الخطيب وإلى يساره من الخارج، وهو مكتوب على إطار يحيط بمربع، وتبدأ الكتابة من أسفل عمود المربع، ثم تصعد الى أعلى ثم تنعطف نحو الشمال على الضلع الأفقي للمربع ثم تتجه إلى أسفل مع عمود المربع وتستمر الكتابة من ناحية القبلة على العمود الأفقي الأسفل الى أن تلتقي مع نهاية العمود الشمالي وهنا ينتهي نص الآية الكريمة (وهي الآية ١٩) من سورة التوبة. (الأنصاري، ١٩٨٩).

هذا نصه " ***إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين".***

ج. نص يقع على يمين الخطيب من ناحية المحراب. وعلى الجزء الخارجي من المنبر، وكتب على إطار حول مربع (العارف، ١٩٥٥؛ الأنصاري، ١٩٨٩). ***"في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة"*** (سورة النور : ٣٦- ٣٧) .

منبر نور الدين والكارثة الكبرى سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٧م

بقي منبر نور الدين في مكانه على يمين المحراب وهو المكان الذي وضعه فيه السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد دخوله مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧. وكان يلقى الحفظ والصون على مر تلك العصور، فقد شكل رمز تحرير المدينة من الدخلاء، إلى أن جاء يوم الخميس الواقع في ٧ جمادى الثاني لسنة ١٣٨١هـ/ ٢١-٨-١٩٦٩. وحصل حريق متعمد[١] في المسجد الأقصى، أدى الى إحراق ما مساحته ١٥٠٠م^2 من مساحة المسجد الإجمالية، وقد استفحل الحريق في منبر نور الدين، ومسجد عمر. ومحراب زكريا، ومقام الأربعين، وثلاثة

[١] نفذت الجريمة النكراء على يد " دونيس ردهان" وهو يهودي أسترالي الأصل.

أروقة ممتدة شمالاً مع الأعمدة والأقواس والزخرفة والسقف الذي إنهار نحو الأرضية وألاعمدة، وأجزاء من القبة الخشبية وغيرها. (نجم وآخرون، ١٩٨٣)

إن التاريخ ٨/٢١ يعني الكثير لليهود فهو ذكرى تدمير الهيكل، فقد أرادوا أن يكون هذا التاريخ أيضا هو تاريخ حريق المسجد الأقصى. (نجم، د.ت)

التهمت النيران منبر نور الدين، وقد بقيت قطع قليلة منه وهي محفوظة الآن في المتحف الإسلامي في بيت المقدس. وهذه الأجزاء هي قطع من المدخل، وقسم من الباب، وقطعة مستطيلة زخرفية من أول درجة لمدخله، وقطعتان ؛ الأولى من مقرنصات المدخل ، والثانية من مقرنصات مكان جلوس الخطيب. (تقرير غير منشور من وزارة الأوقاف، د.ت) ٠

الأعمال القائمة لإعادة صناعة المنبر

قام جلالة المغفور له الملك الحسين بن طلال وضمن احتفالات المملكة بذكرى المولد النبوي الشريف بتوجيه رغبته السامية الى رئيس الوزراء والحكومة في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٤هـ الموافق الثامن والعشرين من شهر آب لسنة ١٩٩٣م. وتتضمن هذه الرغبة الأمر بتوجيه لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة التي تتابع الإشراف على أعمال ترميم قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، أن تضيف الى مسؤوليتها مشروع إعادة صناعة المنبر الى مشروع ترميم قبة الصخرة المشرفة.

وأن تتخذ الخطوات الكفيلة بإعادة الصناعة هذه، ويحشد المهندسين المختصين والفنيين المهرة والعمال البارعين حتى يعود كسابق عهده في المسجد الأقصى المبارك مهما كلف هذا العمل من جهود ومن أموال. (تقرير من وزارة الأوقاف غير منشور، د.ت)

قامت لجنة أعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة باتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة صناعة المنبر، حتى يأتي المشروع بالمستوى الفني اللائق، فقد تم تأهيل عدد من الشركات والمؤسسات المحلية لعمل المخططات الفنية اللازمة لرسومات المنبر على الحاسوب، وتأهل لدى هذه اللجنة عدد من المؤسسات التي تقدمت بعروضها للقيام بهذا العمل. وبتاريخ ١٩٩٦/١١/١٢ أحيلت أعمال إعادة مخططات منبر المسجد الأقصى المبارك على الحاسوب على شركة المهيد صاحبة الاسم التجاري المحراب للعمارة الإسلامية والتي اعتمدت رسومات جمال بدران بالتعاون مع جامعة البلقاء التطبيقية التي تضم طلاب فنانين مهرة وبارعين في الحفر على الخشب، جاءوا من تركيا واندونيسيا وسوريا ومصر والمغرب ليقوموا بأعمال التنفيذ على المستوى المطلوب. (تقرير غير منشور من وزارة الأوقاف، د.ت)

كما أسلفنا فقد كان الاعتماد على رسومات الأستاذ جمال بدران (أنظر لوحة ٣٢) وهو ابن المدرسة الرشيدية بالقدس والكلية العربية، وقد كُلف هذا الفنان سنة ١٩٧٢ بإعادة رسم المنبر بالاستعانة بالقطع المتبقية من المنبر، بالإضافة الى صورة قديمة للمنبر فاستطاع أن يرسم المنبر كاملاً بمقياس ١:١ وبرسومه ونقوشه المعروفة وأنجزت أعمال الرسم خلال خمس سنوات، (الكواكبي، ١٩٧٨؛ دونكان، ١٩٩٢)

وفي القريب العاجل ستنجز اعمال صناعة المنبر حسب المستوى الفني والشكل اللائق ، بحيث يطابق الشكل الاصلي للمنبر ، وان يعاد ويوضع في مكانه ليشكل أملا لتحرير المدينة من وضعها الحالي والراهن، سيما وأن المنبر الأول (منبر نور الدين) تفائل صانعوه وبدأوا بصناعته قبل تسعة عشر عاماً من تحرير المدينة من الاحتلال الفرنجي، وكان علامة لانتهاء ذلك الاحتلال.

ـ القبة الخشبية الداخلية لقبة الصخرة المشرفة ٠ (لوحة ٣٣) ٠

تعود القبة الخشبية الداخلية لقبة الصخرة المشرفة الى عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ، والتي أمر بإضافتها سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ، وتحتوي هذه القبة على زخارف غاية في الاتقان ، قوامها اشرطة تحتوي زخارف مذهبة نافرة على ارضية زرقاء معتمة وقد تعددت الالوان في هذه الزخارف (بهنسي ، ١٩٩٠) ٠

الموضوع الرئيسي في زخرفة القبة هو جديلة متواصلة من دوائر كبيرة ، ترتبط بأخرى أصغر ، وتتطور لتشكل شكل خماسي في الوسط ، وهي متنوعة ، ومشابهة للزخارف الصدفية في محراب المسجد الاقصى ، والذي نفذ بنفس الفترة (Berchem, 1927) ٠

لقد اتبع في زخرفة قبة الصخرة تعاليم الدين الحنيف ، وهي الصفة التي نفذت على زخارف قبة الصخرة منذ أن أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هـ) ، إذ جاءت مقتصرة على الأشكال النباتية والهندسية ، والتي عكس فكر الإسلام عليها صفاء الروح وعذوبة الأخلاق ونكران الذات ٠

– <u>الأبواب الخشبية على مدخل المسجد الأقصى</u>

أمر الملك المعظم عيسى بتحديد الأبواب الخشبية الواقعة على مدخل المسجد الأقصى من الجهة الشمالية وذلك سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م (يوسف، ١٩٨٢) ٠

– <u>الحاجز الخشبي المحيط بالصخرة المشرفة</u>

أبدى السلطان صلاح الدين اهتمامه بقبة الصخرة المشرفة، منذ أن دخل المدينة، فقام بإزالة الصليب الذي وضعه الإفرنج على القبة (الأصفهاني ١٨٨٨)، وأزال الرسومات البشرية والحيوانية التي رسمت عليها من الداخل (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢) بالإضافة الى أنه قام بإزالة الرخام الذي كسا به الإفرنج الصخرة، لأن الحجاج الإفرنج كانوا يقطعون منها قطعاً ويبيعونها في القسطنطينية وصقلية (الأصفهاني، ١٨٨٨، أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣) وكانت من مكارم الأيوبيين على الصخرة المشرفة أنهم كانوا يكنسونها ويغسلونها بماء الورد الذي جلب خصيصاً لها من حماه (الأصفهاني، ١٨٨٨).

والحاجز الخشبي المحيط بالصخرة المشرفة يعود الى زمن الملك العزيز عثمان. (العارف ١٩٥٥؛ يوسف، ١٩٨٢).

ب- القطع الرخامية :

ترميم وإعمار محراب المسجد الأقصى ٥٨٣هـ/١١٨٧م (لوحة ٣٥)

المحراب (لغة): صدر البيت أو المصلى ويطلق على أحد عناصر المسجد المعمارية، وهنا يمكن تعريفه بأنه الحنية أو التجويف في جدار القبلة (ابن منظور، ١٩٤٦، ج٥).

يعود أول محراب في العمارة الإسلامية إلى عهد عمر بن عبد العزيز، والذي أضافه إلى المسجد النبوي في المدينة المنورة سنة ٩١هـ، عندما كان والياً عليها، وهذا المحراب عبارة عن حنية في حائط القبلة (عبد الوهاب، ١٩٤٦) .

لقد تعددت المواد التي صنعت منها المحاريب نذكر منها، الحجر، الرخام، الخزف، الفسيفساء والخشب وغيرها، والمحاريب نوعان: ثابت ومتحرك (مصطفى، ١٩٧٥).

لعب المحراب دوراً كبيراً في التقاليد الإسلامية، فقد مثل للسلطان صلاح الدين رمز فتح المدينة وتخليصها من الإفرنج، فبعد أن صلى الجمعة وبعد الخطبة الشهيرة التي ألقاها القاضي الفاضل ابن الزكي أمر السلطان بإظهار المحراب، الذي قام الداوية بإخفائه ؛ بأن بنوا عليها جداراً (الأصفهاني، ١٨٨٨؛ الحنبلي، ١٩٧٣) .

لم يكتف صلاح الدين بإظهار المحراب فقط وإنما قام بترميمة وأنفق عليه الأموال الطائلة وأخبرنا ابن الأثير: "ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الأقصى واستنفاذ الوسع في تحسينه وترصيعه وتدقيق نقوشه، فأحضروا من الرخام الذي لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون إليه، قد ادخر على طول السنين، فشرعوا في عمارته، ومحوا ما كان في تلك الأبنية من الصور..." (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١)

استخدم الرخام والفسيفساء في تجديد المحراب، إذ كان الرخام الموجـود فـي الجهـة الشرقية من المحراب ثميناً للغاية، وقد تميز بأنه ملون، وقد جاءت الألوان على سـبعة عشـر ضلعاً رخامياً، إذ ظهرت ثمانية بيض وأربعة حمر، وثلاثة سود، واثنان أخضران. وقد أشـار الرحالة النابلسي أن الثمانية البيض إشارة إلى عدد ركعات صلاتي الظهـر والعصـر لأنهمـا نهاريتان ، وأن الأربعة الحمر رمزاً لصلاة العشاء لأنها تجب بمغيب الشفق الأحمر، والثلاثـة السود رمزاً لصلاة المغرب لأنها تجب عند أول الظلام، والاثنان الأخضـران رمـزاً لصـلاة الصبح. (النابلسي، ١٩٩٠).

إن خاصية استخدام الألوان المتعددة من أهم صفات الزخارف على العمارة الإسـلامية وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة في المساجد وغيرها من المباني. وكان ذلك ابتداءً من العصـر العباسي (Derek, 1964). وكان المسلمون قد تأثروا بهذه الظاهرة الزخرفية من البيزنطيين .

أما الفسيفساء الذي زين به المحراب فهو زجاجي ومذهب، ولم يعرف مصـدر هـذه المواد الثمينة، وربما تكون من القسطنطينية بناء على طلب من السلطان صلاح الدين، والـذي كان يتمتع بعلاقات ودية مع بيزنطة، وقد ذكر لنا ابن الأثير في مواضع أخرى مـن كتابـة أن يكون مصدر الرخام والفسيفساء من الإرث الفرنجي/اللاتيني. مع العلم أن الفاطميين قد صنعوا الفسيفساء وكان يطلق عليها آنذاك (الفصوص القسطنطينية، وكان من عمليات التجديد للمحراب داخل المسجد إضافة الأعمدة الزخرفية الجميلة (الشكل ٢٠: أ ؛ اللوحة ٣٥). (Berchem, 1924)

<u>النصوص الكتابية الأيوبية على محراب المسجد الأقصى:</u>

جـاءت الكتابـات الأيوبيـة علـى محـراب المسـجد الأقصـى علـى نـوعين (Berchem, 1922) هما:

الأول: نص تذكاري يبين أن صلاح الدين قد أمر بتجديد المحراب في سنة خمس مائـة وثلاث وثمانين. وهو مكتوب على لوحة من الفسيفساء بلغت أبعادها ٤٠×١٠سم. وقـد ثبـت أعلى المحراب في الجزء الذي يعلوا القوس. هذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسة مائة وهو يسأل

الله إيزاعه شكرهذه النعمة وإجزال خطه من المغفرة والرحمة" (Berchem, 1922,) وقد دمر هذا النقش في حريق سنة ١٩٦٩ (الفني، ١٩٩٧).

لقد كتب النقش بالخط النسخي الأيوبي، وبحروف متوسطة، وجاءت الكتابة بلون فاتح (الأبيض) على خلفية من الأخضر الداكن، ونلاحظ في هذا النص التذكاري ولأول مرة في نقوش تجديد صلاح الدين لفظة (عبد الله ووليه) لتدل على أن هذا العمل ابتغاء مرضاة وجه الله تعالى. وقد استخدم هذا اللفظ في النقوش الفاطمية (Berchem, 1922) ٠

الثاني: <u>أشرطة من الآيات القرآنية وهي:</u>

١ ــ شريط كبير من الآيات القرآنية، وجد على الحائط الشمالي للمحراب وعلى ارتفاع ٣م تقريباً. وقد كتب بالخط الكوفي بحروف كبيرة سوداء مرصوصة على زخارف بنية مزهرة باللون الأخضر، ويعلوها اللؤلؤ والصدف، وقد جاءت الخلفية مميزة بأنها مذهبة والنص القرآني (شكل ٢٠: ب) تمكن بيرشم من قراءة جزء من هو .. "المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لنريه من آياتنا" (Berchem, 1922).

٢ ــ نص قرآني كتب على لوح رخامي، يقع تحت الطرف الأيسر للنص السابق، وجاء بألوان متعددة، وهو ممتد من الأعلى إلى الأسفل وعلى نفس الحائط. وهو: ***"إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك".***

والنص مكون من أربعة سطور قصيرة، وكتب بالخط البنفسجي الأيوبي، وجاءت حروفه صغيرة، وهي من الحجر ذات لون أسود، على خلفية من المرمر الأبيض (Berchem, 1922) .

٣ ــ نص قرآني مكون من ثلاثة أو أربعة سطور صغيرة جداً، إذ جاءت الحروف صغيرة جداً. وهي بيضاء على خلفية من المرمر الأسود. ولم يتمكن بيرشيم من قراءتها (Berchem, 1922).

زين المحراب بالزخارف الهندسية والنباتية، والتي ملئت بالصدف في أشكالها المحفورة على الرخام. إذ جاء الصدف عبارة عن جديلة متواصلة قوامها دوائر كبيرة ارتبطت بأخرى أصغر شكل(٢٠: ج)، أما الأشكال النباتية فهي عبارة عن أوراق وقطوف من العنب، (شكل ٢٠: د) وكان يعلوها الصدف واللؤلؤ بنفس الطريقة السابقة (Berchem, 1922) ٠

<u>تجديد القطع الرخامية في جدران قبة الصخرة:</u>

قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بإضافة الألواح الرخامية ، وهـــي مـــن نوع (كرارا) ، لونها ابيض ، وأحتوت تموجات طبيعية من الالوان ، الرمادي ، الاسود ،القرميدي وقد رتبة باسلوب فني رائع ، إذ اعطت الشكل المعينـــي الممـــوج (لوحة ٣٤، شكل ٢٣) ٠

غطت هذه الالواح أجزاء متعددة من القبة من الداخل وهي (اعلى عتبـــات الابـــواب والدعامات التي تحمل القبة، والدعامات التي تحمل المثمن الداخلي ٠ (أبو خلف ، ١٩٨٧)

الفصل الرابع

الخصائص المعمارية والزخرفية الإسلاميةلمباني الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي ٥٦٤-٦٤٨هـ/١١٦٥-١٢٥٠م

أولاً: العمـــــــــارة:

أ. الخصائص العامة للعمارة العربية الإسلامية:

تختلف الفنون الإسلامية بشقيها المعمارية والزخرفية عن ما سبقها من الفنون ٠ أن منفذيها مجموعة من الناس اعتنقوا الدين الإسلامي خلال العقد الثالث من القرن السابع الميلادي، وتأثروا بالعمائر والفنون السابقة للإسلام والتي احتواها الإسلام (الفن المسيحي، البوذي، الإسباني) وتلقتها بإبداع وعبقرية، وأظهرت منها طابعاً جديداً يتفق مع فلسفة وتعاليم الإسلام حتى وصل إلى ما وصل إليه من إبداع (Grabar, 1973).

بالرغم من أن معظم باحثي الآثار المستشرقين والمحدثين قد جردوا العمارة والفنون الإسلامية من عروبتها وأصالتها. فأبعدوها عن العرب ونسبوها للفنون السابقة للإسلام كالساسانية، والهيلينية، والرومانية، والبيزنطية، والقبطية، ولم يدركوا أن العمارة والفنون الإسلامية كانت قبل انتشار الإسلام ترتبط بالعمارة والفنون العربية (Al-Abed, 1992)، إلا أنها صقلت بالمفهوم الإسلامي وتعاليمه، وامتدت في سائر الأقاليم الموروثة. إذ حرص الإسلام على إعطاء الصبغة الدينية والحضارية للأمم والشعوب التي انضوت تحت لوائه.

ومن وجهة نظر الباحثة فقد تميزت العمارة العربية الإسلامية بخصائص ومميزات تناسبت مع متطلبات وتعاليم الدين الإسلامي السمحة، وقد تبلورت هذه الخصائص في العالم العربي الإسلامي والتي احتفظت بأصالتها ونقائها وقوة شخصيتها في جميع مراحل تطورها ابتداء من العصر الإسلامي الأول.

ويمكن إجمال السمات والخصائص العامة للعمارة العربية الإسلامية بما يلي:

١ــ الوحدة (Unity) والتنوع:

يقصد بالوحدة في العمارة تشكل العناصر المعمارية في وحدة واحدة ذات صفات مشتركة ومميزة، أما التنوع فهو أن لا يكون معنى الوحدة دالاً على تماثل تام؛ إذ لا يتبع أسلوب واحد في الإنشاء المعماري والزخرفي، فهناك الحس الفني الذي عمل على تنوع وتجديد الطرز والأشكال، هذا بالإضافة إلى أن الموروث المحلي، ومواد البناء المألوفة، والمناخ وجميعها لعبت دوراً في التنوع المعماري الإسلامي وأثرائه (Burckhardt, 1976).

لقد اتبع المعماري المسلم أسلوب الوحدة في منشأته، وذلك من أجل خلق نظام جمالي متحد، نابع من الوحدة (وحدة الإله)، والوحدة التي ضمت الشعوب الإسلامية وهي وحدة العقيدة والحضارة والثقافة، والوحدة التاريخية (مارسيه، ١٩٦٨) والتي بدورها تعني التماسك والاتساق والتكامل والوحدة وهي تمثل التكوين ، إذ لا يوجد تكوين بدون وحدة كما وأن الوحدة تقودنا إلى التكامل الذي لا يمكن أن تحصل إلا بالتكرار (Tonna, 1990 ؛ Burckhardt, 1976)

٢ــ الإيقاعية الهندسية في العمارة :

وهذه سمة بارزة من سمات العمارة والفنون الإسلامية، والتي تعتمد على أسس ومفاهيم هندسية ثابتة ومدروسة. ويندرج تحت هذه السمة صفة المحورية والتناظر، إذ أن التناظر يتشكل من محور أو محورين والذي بدوره يؤدي إلى التوازن المعماري. وهذا الذي يجعل المبنى يتمتع بالمحورية العالية ليس فقط في جزء من المبنى إنما على مستوى المبنى ككل (Grabar, 1978).

٣ــ استخدام المقياس الإنساني (Human Scale):

اتبع المعماري المسلم أسلوب المقاييس الإنسانية في منشآته المعمارية، والتي تعني بمفهومها، أن تتناسب حجوم ومرافق المباني مع التكوين الفسيولوجي الطبيعي للإنسان، إذ لم يعمد إلى إنشاء الأبنية الشاهقة. إلا أن مداخل المساجد والقصور تميزت بالعلو والفخامة (عكاشة، ١٩٨١)، وقد تمت معالجة هذه الفخامة بإضافة العناصر الزخرفية والإنشائية كالمقرنصات، والأشرطة المنحوتة، وتكرار الأعمدة التي تعلوها الأقواس (Tonna, 1991).

٤ــ شيوع عناصر معمارية شكلت أجزاء أساسية من العمائر الإسلامية :

شاع في العمارة العربية الإسلامية عناصر معمارية إنشائية شكلت أجزاءًا أساسية في العمارة الإسلامية كالقباب التي انتشرت في معظم المباني الدينية وبعض المباني المدنية (غالب، ١٩٨٨) والصحن الذي يشكل حجر الزاوية في العمارة الإسلامية، وقد اتخذ عنصراً مهماً في العمارة من العصر الإسلامي الأول، وكان سائداً قبل الإسلام في العمارة السورية، وذلك بسبب طبيعة مناخ بلاد الشام الحارة صيفاً، فيقوم الصحن (الساحة المكشوفة، Open Court Yard) بتلطيف الجو وإعطاء البرودة والظل (Tell, 1982; Tonna, 1991)

لقد استخدم الصحن في العمارة الإسلامية وألحق بالعمائر الدينية والمدنية على السواء، ففي العمارة الدينية ألحق بالمسجد كساحة مكشوفة مسورة لها اتصال بالمسجد، وتحيط بها الأروقة من الجهات الثلاث؛ أما الجزء الرابع وهو الجزء الموازي للقبلة من الساحة والذي بدوره يصل إلى بيت الصلاة في المسجد. أما المباني المدنية فقد الحق الصحن ليشكل ساحة تفتح عليها القناطر والأبواب، والنوافذ، ويمكن التوصل من خلاله إلى سائر مرافق المنزل/ المدرسة (Hill & Grabar, 1967).

وتعتبر العقود والأقواس من أهم مميزات العمارة الإسلامية (الريحاوي، ١٩٩٠).

٥ــ المرونة والانسجام:

يقصد بمرونة العمائر والفنون الإسلامية إضافة وابتكار وحدات وأشكال متنوعة حسب متطلبات ذلك المبنى. دون أن يؤثر ذلك على شكل المبنى الكلي، أو تغيير وظيفته وهذا هو الانسجام (عكاشة، ١٩٨١ ;Tonna, 1991) ، وهذا دليل واضح على أن العمارة الإسلامية تعتمد على الابتكار والتطوير ٠

ب. العمارة الأيوبية:

الطراز المعماري المتبع خلال العصر الأيوبي:

بعد أن تمكن السلطان صلاح الدين من تكوين الكيان الأيوبي، لعبت الظروف التاريخية دوراً بارزاً في تحديد الطراز المتبع في البناء؛ إذ أن محاربة الفرنجة والتصدي الدائم لحملاتهم ناهيك عن الخوف المستديم من الفاطميين الشيعة الذين كانوا يقوموا بثورات وتمردات ضد الأيوبيين. وهذه الظروف التاريخية فرضت على العمارة الأيوبية الطابع التحصيني المحكم (Rice, 1965).

لقد تجلت العمارة الأيوبية بتشييد القلاع والحصون وبناء الأسوار وتزويدها بالأبراج العالية المحكمة، بالإضافة إلى توسيع المدن وتدعيم أسوارها، وتجديد أسواقها وقد هدف توسيعها

لتشمل المدارس والخانات والأضرحة الفخمة والبيمارستانات والحمامات وغيرها (عبد الجـواد، ١٩٦٩) . هذا وقد اتبعت بعض الأساليب الفاطمية في العمائر الأيوبية (Dimand, 1958) .

وتتلخص خصائص العمارة الايوبية بمايلي :

١ـ مادة البناء: تميزت العمائر والمنشآت الأيوبية باعتمادها على الحجر لذلك تمتعت المبـاني الأيوبية بالحصانة والمتانة. وكما عمدوا إلى بناء الأسوار والقلاع بالحجارة الكبيـرة لإضـفاء الطابع التحصيني على مثل هذا النوع من العمائر. وقد استخدمت مساحيق الحجارة مع المونة ثم طليت بالجص، خاصة في الجـدران الداخليـة للمبـاني. المدنيـة (Hillenbrand, 1985; Ettinghausen & Grabar, 1987)

٢ـ اتخذت العمائر الأيوبية نمط البساطة والتقشف وعدم المغالاة إلى جانـب القـوة والمتانـة والحصانة. وهذا بالطبع عائد إلى الظروف التاريخية وما شهدته من صراع مرير مع الإفرنج.

أنواع العمارة الأيوبية:

١ ـ العمارة العسكرية: لقد تحملت الدولة الأيوبية أعباء التصدي للإفرنج الذين اجتاحوا الـبلاد العربية الإسلامية منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. وبناء على ذلك فقد ازدهرت العمارة العسكرية وجددت الأسوار وحفرت الخنادق وشيدت القلاع، وهذا أدى إلى إكتسابها خبرة عظيمة وواسعة في فنون العمارة العسكرية التي اشـتملت علـى شروط المتانة والحصانة واتقان التخطيط والبناء. سيما وأن الاعتماد الرئيسي في البناء اقتصر على الحجارة ذات الأحجام الكبيرة ٠

وكان من أبرز مظاهر العمارة العسكرية، إقامة الأسوار العالية والمدعمة بالابراج حول المدن ، والتي جهزت بوسائل الدفاع والمراقبة، ومرامي السهام، والنوافذ والأبواب. ولا تـزال الأمثلة باقية على التحصينات الأيوبية المنتشرة في مصر وبلاد الشام كقلعة دمشـق، وحلـب، والقاهرة (Ettinghausen. & Grabar, 1987).

٢ـ العمارة الدينية: لقد تعددت المساجد والمدارس الدينية خلال العصر الأيـوبي، إذ احتفظـت المساجد والمصليات بالعناصر التخطيطية للمساجد، فاهتموا بمـداخل المسـاجد إذ أن مـدخل المسجد هو مقدمة لبيت الصلاة. وقد زود المدخل على كل جانب من جوانبه بمصطبة حجرية، ويمتد على كلا جهتي المدخل الواجهة البارزة والمعقودة التي تحتل غالباً الجزء الشـمالي مـن المسجد (Tonna, 1991). ومن عناصر المسجد التي لاقت الأهمية عند الأيوبيين المحراب، إذ

صنعت المحاريب خلال العهد الأيوبي من الرخام الملون، بالإضافة إلى أنها رصعت بالفسيفساء المذهبة والصدف. أما المآذن فقد تميزت بالفخامة والعلو والإتقان (سالم، ١٩٦٣).

أما المدارس فقد انهمك الأيوبيون في إنشائها، وذلك ابتداء من عهد السلطان صلاح الدين. وكان الهدف من ذلك هدفاً مذهبياً، إذ أراد الأيوبيون نشر المذهب السني، ومحاربة الفاطميين الشيعة بعد أن شاع المذهب الشيعي خلال العصر الفاطمي (عبد الجواد، ١٩٦٩؛ الأبيض، ١٩٩٤).

٣ـ العمارة المدنية: اهتم الأيوبيون بهذا النوع من المباني، إذ نلحظ في أبنية المدارس أنها أصبحت ذات حجم أكبر مما هي عليه ، وخاصة المدارس التي تقع خارج أسوار المدينة؛وذلك لتشمل اكبر عدد ممكن من طلاب العلم ٠

لقد تميزت المدارس خلال العصر الأيوبي ويمكن وصف مسقطها الأفقي بما يلي: أنها جاءت بمخطط مستطيل أو مربع. وقد استخدم التناظر في هذا المخطط إذ قسمت إلى ثلاثة مجازات الأوسط منها محراب، والجانبية تكون كقاعات للتدريس. وهناك الإيوان والصحن والرواق. وقد غلب على المدارس الأيوبية صفة أنها احتوت غرفة تشمل مدفناً . وهذا كان سائداً خلال العصر الفاطمي (فكري، ١٩٦٥).

ج. العناصر الإنشائية الأيوبية في الحرم القدسي الشريف:

استخدم في العمارة العربية الإسلامية العديد من عناصر الإنشاء المعمارية التي كانت سائدة في العصور السابقة للإسلام. وقاموا بالإضافة والتطوير على هذه العناصر، والتي طبعت بطابعهم الخاص والمميز الذي اختلف من منطقة إلى أخرى، ومن قطر إلى آخر.

بعد أن تم تحرير بيت المقدس من الإفرنج، قام الأيوبيون ابتداءً من عهد صلاح الدين بالأعمال العمرانية في المدينة وإزالة المعالم الفرنجية التي سادت في المدينة مدة ثماني وثمانين سنة.

اشتملت المعالم الأيوبية في الحرم الشريف على عناصر إنشائية معمارية ذات مدلول وطابع إسلامي كالقباب والأقواس والعقود، ... وغيرها. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن عناصر الانشاء هذه ذات طابع إسلامي خالص، وقد تأثرت بالأساليب المعمارية الفاطمية، إذ ارتأى الأيوبيون إعادة الطابع الإسلامي للمدينة بالسرعة الممكنة، وبأي شكل من الأشكال. وقد اتبعوا الأساليب الفاطمية، وذلك بحكم أن الفاطميين كانت سيادتهم على مصر وعلى فلسطين قبل الاحتلال الفرنجي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. هذا وقد كان للفاطميين خبرة واسعة في الابتكارات

المعمارية والزخرفية والتي تجلت في مدينة القاهرة، التي شهدت نمواً حضارياً متعدد الجوانب خلال حكم الفاطمين لها. بالإضافة إلى أن الأيوبيين قبل أن ينضووا تحت لواء الخلافة العباسية كانت قيادتهم تابعة للفاطميين.

وسينفرد هذا الباب بالحديث عن العناصر الإنشائية المعمارية الأيوبية ومميزاتها في الحرم القدسي الشريف، والتي رأيت دراستها بعدما تعرضت في الفصل السابق الى الآثار الأيوبية في الحرم القدسي الشريف.

١ــ العقود(vaults) :

استخدم الأيوبيون في واجهات المباني المداخل والبوابات ذات العقود المدببة. وهذا النوع من العقود هو ابتكار معماري إسلامي خالص. إذ استخدم ولأول مرة في قصر الحير الشرقي ١٦١هــ/٧٧٨م (فكري، ١٩٦١؛ ١٩٦٧).

يتشكل العقد المدبب من تقابل مستقيمين في الاعلى بزاوية معينة ، بطريقة يكون فيها وضع رجلي العقد مكوناً خطوط رئيسية مستقيمة ، ويتميز العقد المدبب المبتكر في العمارة العربية الإسلامية بأنه يحتوي على قوسين يرسماً من مركزين (شكل ٢١: أ) أو أن يكون من أربعة أقواس مرسومة من أربعة مراكز (شكل ٢١: ب) (شافعي، ١٩٧٠).

لاقت المداخل الاهتمام في العمارة الأيوبية ، فقد جاء الرواق الشمالي للمسجد الأقصى ــ وهو ايوبي البناء ــ عبارة عن أقواس عقدت بعقود مدببة، وقد توخى المعماري الدقة في هذا الرواق ، إذ جاء باتساع مجوف، وعرض يوحي بالاتزان المتناظر، هذا بالإضافة إلى أن الرواق مؤلف من تكوينات نحتية من الكتلة المعمارية، والتي بدورها تكشف الفضاء وتعطية سعة في الامتداد، وبالتالي إيجاد نوعاً من العلاقة بين الكتلة والفضاء وذلك من خلال الرواق الذي يشتمل أقواساً ودعامات (Greene, 1965:Tonna, 1991)

٢ــ القباب (Domes):

لقد عرفت القباب منذ أقدم الأزمنة. وكما أشير سابقاً، فإن إنشائها يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. في بلاد الرافدين.

قام المعماري المسلم بتطوير القبة وأصبحت تضم أنواعاً وأحجاماً عديدة في العمارة الإسلامية، ومن وجهة نظر هندسية أصبحت القبة في العمارة الإسلامية تهدف إلى تجزئة الكتلة إلى خطوط هندسية. (فكري، ١٩٦٧).

كانت المادة الأساسية في بناء القباب خلال العهد الأيوبي، الحجر المنحوت أما قمة القبة فقد شكلت من الآجر المكسو، وقد كانت القباب الأيوبية تتميز بأنها ذات أضلاع شاقولية (قبـــاب مضلعة) (عبد الجواد، ١٩٦٩؛ قاجة، ٢٠٠٠).

قام الأيوبيون ببناء قبتين في ساحة الحرم الشريف هما قبة يوســف ٥٨٧هـــــ/١١٩١م وقبة موسى ٦٤٧هــ/١٢٤٩م، وكانت مادتهما الأساسية هي الحجر المنحــوت. وقــد اتبعــت الأساليب التالية في تشكيلهما وهي:

ــ تحويل الشكل المربع إلى الشكل الدائري مباشرة:

وتكون هذه الطريقة باستخدام الحنايا الركنية (Pendentive) (انظر الشكل ٢٢: أ،ب) إذ ينتج عن قطع نصف قبة كروية بأربعة مستويات متوازية ، وعمودية على المستوى الأفقي المار بمركز القبة، ومستوى آخر أفقي يقطع القبة من جزئها العلوي، بالتالي يتشكل لدينا أربعة مثلثات كروية رؤوسها إلى الأسفل وقواعدها المقوسة إلى الأعلى (Tell, 1982) وتشكل المثلثات التـــي تقام القبة عليها جزءاً من القبة (انظر الشكل ٢٢: ج) لذلك فإن هذا النوع من القباب يكون ذات حجم صغير ومنخفض ؛ وينطبق على هذا النوع قبة يوسف ٥٨٧هــ/١١٩١م التي شيدت فـــي عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وقد سميت باسمه.

ــ تحويل الشكل المربع إلى مثمن : (Squinche) ٠

وذلك عن طريق إضافة ضلع في كل زاوية من زوايا المربع، وبناء على ذلك يستعمل مثلث هرمي مقلوب، أو قوس عقد (انظر الشكل ٨: ب) ونجد هذا في قبـــة موســـى ٦٤٧هـــــ (انظر الشكل ٨) وقبة المعراج[1].

٣ ــ الصنج المعشقة Joggled Voussoris: (شكل ٢٤)

تعتبر الصنج المعشقة من عناصر الانشاء المعمارية التـــي تكســـب الواجهـــة/ العقـــد/ المدخل، صفة المتانة والقوة، بالرغم من انه استخدام كعنصر زخرفي تجميلي في نشأته الأولى ويعود اول مثال له في قصر الحير الشرقي (شافعي، ١٩٧٠).

---

[1] يعود انشاء قبة المعراج إلى فترات سابقة ربما تكون الفترة الأموية.

أقيمت الصنج المعشقة كعناصر إنشائية ، في بوابات الحرم الشريف وهي باب السلسلة والسكينة ٦٠٠هـ/١٢١٣م (لوحة ١٩) ؛ وباب الناظر ٦٠٠هـ/١٢١٣ (لوحة ٢١) . وقد استخدمت لاكساب المداخل المتانة، بالإضافة إلى أنها أعطت منظراً غاية في الجمال.

تقوم تقنية الصنج المعشقة على بناء عتبات أفقية من قطع حجرية متلاصقة أو متعاشقة بحيث تنحت الحجارة بشكل عريض من الأعلى، وضيق من الأسفل ويقابل هذا جزء آخر منحوت بنفس الطريقة؛ وعندما يركب في الوضع النهائي فإن الجزء البارز من الصنجة يرتكز (يعشق) على الجزء الداخل والعكس، بحيث يبدو بشكل مزرر، وهذا بدوره يؤدي إلى تماسك الصنجات وأدائها لدورها الوظيفي المعماري بشكل جيد (انظر شكل ٢٤)(شافعي، ١٩٧٠). أما إذا كانت غايتها زخرفية وتجميلية، فتقوم صناعتها على صقل الحجارة وتنسيقها بشكل ونموذج معين على العتبات الأفقية للنوافذ والأبواب بدلاً من العقود المقوسة والمدببة (فكري، ١٩٦٥).

ثانيا: الزخارف

أ ـ الخصائص العامة للزخارف الإسلامية :

اختلفت الفنون والزخارف الإسلامية عما سبقها من الفنون التي كانت سائدة عند الشعوب والحضارات السابقة للإسلام. إذ كره الإسلام تصوير ذوات الأرواح والمنحوتات المجسمة، مما حدا بالفنان المسلم أن يتخذ أسلوب التحوير والتجريد في رسوماته، وبالتالي اتخاذ نمطاً خاصاً للفنون الإسلامية قوامه الأشكال الهندسية التي تحتوي على الأطباق النجمية والدوائر والمثلثات..... وغيرها، والأشكال النباتية من أوراق وأغصان وثمار وأزهار.

لقد كان للدين مغزى في كراهية تصوير ذوات الأرواح، وذلك حتى لا ينقلب الفنان إلى خالق في نظر نفسه، وحتى لا تتحول الصور إلى معبودات وهذا ما كان شائعاً في الأيقونات البيزنطية (بهنسي، ١٩٩٠).

تشكل الزخارف الإسلامية بمضمونها وشكلها وأنماطها، الابتكارات العربية، والتي كانت بداياتها (قبل انتشار الإسلام) تسمى بالفن العربي السوري، ثم شهدت انصهاراً في بوتقة الفنون الإسلامية، وذلك بحكم انتشار الدين الإسلامي في المنطقة بعد أن كانت تدين بالمسيحية. إذ تلاءمت وانسجمت الفنون العربية مع الدين الجديد، وأصبحت تواكب تعاليمه السمحة. لكن واقع هذا الانسجام لا ينطبق على المسلمين الذين ينتمون لأصول غير عربية كالفرس والأتراك والهنود، إذ أن هؤلاء نقلوا التأثيرات الحضارية الخاصة بهم إلى ممارساتهم الفنية بعدما اعتنقوا الإسلام والتحقوا بالدولة الإسلامية (التل، ١٩٨٣).

ويمكن إجمال الخصائص العامة للزخارف الإسلامية بالشكل التالي:-

١ ـ التكرار: وتتشكل هذه الخاصية من تكرار عنصر أو وحدة زخرفية على نسق متصل. ويكون التكرار على ثلاثة أنواع (قاجة، ٢٠٠٠):

ـ التكرار العادي: ويقصد به تكرار الوحدات الزخرفية في وضع ثابت متناوب ومتتالي.

ـ التكرار المتعاكس: ويتم من خلال تقابل الوحدات الزخرفية في أوضاع متعاكسة في الاتجاه والوضع.

ـ التكرار المتبادل: ويمكن الحصول عليه من تعاقب وحدتين من العناصر الزخرفية.

٢ ـ مليء الفراغ: تعتبر هذه من أبرز صفات الفنون الإسلامية ، إذ راعى الفنان المسلم أن تمتلئ المسطحات الموجودة داخل الإطار الزخرفي الواحد، فلا يترك فراغاً إلا ويكسى بالحلي والزخارف. وتكون الأطر الخارجية في الزخارف هي الحد الفاصل بين الزخرفة والفراغ، إذ تشتمل الأطر في داخلها على زخارف متعددة وخارج حد الإطار يكون لإطار آخر يحمل نفس تفاصيل الإطار السابق ٠ (Baer, 1998).

٣ ـ التشابك: تمتاز الزخرفة العربية الإسلامية بهذه الخاصية، والتي هي عبارة عن التفاف وتداخل الأشكال الهندسية، بحيث تبدو بشكل معقد ليس له بداية أو نهاية، ويمكن أن تتشكل هذه الخاصية من تشابك الأزهار والأوراق النباتية لتشكل الزخارف النباتية (Baer, 1998) ويكون التشابك على نوعين (قاجه، ٢٠٠٠) هما:

ـ التشابك المتتابع: وفيه تلتف الأوراق والأزهار بشكل متتابع أو على شكل حلزوني يضم أزهاراً وأوراقاً متتابعة على ساق ملتوية.

ـ التشابك المتعاكس: وهو عبارة عن التفاف ساقين نباتين بشكل متعاكس مع وجود الأوراق والأزهار.

٤ ــ الاتزان: تعتبر هذه سمة غالبة على الفنون الإسلامية، ويقصد بها تناسق وانسجام العناصر الزخرفية مع بعضها البعض، بحيث يبدو السطح المزخرف متكامل من حيث توزيع العناصر والوحدات الزخرفية والألوان (Grabar, 1973).

٥ ــ التناظر أو التماثل: لم تقتصر صفة التناظر على المباني والعمارة في الفنون الإسلامية، بل كانت أحد أهم ميزات الفنون والزخارف، والتي يمكن تعريفها هنا بأنها عملية تنسيق التكوينات الزخرفية، بحيث إذا قسمت الى نصفين متساويين فإن هذين النصفين ينطبقا على بعضهما البعض (Baer, 1998) والتناظر في الزخارف الإسلامية نوعان (قاجة، ٢٠٠٠) هما:

ــ التناظر النصفي: ويشتمل على عناصر زخرفية متقابلة يكمل نصفها الآخر.

ــ التناظر الكلي: وهو اكتمال عنصرين زخرفيين متشابهين تشابهاً كلياً في وضع متقابل أو متعاكس.

٦ ــ التناسب: وهذه سمة من أبرز سمات الزخارف الإسلامية، والتي بدورها تعطي الفنون الإسلامية جماليتها الخاصة، إذ تعتمد على تناسب الأحجام والمقاييس للعناصر الزخرفية وأجزائها بحيث تبدو النماذج الفنية في هيئة متكاملة (Baer, 1998).

ب- العناصر الزخرفية الإسلامية الأيوبية في الحرم القدسي الشريف :

١- الزخارف الكتابية

تعد الكتابات والنقوش العربية من إبداعات العرب المسلمين على مخلفاتهم المعمارية والفنية ، فقاموا بتزويق وتنسيق الحروف العربية والتي تعددت أنواع الخطوط فيها، بالإضافة إلى احتواء النصوص الكتابية على زخارف هندسية ونباتية، أعطتها طابعاً زخرفياً فنياً رائعاً، وبشكل عام فقد ازدحمت المباني الإسلامية بالكتابات؛ إذ زينت الواجهات الخارجية والمداخل والواجهات التي تطل على صحن المسجد والجدران بنماذج رائعة من الزخارف الكتابية، والتي تشرفت باحتواء بعضها منها بالآيات القرآنية المباركة، وبعض الأقوال المأثورة.

وفي العصر الأيوبي كانت النقوش والزخارف الكتابية تكتب بالخط النسخي، وقد زود كل أثر في الحرم القدسي الشريف يعود إلى هذا العصر بنص كتابي كتب الخط النسخي، ويحتوي النص على البسملة في البداية، ثم تعريف بالبناء والسلطان أو الملك الذي أنشي المبنى في عهده، ويذكر في بعض الأحيان اسم القائم على العمل بالإضافة إلى التاريخ بالشهر والسنة (Berchem, 1925).

هذا وقد كانت النقوش الكتابية الأيوبية تنحت على لوح رخامي أو حجري، ويتم التنفيذ عن طريق كتابة النص على اللوح أولاً، ثم يقوم الفنان بقطع شظايا من الرخام بعمق ٢ملم فتتشكل نتيجة لذلك بروز الحروف، وتظهر النقوش عى شكل بارز عن الأرضية. وتدعى هذه الطريقة بـ (Champler Technique).

وفي بعض الأحيان كتبت النقوش على اللوح الرخامي أو الحجري عن طريق حفر الأحرف، فكانت النصوص تظهر بشكل غائر .

٢- الزخارف الهندسية

أبدع الفنان المسلم بابتكار أنماطاً عديدة من الزخارف الهندسية على الرغم من أنها كانت معروفة في فنون قبل الإسلام، لكن تعاليم الدين فرضت على الفنان المسلم تجنب الأشكال الآدمية والحيوانية في رسوماته وزخارفه على الأخص في المباني الدينية، مما حدا به أن يبتكر ويبدع في الزخارف الهندسية كونها هي المتاحة له هي والزخارف النباتية.

تجاوزت الزخارف الهندسية الإسلامية الأشكال البسيطة التي كانت سائدة في فنون ما قبل الإسلام كالمثلث والمربع والمعين والشكل الخماسي والسداسي والخطوط المجدولة والخطوط المنكسرة والمتشابكة، لتصبح نموذجاً يحتوي تراكيباً معقدة من الأشكال النجمية التي تتعدد رؤوسها ست، ثمانية، اثنا عشر، وثمانية عشر. والتي تضم بداخلها أشكالاً هندسية كالمربعات والدوائر والمعينات. والزوايا وتتصل مع بعضها البعض لتشكل نسيجاً هندسياً رائعاً، ولم يكن هذا التكوين خالي من أي معنى، على العكس فهو مفعم بالمعاني، إذ يعني علاقة الكل بالواحد (Grabar, 1973؛ بهنسي، ١٩٩٠) .

لقد جاءت الزخارف الهندسية الإسلامية على نوعين (Baer, 1998) هما:

ـ زخارف هندسية مغلقة: تتشكل الرسومات عن طريق رسم شكل هندسي رئيسي ويكون متعدد الرؤوس، ويضم بداخله أشكالاً هندسية متداخلة ومتقاطعة ولا تتعدى الحدود الخارجية للإطار الهندسي الرئيسي.

ـ زخارف هندسية مفتوحة: وفي هذا النوع ترسم الأطر الهندسية المتعددة الرؤوس (الرئيسية) على مساحة مزخرفة بالأشكال الهندسية المتعددة والمنسوجة والمتداخلة مع بعضها البعض، والتي بدورها تشكل خلفية للأطر الخارجية.

وقد عرفت هذه الأنواع من الزخارف الهندسية منذ العصر الأموي، حيث وجدت في زخارف خربة المفجر وغيرها من الآثار الأموية، واستمرت حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي (Rise, 1965; Baer, 1998).

لقد كانت الزخارف الهندسية خلال العصر الأيوبي على الرغم من قلتها مقلدة للزخارف الهندسية خلال العصر الفاطمي، إذ أبدع الفاطميون في هذا النوع من الزخـــارف فـــي مصـــر والشام (Dimand, 1958)، ولعل منبر نور الدين زنكي خير مثال لتحفة فنيـــة خشـــبية تحمـــل الزخرفة الهندسية المطعمة والمعشقة.

ولم يبرز الأيوبيون الاهتمام بالزخارف الهندسية على آثارهم في الحرم الشريف ســـوى الدوائر والمضلعات التي زينت محراب المسجد الأقصى (شكل٢: أ،ب،ج) ويعود عدم اهتمـــام الأيوبيين لعنصر الزخرفة في الحرم الشريف، لأنهم وجهوا طاقاتهم لإعادة الحرم الى الحظيرة والطابع الإسلامي، إذ أن الاهتمام بالزخارف عملية ليست سهلة وتحتاج إلى وقت وجهد، كانت الدولة بحاجتهما لمطاردة الإفرنج، الذين كانوا يحاولون إعادة السيطرة على المدينة.

٣- الزخارف النباتية:

وهي ما يطلق عليها الأرابيسك (Arabesque) أو الرقش العربي ويمثل ابداعات العرب المسلمين في ابتكار الزخارف التي تشتمل على تنسيق الأزهار والثمار والأوراق على الغصون مع الأشكال الهندسية المتعددة (Grabar, 1973; Burck hardt, 1976) بشكل يدعو إلى الإيقاعية والتناغم ويطلق عليه (فكري) تسمية التوشيح العربي وعرفه بمايلي " هو أسلوب تتخلص مبادؤه في تنسيق الأشكال النباتية داخل مضلعات هندسية مجردة، وتتعانق فيها الســـيقان والأغصـــان، وتملتئ الفراغات، وتتكرر التموجات الخطية تكراراً تختلط فيه البداية والنهاية. ويتحقـــق فيـــه التماثل والحركة التوفيقية" (فكري، ١٩٦٧).

ويخضع لهذا النوع من الزخارف زخرفة التوريق ، والتي هي عبارة عن اشتمال الخط العربي (الكوفي) على أغصان مورقة ومزهرة بحيث تلتف هذه الأغصان على امتـــداد الـــنص بطريقة هندسية، اعتماداً على التكرار والتعاقب والتبادل لملئ الفراغ والاستمرار إلى ما لا نهاية (Kuhnel , 1976 ;Baer, 1998).

وهناك نماذج إسلامية متعددة من فن الأرابيسك؛ ابتداءً من فسيفساء قبة الصخرة، التـــي احتوت زخارف الفسيفساء فيها على هذا النوع من الزخرفة والذي نفذ باتقان لم يسبق له مثيل؛ وقصر المشتى، إذ اشتملت المنحوتات الحجرية المتمثلة بواجهة القصر على نماذج الأرابيســـك المنفذة بغاية الدقة والاتقان. وهناك العديد من نماذج هذا الفن كرسومات خربة المفجر ومحراب الجامع الأموي. ومحراب جامع القيروان وغيرها (Kuhnel, 1976). وفي العصر الفاطمي ابدع الفنانون بهذا النوع من الزخرفة على القطع والتحف الخشبية والمنابر، والقطع الرخامية.

وقد جاءت النماذج الايوبيية (على الرغم من قلتها) في الحرم الشريف مقلـــدة للنمـــاذج الخشبية الفاطمية والسلجوقية (Grabar, 1973) والمتمثلة بالقطع الخشبية الأيوبيـــة والأقصـــى المزخرفة بالحفر النافر بعناصر نباتية من أوراق الكرمة والاغصان التي تلتف عليهـــا الأوراق وتزينها، والتي بدورها تؤطر العنصر الرئيسي في الزخرفة وهو وردة وورقـــة داخـــل شـــكل هندسي تابعين أو الشكل الخماسي.

ومن نماذج الأرابيسك الأيوبية في الحرم الشريف محراب المسجد الأقصى، الذي قـــوام الزخرفة فيه دوائر كبيرة ترتبط بأخرى أصغر بالإضافة إلى احتواء هذه الدوائر علـــى أوراق الكرمة وقطوف العنب (شكل ٢٠ : ج) ٠

بالإضافة إلى قطع الرخام الأيوبية الموجودة على رقبة القبـــة، والتـــي تحتـــوي علـــى زخارف نباتية تشتمل على أشكال لولبية عبارة عن ساق يتفرع منه انصاف ورقـــات النخيـــل باتجاهين متعاكسين. وفي أعلى الساق ورقة عنب خماسية يعلوها النخيل باتجاهين متعاكســـين. وفي أعلى الساق ورقة عنب خماسية يعلوها ورقة نخيل قسمت إلى نصفين متســـاويين، وفـــي وسطهما كأس مملوء بالأوراق النباتية.

٤ – المقرنصات :

وهي جمع مقرنص، والمقرنص عبارة عن عنصر انشائي وزخرفي، يصنع من الحجارة التي تنحت وتجمع في أشكال ذات نتوءات بارزة تؤلف خلايا معمارية تتكـــون مـــن صـــواعد وهوابط تشبه خلايا النحل، وتتدلى في طبقات تصطف بعضها فوق بعض في أماكن مختلفة من العمائر الإسلامية كأركان القباب، وشرفات المآذن، والواجهات والنوافـــذ والعقـــود والأعمـــدة والزوايا وغيرها وهي نوعان هندسي تكعيبـــــــي والآخـــــــــر علـــى شكـــــــل حنايا (عبد الجواد ، ١٩٦٩; Baer1998 ; Burckhard 1976) وقـــد عثرعلـــى أول نمـــوذج للمقرنصات في نيسابور، والذي يمثل العمارة السلجوقية في إيران ويعود إلـــى فتـــرة القـــرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إذ استخدم المقرنص كعنصر انشـــائي وزخرفـــي . (Burckhardt, 1976)

كما أسلفنا فإن المقرنصات ذات غايات انشائية وزخرفية، فالإنشائية تســـتخدم لتحويـــل السطح المربع إلى السطح المثمن وبالتالي إلى دائرة. وذلك في إقامة الشكل الـــدائري بواســـطة الحنايا الركنية (Squinches) لتسهيل بناء القباب، أما المقرنصات ذات الغاية الزخرفية فتكـــون

عبارة عن خليات زخرفية تتدرج فوق بعضها البعض في واجهات الأبنية وتيجان الأعمدة وبواطن عقود المداخل والأسقف الخشبية وغيرها (Baer, 1998)

أبدع الفنان الأيوبي في هذا العنصر الزخرفي، إذ أن معظم المقرنصات التي تعود لهذا العصر ذات غايات زخرفية، فتركوا لنا نماذج عديدة وفي بيت المقدس وما يهمنا هو الحرم الشريف، إذ حلي باب الناظر بالمقرنصات والذي جدد بناؤه خلال عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣، وقد استعمل هذا العنصر كغاية زخرفية وإنشائية في آن واحد فمن ناحية زخرفية ظهرت الحلى الزخرفية المصطفة فوق بعضها البعض والتي تشبه خلايا النحل، أما الغاية الإنشائية فقد تمثلت في باب الناظر إذ تشكل في باطن عقد المدخل شكلاً مربعاً (والذي احتوى قوس داخلي وقوس خارجي) فأراد المعماري أن يحول الشكل المربع إلى الشكل الدائري بواسطة المقرنصات (انظر لوحة ٢١).

أما المقرنصات التي زينت منبر نور الدين زنكي فيعود إنشاؤها إلى العصر الفاطمي في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م، وهي عبارة عن حلي زخرفية زين بها التاج الذي يعلو باب المنبر، وكذلك التاج الذي يعلو كرسي الخطيب، وقد صنعت من الخشب، وكان صانعها قد خاف عليها من عوامل الزمن؛ إذ غطيت بطلاء من الذهب.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة حقبة تاريخية هامة شهدتها مدينة القدس زمناً مدته ٦٥ سنة وهذه الحقبة هي العصر الايوبي في المدينة وقد قسمت الدراسة الى أربعة فصول بعد المقدمة ؛ ففي الفصل الاول تم الحديث عن أهمية ومكانة المدينة عند المسلمين بالاضافة الى نبذة تاريخية عن المدينة منذ الفتح الاسلامي لها وحتى تعرضها للغزو الفرنجي ، أما الفصل الثاني فقد تناول تاريخ المدينة في العصر الايوبي ، ثم بيان الدور القيادي والريادي الذي لعبة الأيوبيين في تحرير المدينة منتهجين نهج أسلافهم (الأمراء الزنكيين) ، وقد بدأ هذا الفصل بالحديث عن الظروف التاريخية التي أدت الى تعرض المدينة للغزو الفرنجي وسقوطها أمامه سنة (٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م) ، أما الفصلان الثالث والرابع فقد اختصا بدراسة المخلفات والآثار الأيوبية في الحرم الشريف ؛إذ إنفرد الفصل الثالث بالحديث عن الاثار الايوبية بنوعيها الثابتة (العمارة بانواعها : الدينية والدفاعية والتذكارية ومباني الخدمات) ،والمنقولة (القطع والتحف الخشبية ، القطع الرخامية) ٠ أما الفصل الرابع فقد أعطى مميزات هذه الآثار والمخلفات بعد ان تم الحديث في بدايته عن مميزات وخصائص الآثار والفنون

الإسلامية بشكل عام ،إذ تعتبر الاثار والفنون جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية ، وقد تـم التوصل الى النتائج التالية :

١ ــ عندما تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من دخول المدينة فاتحاً ومحـرراً لهـا مـن الفرنجة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م،وكان ذلك بعد أن حقق النصر عليهم في طبرية وذلك في معركة حطين الشهيرة ، ولم تكن هذه الأحداث وليدة لحظاتها؛ إذ شكلت الحلقة المفقودة مـن الجهـود والأحداث التاريخية التي ابتدأت منذ حوالي أربعة عقود، إذ تمكن عماد الدين زنكي عندما كـان في الجزيرة الفراتية من القضاء على إمارة الرها الفرنجية سنة ١١٤٢م، ثم إتباع ابنه نور الدين على نهجه في مطاردة الإفرنج، والذي قام بحركات وسلسلة هجمات على المعاقل الفرنجية، بعد أن شهدت بلاد الشام آنذاك توغلاً فرنجياً على أراضيها، فأحكموا سيطرتهم على سـاحل بـلاد الشام من طوروس شمالاً وحتى حدود مصر جنوباً فقام نور الدين بالسيطرة على مدينة دمشـق سنة ١١٤٩م.

٢ ــ إن الدور القيادي الذي قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي بدأ منذ ١١٧٤م، وذلك بعد وفاة سيده نور الدين زنكي الذي خلف صبياً لا يتجاوز الثانية عشر من عمره، حيـث قـام السلطان صلاح الدين (بعد قدومه من مصر التي كان آنذاك وزيراً فيها) بالسير إلـى دمشـق، ووحد مصر والشام والجزيرة الفراتية، وهذه هي الطريقة المثلى التي يستطيع بها كسر شـوكة الإفرنج، وردع أمراء البيت الزنكي الذي تنافسوا على الحكم.

٣ ــ إن هدف السلطان صلاح الدين من توحيد مصر والشام تحت قيادة واحـدة، هـو إحاطة بيت المقدس ومملكة اللاتين من جميع الجهات، وبالتالي يسهل عليه مهاجمة الإفـرنج، سيما وأنه قد استولى على الثغور والموانئ على البحر الأحمر، البحر الأبيض المتوسـط (فـي مصر)، لضمان عدم وصول نجدات أوروبية في حال حدوث حرب.

٤ ــ لقد امتد النفوذ الأيوبي ضمن مسافات شاسعة من الأقاليم الإسلامية، إذ بلغت حدود دولته من ليبيا غرباً إلى الموصل شرقاً، ومن أرمينيا في الشمال وحتى شبه الجزيرة العربية في الجنوب، وقد تمكن السلطان صلاح الدين من حشد قوات المسلمين من كافة الأقاليم في صـيف (تموز ١١٨٧م)، وحدثت المعركة الشهيرة في طبرية (معركة حطين)، والتـي مـن خلالهـا الوصول إلى بيت المقدس، فكان قضاؤه على فرسان الداوية والاسـبتارية، ورجـال القيـادات العسكرية في مملكة بيت المقدس، هو الذي سهل هذه الغاية التي خطط لها منذ أكثر مـن عقـد ونصف.

٥ ــ لقد تم دخول المدينة المقدسة في نفس السنة في ٢٦ أيلــول ١١٨٧م/ ٢١ رجــب ٥٨٣هــ. وشتان ما بين الطريقة التي دخل بها السلطان صلاح الدين المدينة، وتلك الطريقــة الوحشية التي دخلها فيها الإفرنج المدينة سنة ٤٩٢هــ/١٠٩٩م، إذ دخلها ســلماً بــدون قتــال، ضمن شروط نصت عليها الاتفاقية المعقودة بين الطرفين.وبعد أن خرج الإفرنج من المدينــة، أراد السلطان أن يعيد المدينة المقدسة إعادة فعلية إلى طابعها الإسلامي المتغيب عنها مدة ثماني وثمانين سنة، وهذا شأن خلفائه من أبنائه وأخوانه، وقد شهدت القدس حركة عمرانية في عهــد الملك المعظم عيسى.

٦ ــ من خلال الآثار الأيوبية في الحرم القدسي الشريف، نتبين نشاطاً عمرانياً ملحوظاً في المدينة خلال تلك الفترة، والتي تمثلت بالعمائر الدينية التي لطالما كانت أكثر مــن غيرهــا داخل أسوار الحرم الشريف، وذلك لأن الهدف هو إعادة الطابع الديني الإسلامي المنتهك في هذه المدينة منذ ٤٩٢هــ/١٠٩٨م، فقد تم بناء المدارس الفقهية الشافعية، والزوايــا وغيرهــا مــن المرافق، وهناك المباني المدنية كالمدارس، البيمارستان، ومباني الخدمات التي أقيمت بــدورها لخدمة متطلبات الزائرين والمتعبدين في الحرم الشريف، أما المباني العسكرية، والتــي شــهدت ابتكارات خلال العصر الأيوبي في مصر والشام وصقلت الطابع المعماري الأيوبي بطابعها، فقد كان للمدينة نصيب من هذا النوع من العمارة، إذ قام السلطان صلاح الدين بإعمار السور وحفر خندقه ودعمة بالأبراج وذلك سنة ٥٨٧هــ/١١٩١م وذلــك للتصــدي لحملــة فرنجيــة أرادت السيطرة ثانية على المدينة المقدسة.

٧ ــ لقد كانت المادة الأساسية في العمارة الأيوبية، استعمال مادة الحجر مما أكسبها قوة ومتانة، وكان الحصول على هذه المادة بتقطيعها من الصخر الطبيعي، بالإضــافة إلــى أنهــم استخدموا حجارة استعملت خلال الفترة الفرنجية، وقد استخدموا عناصــر إنشــائية معماريــة اسلامية والتي تأثرت أشد التأثير بالأساليب الفاطمية كالمقرنصات والصنج المعشــقة والعقــود المدببة والأعمدة الفرنجية؛ إذ استخدمت المقرنصات والصنج المعشقة كحلي زخرفية في أعلــى الأبواب، والأقواس المدببة في الواجهات لإعطاء الهيبة والفخامة لواجهات المســاجد والمبــاني الهامة.

٨ ــ إن الزخارف والفنون على الآثار والمخلفات الأيوبية في الحرم الشريف وبــالرغم من قلتها، اتخذت الطابع الزخرفي الإسلامي التقليدي ، الذي يعتمــد علــى عنصــر التكــرار والمحورية والتماثل، والذي ظهر بجلاء على القطع الخشبية في المسجد الأقصى . وبشكل عام فقد تأثرت الزخارف الأيوبية بالزخارف الفاطمية ، وقد فرضت قدسية المدينة على الايوبيين أن

يبتعدوا عن تصوير الكائنات الحية التي كانت من أهم مميزات فنون وزخـــارف الفـــاطميين ، وخاصة على الخزف .

قائمة المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم.
- الأبيض، أنيس، ١٩٩٤، **بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، الطبعـــة الأولـــى، جروس برس، لبنان.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـــ)، ١٩٦٣، **التـــاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثـــة، القاهرة.
- ١٩٧٩، **الكامل في التاريخ**، الأجزاء ٩-١٣، دار صادر، بيروت.
- الأنصاري، محمود، ١٩٨٩، **منبر نور الدين في بيت المقدس**، نشرة صادرة عن قسم أحياء التراث الإسلامي، النشرة رقم ١٣، دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، القدس.

- الأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن محمد القرشي الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، ١٨٨٨، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، طبعة ليدن، بريل.
- ١٩٧٩، **سنا البرق الشامي**/ اختصار الفتح، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- الباشا، حسن، ١٩٩٩، **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، أوراق شرقية، بيروت.
- برجاوي، سعيد، ١٩٨٤، **الحروب الصليبية في المشرق**، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، ١٩٧١، **سنا البرق الشامي**، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- البيطار، أمينة، ١٩٨٢، **تاريخ العصر الأيوبي**، جامعة دمشق، دمشق.
- بيشه، غازي، ١٩٩٣، **الحرم الشريف وقبة الصخرة المشرفة في ضوء الحفريات والدراسات الحديثة**، يوم القدس، أبحاث الندوة الرابعة، عمان، الأردن، ص١٤٨-١٦٧.
- بهنسي، عفيف، ١٩٩٠، **العمارة والزخرفة في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي**، الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٤ القسم الثاني ، الطبعة الأولى، بيروت، ص٧٨١-٨٣٦.
- ١٩٩٥، **الأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها، يوم القدس**، أبحاث الندوة السادسة، منتدى شومان، عمان، الأردن، ص٧٧-٩٨.
- ابن تغربردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأتابكي(ت ٨٧٤ هـ) ،١٩٩٢، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٥، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التل، صفوان، ١٩٦٩، **الإنجازات والدراسات الأثرية الجديدة في الأردن**، حولية دائرة الآثار العامة، مجلد ٤، ص٢٩-٣٨.
- ١٩٨٣، **بناء وزخارف قبة الصخرة في القدس دراسة تحليلية**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عمان، ص١٤١-٢٠٣.
- ١٩٨٨ ، **الاثار العربية والاسلامية في الاردن** ، سلسلة التثقيف الشبابي ، وزارة الشباب في المملكة الاردنية الهاشمية ، عمان
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي (ت ٦١٤) ،١٩٦٤، **رحلة ابن جبير**، تحقيق حسن نصار، مكتبة مصر، القاهرة.

- الجنابي، كاظم، ١٩٧٨، **حول الزخارف العربية الإسلامية**، مجلة سومر، مجلد ٣٤، ص٤٦-٥٣.
- جوني، وفاء، ١٩٩٧، **دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين**، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.
- حسن، حميد محمد، ١٩٨٧، **العقود في العمارة العربية الإسلامية**، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢، ص٧٠-٨٢.
- حسن، زكي محمد، ١٩٥٦، **أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية**، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، ١٩٧٩، **معجم البلدان**، ج٥- ٦ ، دار صادر، بيروت.
- الحنبلي، أبي اليمن القاضي مجير الدين العليمي (ت٩٢٨هـ/ ١٥٢١م)، ١٩٦٨، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، الجزء الثاني، المطبعة الحيدرية، النجف.
- ١٩٧٣، الجزء الأول، مكتبة المحتسب، عمان.
- الحنبلي ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ، (ت ٦٤٣ هـ) ، ١٩٨٥ ، **فضائل بيت المقدس** ، الطبعة الاولى ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق
- الحياري، مصطفى، ١٩٩٢، **القدس تحت حكم الصليبيين**، في، القدس في التاريخ، ترجمة وتحرير كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ص١٦٥-٢٠٢.
- ١٩٩٤، **القدس زمن الفاطميين والفرنجة**، مكتبة عمان، عمان.
- حيدر، كمال، ١٩٩٤، **العمارة العربية الإسلامية**، الخصائص التخطيطية للمقرنصات، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، ١٩٧٨، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، الجزء السابع، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- خليل، مقبولة، ١٩٩١، **مدينة القدس في العهد الأيوبي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
- الدباغ، مصطفى مراد، ١٩٦٥، **بلادنا فلسطين**، الجزء الأول، القسم الأول؛ الجزء التاسع، القسم الثاني، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت.

- الدوري، عبد العزيز، ١٩٩٢، **القدس في الفترة الإسلامية الأولى من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر في القدس في التاريخ**، ترجمة وتحرير كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ص١٣١-١٦١.
- دونكان، اليستر، ١٩٩٢، **مناقشة عرض شريط تلفزيوني عن الحرم القدسي الشريف**، يوم القدس، الندوة الثالثة، عمان ص٤٩-٥٨.
- أبو دية، عدنان، ٢٠٠٠، **الزوايا الصوفية في مدينة الخليل في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، القدس.
- رجب، محمد غازي، ١٩٧٢، **المسجد الأقصى بالحرم الشريف ببيت المقدس**، مجلة سومر، مجلد ٢٨، ص١٣٣-١٤٥.
- ١٩٧٥، **المنبر في العصر الإسلامي الأول**، مجلة سومر، مجلد ٣١، ص ٢٢١-٢٣٠.
- الريحاوي، عبد القادر، ١٩٩٠، **العمارة في الحضارة الإسلامية**، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
- رنسيمان، ستيفن، ١٩٩٧، **الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت.
- زكار، سهيل، ١٩٨١، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، الطبعة الأولى، دمشق.
- ١٩٨٨، **إمارة حلب**، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، دمشق.
- زيادين، فوزي، ١٩٩٣، **آثار بيت المقدس من عهد الروم البيزنطيين وحتى صلاح الدين الأيوبي**، يوم القدس، أبحاث الندوة الرابعة، عمان، ص ١١٣-١٣١.
- سالم، السيد عبد العزيز، ١٩٦٣، **القيم الجمالية في فن العمارة الإسلامية**، محاضرات الموسم الثقافي الثالث لجامعة بيروت العربية، لبنان.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، ١٩٥١، **مرآة الزمان من تاريخ الأعيان**، ج٨، ق١، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الهند .
- ١٩٥٢، ج٨، ق٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.
- سترانج، لي ١٩٧٠ ، **فلسطين في العهد الإسلامي**، الطبعة الأولى، ترجمة محمود العمايرة، وزارة الثقافة والإعلام، عمان.

- شافعي، فريد، ١٩٧٠، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
- شاندور، ألبير، ١٩٩٣، **صلاح الدين البطل الأنقى في الإسلام**، الطبعة الثانية، ترجمة سعيد أبو الحسن، تحقيق نديم مرعشلي، طبعة دمشق، دار طلاس.
- إبن شداد ، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢ هـ)، ١٩٩٤، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** المسماة بسيرة صلاح الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- شعث، شوقي، ١٩٩٣، **التراث المعماري في القدس الشريف بالعهد الأيوبي ووسائل صيانته وترميمه**، بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي – المسيحي، منشورات أيسسكو، الرباط.
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ)، ١٩٩٧، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، الأجزاء ١-٤، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شراب، محمد محمد، ١٩٨٧، **معجم بلدان فلسطين**، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.
- ١٩٩٤، **بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة**، دار القلم، بيروت.
- الصوري، وليم، ١٩٩٤، **تاريخ الحروب الصليبية تاريخ الأعمال فيما وراء البحار**، الجزء الثاني، ترجمة سهيل زكار، بيروت.
- طقوش، محمد سهيل، ١٩٩٩، **تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام**، دار النفائس، بيروت.
- العارف، عارف، ١٩٥١، **تاريخ القدس**، دار المعارف، مصر.
- ١٩٥٥، **تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس**، مطبقة دار الأيتام، القدس.
- ١٩٦٠، **المفصل في تاريخ القدس**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة دار المعارف، القدس.
- عاشور، سعيد، ١٩٧٤، **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، في المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر الهجري، الطبعة الأولى، الجامعة الأردنية، عمان، ص٢١٩-٢٤٤.

- ١٩٨٢، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى**، الأجزاء ١، ٢، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- العبادي، أحمد مختار، ١٩٩٥، **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، بيروت.
- عبد الجواد، توفيق، ١٩٦٩، **تاريخ العمارة في العصور المتوسطة**، مصر.
- عبد المهدي، عبد الجليل، ١٩٨٣، **العلوم الدينية واللسانية في ظل المسجد الأقصى في العصريين الأيوبي والمملوكي**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عمان، ص١٤١-٢٠٣.
- عبد الوهاب، حسن، ١٩٤٦، **تاريخ المساجد الأثرية**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ابن العبري، غريغورس أبو الفرج بن أهروت (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، ١٩٥٨، **تاريخ مختصر الدول**، تصحيح وفهرسة الأب أنطون اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت.
- العسلي، كامل، ١٩٨١، **معاهد العلم في بيت المقدس**، الجامعة الأردنية، عمان.
- عكاشة، ثروت، ١٩٨١، **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة.
- عوض، مؤنس، ١٩٩٩، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، عين شمس.
- غالب، عبد الرحيم، ١٩٨٨، **موسوعة العمارة الإسلامية**، عربي، فرنسي، إنجليزي، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت.
- غوانمة، يوسف درويش، ١٩٨٢، **إمارة الكرك الأيوبية**، مطبعة دار الفكر، عمان.
- غوشة، محمد هاشم ، ١٩٩١، **بوابات القدس**، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان.
- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، ١٩٢٤، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ١٩٩٥، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.
- فكري، أحمد، ١٩٦١، **المدخل إلى مساجد القاهرة**، ومدارسها، دار المعارف، مصر.
- ١٩٦٥، مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة.

- ١٩٦٧، **التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوروبية**، مجلة سومر، المجلد الثالث والعشرون، ص٦٧-٩٤.
- الفني، إبراهيم، ١٩٩٧، **التسوية الشرقية للمسجد الأقصى (المصلى المرواني)**، مركز القدس للأبحاث، القدس.
- قاجة، جمعة، ٢٠٠٠، **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق.
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت٥٥٥ هـ/١١٦٠م)، ١٩٨٣، **المذيل على تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان، دمشق.
- قلعجي، قدري، ١٩٩٢، **صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد**، بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، ١٩٧٧، **البداية والنهاية**، الأجزاء، ١٢-١٣، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت.
- الكواكبي، سعد زغلول، ١٩٧٨، **منبر المسجد الأقصى**، حولية عاديات حلب، العددان الرابع والخامس، ص ٣١-٥٦.
- لتل، دونالد، ١٩٩٥، **القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك**، في، القدس في التاريخ، ترجمة وتحرير كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ص٢٠٣-٢٣٠.
- لجنة يوم القدس، ١٩٩٦، **القدس أمانة في عنق كل عربي ومسلم**، الندوة السابعة، عمان، الأردن.
- ماهر ، سعاد، ١٩٨٥، **العمارة الإسلامية على مر العصور**، الطبعة الأولى، دار البيان، جدة.
- مارسيه، جورج، ١٩٦٨، **الفن الإسلامي**، ترجمة عفيف بهنسي، وزارة الثقافة والسياحة والآثار والإرشاد القومي. دمشق.
- محمود، شفيق جاسر، ١٩٨٤، **تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي**، الطبعة الأولى، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان.
- المدني، زياد، ١٩٩٦، **مدينة القدس وجوارها خلال ١٢١٥-١٢٤٥هـ/١٨٠٠-١٨٣٠م**، الطبعة الأولى، منشورات بنك الأعمال، عمان.
- مشتت، صباح ويحيى، وضاح، -١٩٩، **الخصائص التصميمية للمداخل في العمارة الإسلامية**، صنعاء.

- مصطفى، صالح لمعي، ١٩٧٥، **التراث المعماري الإسلامي في مصر**، جامعة بيروت العربية، بيروت.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت ٨٤٥هـ)، ١٩٩٧، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت.
- المقدسي، شهاب الدين أبي محمود إبن تميم ، (ت ٧٦٥هـ)، ١٩٩٤، **مثير الغرام لزيارة القدس والشام**، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ) ، ١٩٥٦، **معجم لسان العرب**، الأجزاء، ١١، ٥ دار صادر، بيروت، بيروت.
- المومني ، سعد ، ١٩٨٥ ، **القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية المملوكية** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، عمان ٠
- مؤنس، حسين، ١٩٨٢، **العمارة والفنون في دولة الإسلام في المساجد**، دار المعرفة الكويتية، الكويت.
- ١٩٨٤، **نور الدين محمود سيرة مجاهد وصادق**، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر، جدة.
- النابلسي، عبد الغني، (ت ١١٤٣م)، ١٩٩٢، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، الطبعة الأولى، تحقيق ودراسة أكرم الحلبي، دار المصادر، بيروت.
- نجم، رائف وآخرون، ١٩٨٣، **كنوز القدس**، الطبعة الأولى، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان.
- د.ت، **إحراق المسجد الأقصى المبارك**، المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، ص١-٧.
- نوري، دريد، ١٩٧٦، **سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ٥٧٠-٥٨٩ هـ/١١٧٤-١١٩٣م**، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، **الموسوعة الفلسطينية** الأجزاء ٣ - ٤، الطبعة الأولى، دمشق.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، ١٩٥٣، **مفرج الكروب في إخبار بني أيوب**، الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة أحياء

التراث القديم، وزارة المعارف المصرية، دار الثقافة العامة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة.

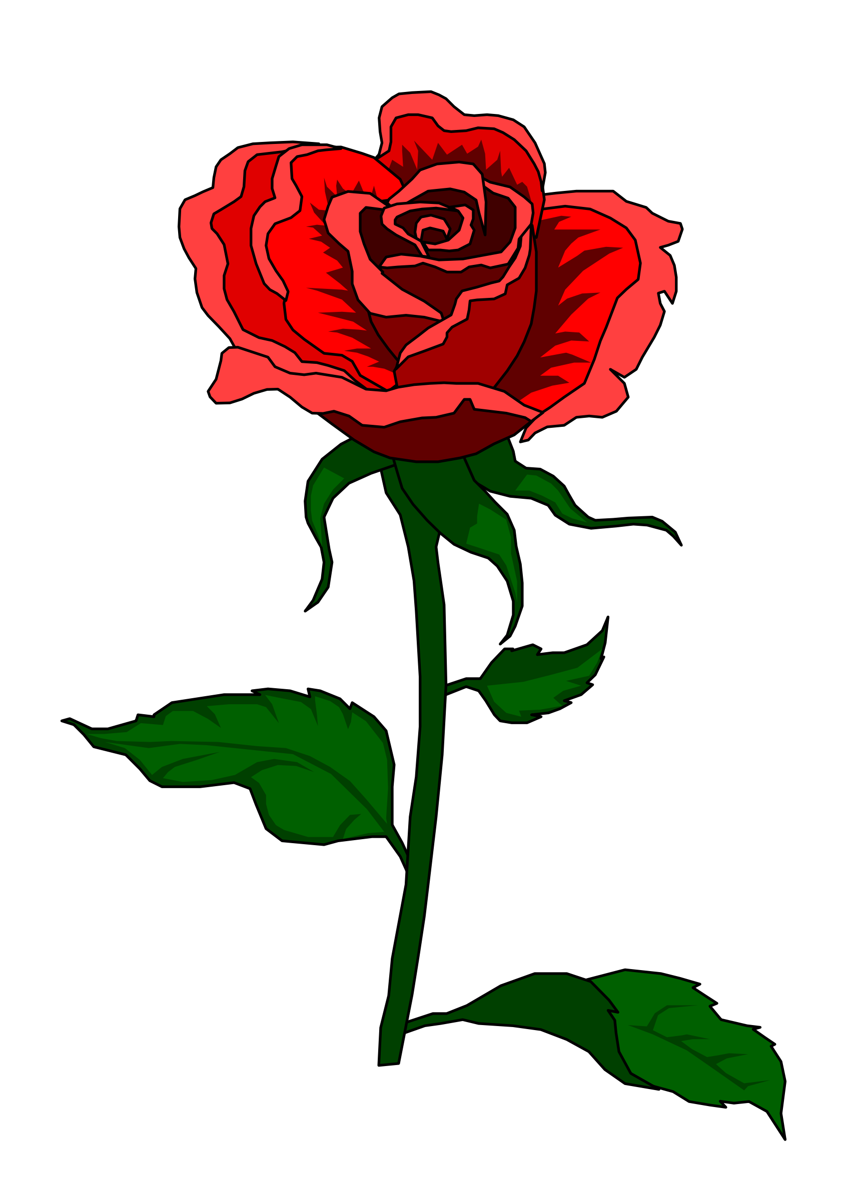
- ١٩٥٧، الجزء الثاني، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة أحياء التراث القديم، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة العامة، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- ١٩٦٠، الجزء الثالث، تحقيق جمال الدين الشيال، دار القلم، القاهرة.
- ١٩٧٢، الجزء الرابع، تحقيق حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر.
- ١٩٧٧، الجزء الخامس، تحقيق حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر.
- وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، د.ت، **منبر صلاح الدين الأيوبي**، تقرير غير منشور.
- وزيري، يحيى، ١٩٩٩، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، مصر.
- يوسف، حمد أحمد عبد الله، ١٩٨٢، **بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية**، دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، القدس.

الملاحق

ملحق (١) الخرائط

ملحق (٢) اللوحات

ملحق (٣) الاشكال



الفصل الثالث

المخلفات الأثرية في الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي
٥٦٤-٦٤٨ هـ / ١١٦٥-١٢٥٠ م

- **تمهيد**
- **أولاً: اهتمام الأيوبيين بمدينة القدس بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م.**
- **ثانياً: المباني المتنوعة :**

١ ــ المباني الدينية:

أ. الجوامع: جامع عمر بن الخطاب، جامع النساء.

ب. الزوايا: الزاوية الختنية، الزاوية الناصرية.

ج. المدارس: المدرسة النحوية.

٢ ــ **المباني الدفاعية:** ترميم السور سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.

٣ ــ **مباني الخدمات:** سبيل شعلان، صهريج المعظم عيسى، الكأس.

٤ ــ **المباني التذكارية:**

أ ــ القباب: قبة يوسف، قبة المعراج، قبة سليمان، قبة موسى.

ب ــ تجديد وإعادة بناء المداخل والبوابات: الرواق الشمالي، باب العتم، باب حطة، باب السلسلة، باب الناظر، تجديد القناطر (الجنوبية الشرقية) لصحن الصخرة المشرفة، تجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى.

ثالثاً: الآثار المنقولة:

أ ــ التحف والقطع الخشبية: منبر نور الدين، القبة الخشبية الداخلية لقبة الصخرة، الأبواب الخشبية على مدخل المسجد الأقصى، الحاجز الخشبي المحيط بالصخرة.

ب ــ القطع الرخامية: تجديد محراب المسجد الأقصى، القطع الرخامية على جدران قبة الصخرة.

تمهيد:

بعد أن هزم السلطان صلاح الدين الأيوبي الإفرنج في معركة حطين الشهيرة سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، استطاع أن يحرر مدينة القدس في نفس السنة، وجعل هذه المدينة ولاية تابعة له ولدولته الممتدة من مصر جنوباً إلى سوريا شمالاً؛ ومن ليبيا شرقا حتى الموصل غرباً.

شهدت المدينة المقدسة قبل الفتح الصلاحي لها مدة ثماني وثمانين سنة لتكون خلالها عاصمة لمملكة اللاتين٤٩٢-٥٨٣هـ/ ١٠٩٩-١١٨٧م، كانت المدينة خلال تلك الفترة مسيحية الطابع، حيث تحولت المعالم الإسلامية فيها لتخدم الدين المسيحي؛ إذ كان يعلو قبة الصخرة الصليب عندما تحولت إلى كنيسة، والمسجد الأقصى الذي تحول إلى مبنى يشتمل على عدة مرافق منها الكنيسة ومستودع الغلال والذخائر واسطبلات الخيول... وغيرها.

لم يتوانَ السلطان صلاح الدين ـ بعد أن هزم الافرنج وفتح المدينة المقدسة – عن إعادة الطابع الاسلامي اليها ، وهذا ما دأب إلية الحكام المسلمين من قبله ، الذين لم يتخلف أحد منهم عن زيارتها او المكوث فيها فترة من الزمن ، أو إنشاء المنشآت الحضارية كالمساجد والمدارس والزوايا والربط والتحصينات ، والتي لا يزال بعضها ماثلاً كذكرى لمن أنشأها .

لقد حظيت مدينة القدس خلال العصور الإسلامية باهتمام علماء المسلمين ، فقد اتخذت كمركز لنشر العلوم المختلفة ، ولا تقل أهميتها عن غيرها من المراكز الاسلامية الهامة من عواصم الاسلام كالقاهرة وبغداد ودمشق ومدن المغرب العربي

أولاً: اهتمام الأيوبيين بمدينة القدس بعد الفتح الصلاحي ٥٨٣هـ/١١٨٧م:

استمر حكم الفرنجة للمدينة المقدسة مدة ثماني وثمانين سنة امتدت من ٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م، بعد أن أسسوا فيها مملكة اللاتين التي امتدت حدودها من "سمت

مصر من العريش، وعلى صوب الحجاز من الكرك والشوبك،وتمتد من البلاد الساحلية إلى منتهى أعمال بيروت" (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢)، وجعلوها عاصمة لهذه المملكة. وقد بذل الفرنجة ما بوسعهم لتغيير طابع المدينة، فقد أصبحت في نظرهم ــ كونها عاصمة لمملكة اللاتين ــ مدينة يقصدها الحجاج القادمين من مناطق عديدة من أوروبا، فأول ما شرع به الإفرنج هو تحصين سور المدينة كونه خط الدفاع الرئيسي عنها، وعلى الأخص السور الشمالي، إذ كان يحوي مناطق ضعف، ثم قاموا بتزويد السور بعدد من الأبراج كبرج تانكرد الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من السور، ثم قاموا ببناء برجين آخرين قرب باب صهيون. (الحياري، ١٩٩٤).

قام الفرنجة بتغيير وتحويل المعالم الإسلامية في المدينة لخدمة أغراض دينهم، فالتفتوا إلى المسجد الأقصى، وحولوه إلى كنيسة أطلق عليها (Palatium Solomone)، وتحول الجزء الغربي منه إلى معقل لفرسان الداوية ، وتم استحداث جناح جديد فيه استخدم كمستودع للأسلحة، أما السراديب الواقعة أسفل المسجد (الأقصى القديمة) فقد استخدموها لتكون إسطبلات لخيولهم (الأصفهاني، ١٨٨٨). وقبة الصخرة فقد تحولت إلى كنيسة وسميت بـ (Tempelum Domini)، ووضع أعلاها صليب كبير ومذهب، وزينت من الداخل بالصور الآدمية والحيوانية (سترانج، ١٩٧٠). ومن المباني التي تم تحويلها خلال هذه الفترة المدرسة الشافعية (الواقعة خارج السور الشمالي للحرم)، فقد حولت إلى كنيسة القديسة حنة (آنا) (الأصفهاني، ١٨٨٨). كذلك وجهوا أنظارهم نحو كنيسة القيامة فأضيفت لها الإضافات والمرافق الجديدة (الحياري، ١٩٩٤). هذا وقد استحدثت مباني جديدة في المدينة خلال هذه الفترة والتي تمثلت بالكنائس والأديرة ، إذ بني عدد لا بأس به من الكنائس. بالإضافة إلى بناء الفنادق لتأوي الحجاج القادمين من شتى أنحاء أوروبا (Burgoyne, 1987).

عندما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس فاتحاً سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أصبحت المدينة ولاية صغيرة تابعة له، فقام بإعادة الطابع الإسلامي إليها، وإزالة كل أثر يبين أن بيت المقدس عاصمة للملكة اللاتين، إذ أن أول ما استرعى اهتمامه هو منطقة الحرم الشريف، فأعاد المسجد الأقصى إلى سابق عهده وأزال كل الإضافات التي أضيفت إليه خلال الفترة الفرنجية، فقام بتجديد المحراب وترخيمه، حيث قام الإفرنج ببناء جدار على هذا المحراب كمستودع للغلال (الأصفهاني، ١٨٨٨)، وقد اشتمل تجديده بنائه بالرخام الجديد، وزينه بالفسيفساء. وكتب عليه نقشاً مذهباً يبين هذه التجديد (أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣). ثم جلب المنبر الذي أمر بصنعه نور الدين محمود زنكي في المدرسة الحلوية بحلب سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وقام بتنصيبه في مكان المنبر الذي أحرقه الإفرنج عندما احتلوا المدينة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢). وقد تابع السلطان اهتمامه بمنطقة الحرم الشريف فاتجه نحو قبة الصخرة، وأزال الصليب الذي كان يعلوها، والرسوم والصور التي رسمت على جدرانها من الداخل، وقام بإزالة الرخام الذي كسا به الإفرنج الصخرة المشرفة، وغسلت بماء الورد الذي جلب لها من حلب (الأصفهاني، ١٨٨٨). ومن المباني الواقعة خارج سور الحرم الشريف كنيسة القديسة حنة (آنا) والواقعة عند باب الأسباط، والتي كانت في الأصل مدرسة، وأعادها مدرسة لتعليم الفقه الشافعي ووقفها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وقد سميت بالمدرسة الصلاحية أو الناصرية (الحنبلي، ١٩٧٣، ج١). والبيمارستان الصلاحي الذي حوله الإفرنج إلى كنيسة، قام صلاح الدين بإعادته إلى سابق عهده وجعله بيمارستاناً لمعالجة المرضى ولتعليم مهنة التداوي (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢). أما الخانقاه الصلاحية والتي تقع شمال غرب كنيسة القيامة فقد أنشأها السلطان صلاح الدين بعدما كانت قصر البطريرك الفرنجي، وقد وقفها للمتصوفة سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م (الأصفهاني، ١٨٨٨) (انظر المخطط رقم ٢) .

بعد أن قام السلطان صلاح الدين بإعادة الطابع الإسلامي إلى منطقة الحــرم الشــريف، وتحويل بعض المباني المسيحية لأغراض إسلامية خارج منطقة الحرم اتجه إلى تحصين أسوار المدينة وكان هذا بعد ثلاث سنوات من الفتح الذي أنعم الله به عليه . كما نلاحظ أن اهتمامــات السلطان بعد الفتح الجليل تركزت على منطقة الحرم وهذا نهج من خلفه من أبنائه وأبناء أخوته' ولم يكن من أولويات أعماله تحصين أسوار المدينة؛ وذلك لانه ضمن عدم وجود خطر مباشــر يهدد أمن المدينة، بالإضافة إلى أن عمليات التحصين تحتاج إلى طاقات مادية وبشرية كان قــد وفرها لإعادة الطابع الإسلامي إلى وسط المدينة والحرم.

شرع السلطان ببناء سور المدينة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وذلك على أثر تزايد الخطــر الفرنجي عندما قاموا بمحاصرة عكا والذي تزامن مع قدوم الحملة الفرنجية الثالثة فأسرع فــي عملية بناء السور وحفر حوله خندقاً وقسم العمل على أبنائه، وأخيه العادل واستخدم عدداً مــن أسرى الفرنج. وتخبرنا المصادر أنه كان يقوم بعمليات قطع ونقل الحجــارة بنفســه وكانــت إضافاته هذه من باب العمود إلى باب الخليل (الأصفهاني، ١٨٨٨؛ ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢).

لم يقتصر الاهتمام بالمظاهر العمرانية وإعادة المدينة إلى قدسيتها على السلطان صلاح الدين الأيوبي، بل انتهج خلفاؤه من بعده نهجه في عمارة المدينة، فقد شاركــــه الملك العادل (٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م)عملية تحصين سور المدينة وبناء الخنــدق (الأصــفهاني، ١٨٨٨) وقام بإنشاء المطهرة الواقعة في الجــــــزء الغربــــــــي من الحــرم الشريف سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وأنشأ الكأس في ساحة المسجد الأقصى (الحنبلي، ١٩٧٣، ج١) هذا وقد جددت في عهده قبة المعراج في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، والواقعة في صحن الصــخرة المشرفة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢).

أما الملك الأفضل وعلى الرغم من قصر مدة حكمه للقدس، فقد ترك لنا آثاراً عمرانيــة كالمدرسة الأفضلية ٥٨٩هـ/١١٩٣م الواقعة في حي المغاربة، وجامع عمر الذي بناه قــرب

كنيسة القيامة سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وقام ببناء المدرسة الجراحية خارج سور المدينة (الحنبلي، ١٩٦٨،ج٢) (انظر المخطط رقم ٢) .

لقد بلغت العمارة أوجها في العهد الأيوبي خلال فترة حكم الملك المعظم عيسى بن العادل (٦١٥-٦٢٣هـ/١٢١٨-١٢٢٦م)، إذ ترك لنا آثاراً متعددة تركزت في منطقة الحرم الشريف، فأنشأ المدرسة النحوية وقبتها سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م الواقعة في صحن الصخرة المشرفة الجنوبي، والمدرسة المعظمية (الحنفية) سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م (العسلي، ١٩٨١) والمدرسة البدرية سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م الواقعة خارج السور الغربي للحرم الشريف (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢). وقام ببناء القناطر الجنوبية الشرقية لصحن الصخرة المشرفة سنة ٦٠٨هـ/١١١١-١٢١٢م (Burgoyne, 1987)، وجدد بوابات عديدة من بوابات سور الحرم الشريف(باب العتم ٦١٠هـ/١٢١٣م، باب السلسلة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، باب الناظر ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، باب خطة ٦١٣هـ/١٢١٦م) ، بالإضافة إلى تجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى سنة ٦١٤هـ/١٢٢٦م، والمكون من سبعة عقود، وحدد الأبواب الخشبية عند مدخل المسجد الأقصى. وقام ببناء سبيل شعلان سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م (الحنبلي، ١٩٦٨،ج٢).

ومما يؤسف له فإن الازدهار العمراني الذي شهدته المدينة إبان حكم الملك المعظم عيسى قد شهد تراجعاً، وذلك عندما أمر الملك المعظم بهدم أسوار المدينة وتحصيناتها ومنشآتها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م باستثناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وكنيسة القيامة، وبرج داود وذلك حتى لا يستفيد الإفرنج من تحصيناتها، وأخليت المدينة من السكان خوفاً منهم وأن يكرروا ما عملوه بالمدينة وأهلها سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، لأنه اعتقد أنهم سيحتلون المدينة بعدما وصلوا مصر.

ولم يقف التدهور العمراني للمدينة عند هذا الحد، فقد شهدت المدينة حدثاً سيئاً وهو قيام الملك الكامل (٦٢٥-٦٢٦هـ/ ١٢٢٨-١٢٢٩م) ، بتسليم المدينة إلى إمبراطور ألمانيا

فريدريك الثاني سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، وكان من شروط هذا التسليم أن تبقى المدينة خراباً كما هي، ولا يجدد فيها أي أثر، إلا أن الإفرنج قاموا بنقض هذه الشروط فقاموا ببناء القلعة وبرج داود (ابن الجوزي، ١٩٥٢، ج٨،ق٢)

لقد عادت المدينة إلى الازدهار العمراني في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٥ -٦٤٨هـ/١٢٤٧-١٢٥٠م) والذي صرف أموالاً طائلة على اعمار المدينة، إذ قام ببناء قبة موسى سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م والواقعة خارج الزاوية الجنوبية الغربية لصحن الصخرة المشرفة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢).

من الملاحظ أن النشاط العمراني خلال العهد الأيوبي في المدينة المقدسة قد تركز في منطقة الحرم القدسي الشريف (انظر المخطط رقم "٣")، إذ أن هذه البقعة - والتي تبلغ مساحتها ٥٠٠×٣٠٠ متراً مربعاً، وتقع في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة التي تشغل ما مساحته ما يقارب كيلومتراً مربعاً واحداً - كانت تعني الكثير للأيوبيين، فعملوا على إعادة طابعها الإسلامي الذي انتهك خلال العهد الفرنجي ، وتغيب عنها مدة ثماني وثمانين سنة، كانت المدينة خلالها عاصمة لمملكة اللاتين، بالتالي أصبحت فرنجية مسيحية الطابع.

كان اهتمام الأيوبيين بمنطقة الحرم القدسي الشريف منذ الفتح الصلاحي لها ، وقد تولى السلطان صلاح الدين ذلك بنفسه ثم تبعه في ذلك من خلفه من أبنائه وأبناء أخوته، وقد أقيمت وتحولت منشآت لخدمة المسلمين خارج أسوار منطقة الحرم، ولكنها ليست بالمقدار الذي أنشئ ورمم في منطقة الحرم الشريف (انظر المخطط رقم "٣")،

حتى أن الاتفاق الذي تم بين الملك الكامل وفريدريك الثاني سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م لم يشمل وقوع الحرم الشريف ضمن السيطرة الفرنجية، إذ وقعت سلطة هذه المنطقة تحت سيطرة الملك الكامل.

ثانياً: المنشآت المعمارية الايوبية في الحرم القدسي الشريف :

أبدى الأيوبيون اهتمامهم بعمائر الحرم القدسي الشريف؛ سواء في استحداث معالم معمارية جديدة، أم في تحويل العمائر السابقة للفتح الصلاحي ، ووقفها لتخدم المسلمين والمقدسات الإسلامية، أم في عمليات الترميم والتي تمثلت بتوفير الأمن لمنطقة الحرم فأجريت عمليات الترميم لأسوار المدينة وأبواب الحرم.

أ. مباني شيدت خلال العصر الأيوبي:

لم يكتف الأيوبيون بالمعالم المعمارية داخل منطقة الحرم الشريف، بل قاموا ببناء معالم معمارية جديدة، أخبرتنا المصادر المعاصرة لها أنها بنيت وأسست بعد الفتح الصلاحي للمدينة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكان الهدف من استحداث هذه العمائر الحاجة الماسة إليها، سيما وأنها دينية الطابع وبالتالي حتى تتأكد قدسية الحرم، وإعادته إعادة فعلية إلى الطابع الإسلامي، الذي غاب عنه قرابة ثماني وثمانيين سنة.

قام السلطان صلاح الدين ببناء قبة يوسف سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وهي تقع إلى الجنوب من قبة الصخرة، ثم قام الملك العادل ٥٩٦هـ/١١٩٩م-٦١٥هـ/١٢١٨م باستحداث الكأس والتي لا تزال ماثلة إلى اليوم في الساحة الشمالية للمسجد الأقصى، وكذلك قام بإنشاء المطهرة؛ ولسنا بصدد الحديث عنها لأنها تقع خارج منطقة الحرم الشريف. أما المعظم عيسى ٦١٥هـ/١٢١٨م-٦٢٤هـ/١٢٢٧م فقد استحدث المدرسة النحوية لتعليم الفقه واللغة العربية.

كما قام ببناء سبيل شعلان في الزاوية الشمالية الشرقية للحرم الشريف.

أما الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٣هـ/١٢٤٥م-٦٤٧هـ/١٢٤٩م فقد أنشأ قبة موسى والتي أنشئت كمبنى تذكاري في آخر أيام حكمة .

ب. مباني كانت موجودة في الفترات السابقة وأعيد استخدامها:

وهي تلك المباني التي كانت موجودة قبل الفتح الصلاحي ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وقد شيدت قبل العهد الفرنجي في المدينة/ الحرم، وقاموا (الإفرنج) بتحويلها كمرافق لخدمتهم. ومن الأمثلة عليها جامع النساء وهو في الأصل بناء فاطمي (الحنبلي، ١٩٦٨)، وفي العهد الفرنجي تم تحويله إلى مكان لطعام فرسان الهيكل، وقد تحول هذا المبنى إلى جامع النساء منذ أن قام صلاح الدين بطرد الإفرنج من المدينة.

أما الزاوية الختنية التي أنشأها صلاح الدين كمعلم ديني خلف المسجد، فهي بناء قديم منذ الفترة الرومانية (الحنبلي، ١٩٦٨) وقد استخدمها الإفرنج كمساكن لأمراء الصليبيين (Burgoyne, 1987).

وقبة سليمان التي يرجح أصل بنائها إلى الفترة الأموية (الحنبلي، ١٩٦٨) وقد استخدمها الإفرنج وسميت بعرش المسيح (Burgoyne, 1987) أما قبة المعراج فقد استخدمها الإفرنج أيضاً وسميت خلال احتلالهم للمدينة ببيت المعمودية الصليبية (Burgoyne, 1987وقد بنيتقبة المعراج في وقت سابق لاحتلال الفرنجة ، وكانت الغاية من تشييدها أن تكون ذكرى معراج النبي الكريم إلى السماوات العلى.

ج. عمليات الترميم:

حافظ الأيوبيون – منذ أن خلصوا المدينة من الفرنج سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م على حدودها وأسوارها إذ قام السلطان صلاح الدين بترميم السور وإعادة بنائه وحفر خندق حوله، وجدد عدداً من الأبراج في هذا السور، كما بذلوا عناية خاصة بسور منطقة الحرم الشريف وبواباته، فقد ترك لنا الملك المعظم عيسى ٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٧م عدداً من الكتابات

على الألواح التذكارية الموجودة على الأبواب والأروقة التي رممها وجددها ، والتــي تمثلــت بترميم الرواق الشمالي للمسجد الأقصى وباب السلسلة وباب حطة وباب الناظر وباب العتم.

الغايات الوظيفية للمباني خلال العصر الأيوبي:

ينفرد هذا البند بالحديث عن أقسام المباني خلال العصر الأيوبي، سواء كانت أيوبيــة البناء والتشييد؛ أم حصل لها عمليات تجديد أم أجريت عمليات حفظ وصيانة، وذلك من خــلال غاياتها الوظيفية الأولى واستعمالاتها ويمكن إجمالها بالشكل التالي:

١. المباني الدينية: (الجوامع، الزوايا، المدارس).

٢. مباني الخدمات: الكأس، صهريج المعظم عيسى، السبيل.

٣. المباني الدفاعية: (تجديد سور المدينة).

٤. المباني التذكارية: ترميم بوابات الحرم الشريف، القباب.

١ ــ المباني الدينية:

لقد نشطت الحياة الفكرية والدينية على حد سواء في بيت المقدس بعد الفتح الصــلاحي للمدينة، وقد تعددت روافد تلك الحياة الفكرية والتي تمثلت بإنشاء المراكز العلمية مثل المدارس والمساجد والزوايا والمكتبات والبيمارستانات. وقد درست في هذه المراكز العلــوم المختلفــة: العلوم الدينية، علوم اللغة العربية، التاريخ، الجغرافيا، العلوم العقلية وغيرها.

أ. الجوامع:

تعتبر المساجد من المباني الوظيفية بالإضافة إلى أنها أول مــا بنيــت فــي العمــارة الإسلامية، وقد أعدت ضمن مخططات جديدة، ولم يؤخذ بعين الاعتبار في بنائها، أن تكون مقلدة لمبنى سابق، وكان الغرض الأساسي منها العبادة، وكانــت المســاجد منــذ نشــأتها الأولــى

للاجتماعات والتعليم بالإضافة إلى كونها مكان يجتمع به مجلس الشورى (الحاكمين) في صـــدر الإسلام (مؤنس، ١٩٨٢).

تمثلت المساجد بنوعين وهما: المساجد الكبيرة الجامعة وتكون لعموم أهل المدينة وتقام فيها صلاة الجمعة؛ والمساجد الصغيرة نسبة إلى عدد من المصلين فيها؛ والتـــي يخضـــع لهـــا المصليات وجوامع النساء.

أطلقت تسمية الجامع على مكان تجمع المسلمين، ليؤدوا فرائضهم على مواعيدها فهـــو قبل أن يكون مسجد كان يسمى جامعاً. هذا وقد اتخذ المسلمون النهج الذي اتبعه الرسول الكريم حينما بنى مسجده الأول في المدينة، والذي كان جزءاً من حوش بيته صلوات الله عليه، وســـقفه بفروع النخيل. (Creswell, 1969)

اقتدى المسلمون ببناء مسجد الرسول لأنهم رأوا أنه لا توجد آية في القرآن الكـــريم، أو في الأحاديث النبوية الشريفة تعطي ملامح ومخطط عام ينتهج في تخطيط المســـاجد/ الجوامـــع سوى أن يكون المحراب في جدار القبلة.

الجوامع في الحرم الشريف خلال العصر الأيوبي:

جامع عمر بن الخطاب (شكل "١"):

وهو المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح المدينة ســـنة ١٦ هــــ /٦٣٧ م حيث أورد الحنبلي ما يلي "... هذا ما تقدم من حديث عمر لما قال لكعب: أين تجعل مصلانا في هذا المسجد؟ فقال في مؤخره مما يلي الصخرة فقال بل تجعل قبلته صدره، ثم خط المحراب من جهة الشرق، مثبت بالحجر والشيد".

وهناك من يدعي أن محراب عمر هو المحراب الواقع بجانـــب المنبـــر فـــي المســـجد الأقصى (الحنبلي، ١٩٦٨). ومما تجدر الإشارة إليه أنه ليس جامع عمر المتعارف عليه اليوم (الذي يقع قرب كنيسة القيامة).

الوصف المعماري للبناء:

الجامع مستطيل الشكل، يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى، يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب حوالي ١٧,٥م، وبعرض مقداره حوالي ١٠م (Yadin, 1976) انظر الشكل رقم (١). له باب في الجهة الغربية يتم الدخول منه إلى المسجد الأقصى، وله باب آخر في جهة الشمال يفتح على إيوان يدعى مقام عزيز، وهذا بدوره يؤدي إلى محراب زكريا الواقع قرب الباب الشرقي للمسجد الأقصى.

وقد تم تحويل المقام واركانة إلى جامع منذ الفتح الصلاحي للمدينة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حيث كان الإفرنج قد حولوا هذا الجزء من المسجد الأقصى إلى كنيسة، وبعد طرد الإفرنج من المدينة حوله صلاح الدين إلى جامع، وسماه بجامع عمر نظراً لاحتوائه على محراب عمر.

جامع النساء لوحة (٢) شكل (٢)

يعود بناؤه الى الفترة الفاطمية (الحنبلي، ١٩٦٨)، وقد تحول خلال العهد الفرنجي إلى مكان طعام فرسان الهيكل كما أسلفنا سابقاً. (Burgoyne, 1987) وقام صلاح الدين بتحويله إلى جامع للنساء منذ أن فتح المدينة وخلصها من الإفرنج (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المسجد الأقصى وحائطه الجنوبي جزء من سور الحرم وهو مبنى مستطيل الشكل، يمتد من الشرق إلى الغرب، يبلغ طوله الكلي ٨٠م وبعرض ٢٠م (قبل أن يتم تقسيمه) وفي المرحلة الأخيرة فأصبحت أبعاده حوالي (الطول ٤٠م والعرض ٢٠م) (. Grabar & Nuseibeh,1996 ؛ Yadin, 1976)

وقد ذكر مجير الدين عن هذا الجامع أشار الى انه كان في زمنه ، بناءاً كبيراً معقــوداً بالحجارة الكبيرة، بني بعشرة قناطر مقامة على تسع سواري (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) وجــاءت هذه القناطر بشكل عقود مدببة، بالإضافة إلى أن الأقبية كانت متقاطعة.

يوجد للجامع عدد من النوافذ تقع في الجدار الجنوبي، والجدار الغربي ، وأهم ما يميزه أنه لا يحتوي محراباً، أما عن أبوابه فيوجد له مدخل مزدوج يقع في الجهة الشمالية ويحيط بــه عمودان من الرخام (نجم وآخرون، ١٩٨٣) ومما تجدر الإشارة إليه أنه يمكن ملاحظة وجــود أقواس من بقايا الأبنية الفرنجية، والتي استخدمت خلال العصر الأيوبي (الفني، ١٩٩٧).

ب. الزوايا:

تعريفهـــــا:

الزاوية مدرسة دينية، وداراً مجانية للضيافة، وهي تحوي كلاً أو بعضاً مــن الأجــزاء التالية: غرفة للصلاة، محراب، ضريح (أبو دية، ٢٠٠٠).

تعتبر الزوايا مؤسسات ذات طابع ديني، يؤمها المتصوفة الذين يعيشون حيــاة زاهــدة، معرضين عن الدنيا ومتفرغين لعبادة الله (شافعي، ١٩٧٠)، وما يميز الزوايا عن المؤسســات الدينية الأخرى (الخوانق، المدارس، الأربطة وغيرها) إنها كانت تقام للمتصوفين ؛ ومخصصة للذكر وترتيل القران الكريم (المدني، ١٩٩٦).

نشأتهـــــا:

لقد ازدهر التصوف في أقاليم العالم الإسلامي في مصر والشام والعراق، شمال غـرب أفريقيا، غرب ووسط آسيا، وأول من أدخل الزوايا إلى مصر هو السلطان صلاح الـدين، ثـم أدخلها إلى القدس بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧، إذ انتشر التصوف في مصر وبلاد الشام أثناء الحروب الصليبية ذلك أن المآسي التي أصابت المسلمين، حـدت بهـم أن يتجهـوا الاتجاه الصوفي والعودة إلى الخالق بالزهد والعبادة ليجدوا مخرجاً من وضعهم الأليم (عاشور، ١٩٧٤).

الزاوية الخنثنية / الختنية[١] ، لوحة (٣) .

تسميتها:

أطلق عليها مجير الدين (الزاوية الخنثنيـة) (الحنبلـي، ١٩٦٨، ج٢)، إلا أن اسـمها الحقيقي هو الختنية وذلك نسبة إلى شيخها الختني خلال القرن الثامن الهجري (ابـن فضـل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)، وقد تأكد اسمها (الزاوية الختنية) من خلال سجلات المحكمة الشـرعية في القدس والمصادر المعاصرة لها في القرن الثامن، بالإضافة إلى أن مجير الدين نفسه أطلـق عليها في مواضع أخرى من كتابة (الأنس الجليل) تسمية الزاوية الختنية (العسلي، ١٩٨١).

تقع الزاوية الختنية جنوب المسجد الأقصى (خارج السور)، خلف المنبر وبابهـا يقـع بجواره، والمبنى الأصلي لها يعود إلى الفترة الرومانية (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)، وقد استخدمت خلال العهد الفرنجي كقصور للأمراء (Burgoyne, 1987) وعندما فتح صلاح الدين المدينة، قام بتجديد البناء وحوله إلى الزاوية الختنية، حيث تم وقفها على الشيخ جلال الدين محمد بن احمـد الشاشي سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١ م) ، وتم وقفها في سنة ٥٧٨هـ / ١١٩١ م (الحنبلـي، ١٩٦٨، ج٢).

---

[١] قامت الباحثة بدراستها على الرغم من أنها تقع خارج سور الحرم الشريف، إلا أنها تقع خلف المسجد الأقصى وبابها يقع جانب المنبر.

هذا وقد لعبت الزاوية دوراً هاماً في الحركة الفكرية والدينية خلال العصرين الأيــوبي والمملوكي، فقد كانت تؤدي دور الزاوية والمدرسة معاً (عبد المهدي، ١٩٨٣).

وصــــف البنـــــاء:

لم يتبق من البناء الأيوبي إلا بعض العقود والشبابيك، ومن تقارير المكتب الإعمـــاري لإصلاح وإعمار الصخرة المشرفة في القدس يشير الباحث الأثري حســن عبــد الوهــاب، أن الزاوية الختنية قد بنيت فوق باب النبي وهو من الأبواب القديمة للحــرم الشــريف (العســلي، ١٩٨١). تستخدم الزاوية في الوقت الحاضر سكناً لموظفي المسجد الأقصـــى، وهـــي مهـــددة بالانهيار والسقوط وذلك بسبب قيام السلطات الإسرائيلية بحفر نفق أسفل السور الجنوبي للحرم الشريف والذي امتد أسفل الزاوية (العسلي، ١٩٨١، عن تقرير أوقاف القدس، تموز، ١٩٧٤)

الزاوية الناصرية:

وهي الزاوية التي جعلها الملك المعظم عيسى ٦١٥-٦٢٣هـ/١٢١٨- ١٢٢٦ م لتعليم القرآن والنحو، ووقفها سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وقد أقامها في السور الشرقي للحرم على بــرج باب الرحمة، ولكنها اندثرت منذ زمن بعيد، حيث أورد لنـــا الحنبلي أنها اندثرت في زمنـــــه. (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

ج. المدارس

أنشئت المدارس خصيصاً لتدريس العلوم الدينية والدنيوية، وقد جــاءت مســتقلة عــن المساجد لإعداد أجيال متعلمة ، ولعل أهم ما يميز المدارس أنها ذات تصميم معماري إســلامي خالص، وليست مقلدة لأبنية سابقة لا بالشكل ولا بالمخطط ولا بالوظيفة، فهي تحتوي كــلاً أو بعضاً من الأجزاء التالية: الإيوان وقد يتعدد في بناء المدرسة ويعتمد تعددها على المــذاهب أو

أساليب التدريس، حيث أن الأواوين هي قاعات المحاضرات (مشتت؛ يحيى، -١٩٩)، ومسكن للمدرس أو شيخ المدرسة، هذا وقد انتشرت المدارس خلال العصر الأيوبي في مصر والشام.

ولم تنتشر المدارس بشكل واسع قبل هذه الفترة (القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي) وهذا بسبب أن المدارس في مصر والشام كانت منذ نشأتها مؤسسات دينية سنية ظهرت لتدعيم المذهب السني والدولة السنية، خاصة وأن النزاعات كانت قائمة بين الدولة السنية، والشيعة وأتباعها (البويهيون الفاطميون) حيث أن الأخيرين قد قاموا بنشر الدعوة الشيعية وأسسوا المدارس في مصر والشام لنشر دعوتهم، ومن هنا كانت ردة الفعل السنية في إنشاء المدارس لتدعيم الحكم السني (العسلي،١٩٨١؛ الأبيض، ١٩٩٤).

المدرسة النحوية ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م اللوحات (٤، ٥) الأشكال (٣، ٤، ٥):

موقعها:

تقع المدرسة في الزاوية الجنوبية الغربية لصحن الصخرة الشرقية، بجانب البائكة الجنوبية الغربية للصخرة. (انظر الخريطة رقم ٤)

أنشئت المدرسة النحوية في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، وكما يدل اسمها فقد اختصت بتعليم علوم اللغة كالنحو والصرف والشعر والبلاغة وغيرها. وقد رتب لها شيخاً وطلبه بلغ عددهم خمسة وعشرين طالباً (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

ويعلل الدكتور عبد الجليل عبد المهدي سبب الاهتمام المتزايد بعلوم اللغة العربية خلال تلك الفترة، إذ أن للعربية صلة قوية بالعلوم الدينية فهي توضح القرآن الكريم وتبين تفسيره وإعجازه كونها هي اللغة التي نزل بها (عبد المهدي، ١٩٨٣).

أما رأي الباحثة، بالإضافة إلى موافقتها رأي الدكتور عبد المهدي، إن الاهتمام بتعليم اللغة العربية وعلومها يعتبر جزء لا يتجزأ من إعادة الطابع الإسلامي العروبي إلى المدينة المقدسة بعد خضوعها للإفرنج مدة ثماني وثمانين سنة.

ألحق بالمدرسة قبة لتعليم القرآن الكريم والقراءات السبع، ووقف عليها أوقافاً جلية، اقتصر صرفها على الحنفية فقط (ابن واصل، ١٩٧٢، ج٤)، ويوجد على الجدار الشمالي من الداخل لهذه الغرفة نقشاً تذكارياً هذا نصه : **"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة وما يليها من العمارة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو المنصور عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو بكر بن أيوب أعز الله أنصارهما وجرى ذلك على يد عبده الراجي عفو ربه الأمير حسام الدين أبي سعد قماز بن عبد الله المعظمي الوالي بالبيت المقدس الشريف وذلك في شهور سنة أربع وستمائة" (Berchem, 1925)**

<u>الوصف المعماري للبناء:</u>

المبنى عبارة عن غرفتين مربعتين مبنيتين من الحجر، يفصل بينهما إيوان مستطيل الشكل (انظر الشكل ٣) الغرفة (أ) عبارة عن غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٦,٥م ويعلوها قبة (القبة النحوية). أما الغرفة (ب) وهي مربعة الشكل طول ضلعها ٥م، وكانت تستخدم لسكن الإمام أو الخادم وقد زودت بساعة كما أخبرنا ابن فضل الله العمري، أما الإيوان الواقع بين الغرفتين والذي أطلق عليه ابن فضل الله العمري رواق. فهو مستطيل الشكل تبلغ أبعاده ١٣×٥م. مدخله يقع في الجهة الشمالية وهو المدخل الرئيسي للمدرسة، وقد انعكست على هذا المدخل سمات العمارة الإسلامية التي تمتاز بالتناظر، والتكرار. فهو عبارة عن مدخل ذو مصراعين (انظر اللوحة ٥) ويوجد على جانبيه عمودان رخاميان يتكون كل عمود من أربعة أعمدة ملفوفة ومثعبنه (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)، ويطلق عليه تسمية عاق والديه أو

(بطن المرابي) (العسلي، ١٩٨١) وقد زخرف أعلى المدخل بزخرفة مخروطية احتوت بداخلها عنصر زخرفي وهو شكل كمثرى انطلقت منه أشعة وقد اتسم بالتناظر والتماثل. ثم زخرف الباب من الأعلى بزخارف هندسية امتازت بالإيقاعية والتكرار وثبات الشكل.

أما الرواق الموجود أمام الإيوان الشكل (لوحة ٥) فهو عبارة عن ثلاثة أعمدة مثعبنة أيضاً بحيث جاء الاثنان الجانبيان مكونان من أربعة أعمدة ملفوفة أما الأوسط فهو عبارة عن عمودين ملفوفين على بعضهما، وكان يعلو الأعمدة تيجان احتوت زخارف نباتية (الأكانثوس). كما يوجد بين هذه الأعمدة عقود مدببة وقد بينت الواجهة من الطوب. إن سمة التناظر والتكرار واضحة في هذا الرواق.

وقد زود الإيوان بثلاث نوافذ (تطل على المسجد الأقصى الآن) ويوجد قرب غرفة القبة الممر الجنوبي العربي لصحن الصخرة المشرفة وهو عبارة عن درجات بلغ عددها زمن ابن فضل الله العمري سبع وعشرين درجة وعرض الواحدة منها نصف متر (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١).

يتمتع مخطط بناء المدرسة بأسلوب العمارة الإسلامية، والتي امتازت بالمحورية، والتناظر. ولعل من أهم هذه المميزات المعمارية والتي تتجلى بشكل واضح في بناء المدرسة على الأخص امتداد الإيوان في الوسط. وهذا يؤكد أهمية الفضاء الأوسط لتنوير مبنى استخدم للدراسة وتلقي العلم، ويتلو هذا الإيوان غرفة التدريس وغرفة السكن.

٢ ــ المباني الدفاعية*:

تجديد سور المدينة ٥٨٣هـ/١١٨٧م

* تطرقت الباحثة إلى تحصين سور المدينة على الرغم من أنه ليس من الآثار داخل منطقة الحرم الشريف، ولكن بيان اهتمام الأيوبيين بهذه المباني .

منذ أن دخل السلطان صلاح الدين بيت المقدس سنة بذل قصارى جهده في سبيل الدفاع عن المدينة وتحصينها وحرص على منع خول أو حدوث خطر خارجي يهدد أمنها، في قام سور المدينة وجدد بناؤه وأقام عليه أبراجاً حربية من باب العمود وحتى باب الرحمة (الخليل) وذلك سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وقد انفق أموالاً طائلة على تلك الأعمال بالإضافة إلى الجهود البشرية، كما استغل أسرى الإفرنج في هذا العمل واستخدم منهم قرابة ألفين شخصاً في عملية بناء السور، ثم بعث إلى والي الموصل يطلب منه إيفاد عمال لحفر الخندق، فقاموا بحفر الخندق واستعملت الحجارة في بناء السور، وقد أنجز العمل في مدة تقارب نصف السنة، وكان العمل يحتاج إلى سنين (الحنبلي، ١٩٧٣، ج١؛ ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١).

وقد ذكر لنا الأصفهاني سير العمل في إنشاء السور والخندق فقد كان السلطان يقوم بنفسه بنقل الحجارة للبناء، وقد قسم العمل بين أخيه العادل وأولاده وأمرائه (الأصفهاني، ١٨٨٨).

ويشير الأصفهاني أيضاً الى أن السلطان قد طلب منه أن ينشئ مكاتبه فيها شكر ، كشكر لوالي الموصل وذلك لإرساله نخبه من العمال في إنشاء هذا السور (الأصفهاني، ١٨٨٨).

من الملاحظ أن عملية تحصين السور لم تكن أعظم الأعمال التي قام بها صلاح الدين في الحفاظ على المدينة، بل كما أسلفنا سابقاً كان أهم أعماله إعادة الطابع الإسلامي للمدينة بشكل عام وللحرم القدسي الشريف بشكل خاص لقد انشغل السلطان صلاح الدين .في تخليص المدينة وبلاد الشام قاطبة من الخطر الفرنجي، سيما وأنه ظل يطاردهم بنفسه عندما كانوا يغيرو على الأقاليم الإسلامية، إذ أن عمليات البناء والتحصين هذه تحتاج إلى جهود مادية وبشرية استخدمها جميعًا في عملياته الحربية.

ولكن عندما داهمه خطر الإفرنج الحقيقي في إعادة السيطرة على المدينة فـي الحملـة الفرنجية الثالثة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، أسرع إلى تحصين السور حتى لا يتمكنوا من الدخول إلـى المدينة مرة أخرى.

ومما يؤسف له ، ان سور المدينة قد دمر خلال العصر الايوبي وذلك في عهد الملـك المعظم عيسى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م عندما كان في دمشق، وكانت القدس تابعة لمملكته. وقـد أمر بهذا التدمير حتى لا يتمكن الفرنجة الصليبيون الذين جاؤوا في الحملة الفرنجية الخامسـة. من دخول المدينة والاستفادة من تحصيناتها لكن هذه الحملة قد باءت بالفشـل (ابـن واصـل، ١٩٦٠، ج٤)، وبقيت القدس في حوزة الأيوبيين ولكن بدون أسوار تحميها، مما أدى إلى هروب ساكنيها إلى بلاد الشام ومصر، إلا أعداداً قليلة بقيت لخدمة الحرم (الحياري، ١٩٩٢) ٠

٣ ـ مباني الخدمات:

وهي تلك المباني التي أقيمت لتخدم الناس سواء أكانوا قاطنين أو زائرين فقد انتشـرت مباني الخدمات في المدينة المقدسة، إذ أمت المدينة أعداداً كبيرة من الناس للزيـارة والتبـرك، فأنشئت الأسواق والحمامات والبيمارستان وغيرها. أما ما يهمنا مـن مبـاني الخـدمات التـي انتشرت في ساحة الحرم الشريف وهي: سبيل شعلان، صهريج المعظم عيسى، الكأس.

سبيل شعلان: لوحة (٦)

تعريف السبيل ونشأته:

السبيل : هو ما يجعل وقفاً وتباح ثمرته للموقوف عليه (ابن منظــور، ١٩٥٦، ج١١).

وهو لفظ يستخدم للدلالة على عين الماء التي يقيمها أهل الخير للسائلين ، وعـــادة مـــا تتواجد السبل في الأماكن التي يؤمها الناس، وذلك لتزويدهم بالماء لاغــراض الشـــرب والمنفعة العامة .

سبيل شعلان ٦١٣هــ / ١٢١٦م: شكل (٦) لوحة (٦)

يقع سبيل شعلان في الجهة الشمالية الغربية من صحن قبة الصخرة المشرفة وقد أنشـــأه الملك المعظم عيسى سنة ٦١٣هــ / ١٢١٦م: إذ ترك لنا نقشاً تذكارياً وضع أعلى العقــد فـــي الجهة الجنوبية من السبيل هذا نصه:-

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تطوع بعمل هذا الصهريج والمصنع المبارك لوجه الله تعالى محمد بن عروة ابن سيار الموصلي رحمه الله ورضي عنه من نعمة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب غفر الله لهما وذلك في شعور سنة ثلث عشر وستمائة وصلى الله على محمد وآله" (Berchem, 1925).

الوصف المعماري للسبيل الشكل(٦) :

هو بئر ويوجد في الجهة الغربية من البئر غرفة هي الشكل (٦:أ)، مفتوحة من الجهات الثلاث ، وكان بناؤها عبارة عن اربع دعامات ، وصل بينها باقواس مدببة وهي مسقوفة لتقـــي الشاربين من اشعة الشمس (انظر لوحة (٦)) اما الغرف الواقعة الى الشرق مــــــن البئـــر (شكل د:ج) فهي عبارة عن غرفة مربعة الشكل ربما اقيمت كمسكن لمن يقـــوم علـــى خدمـــة السبيل .

صهريج المعظم عيسى ٦٠٧هـ/١٢١٠م لوحة (٧) شكل (٧):

يقع خلف المدرسة النحوية، في جدارها الجنوبي (Burgoyne, 1987)، وقد بناه الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م كما دلنا النقش التذكاري الذي كتب فوق المدخل الأوسط لهذا الصهريج وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تطوع بعمل هذا الصهريج المبارك لوجه الله تعالى الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد ابن عروة بن سيار الموصلى رحمه الله من نعمة مولانا الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة سبع وستمائة" (Berchem, 1925)

ويستخدم في أيامنا هذه كمقر لقسم البستنة في الحرم الشريف (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

الوصف المعماري للبناء (شكل (٧)):

الصهريج يتكون من ثلاثة أروقة ، شكل (٧) أغلق ما بينها بواسطة قواطع بنائية ثم غطيت بأقبية متقاطعة ، الاثنان الواقعان في الغرب مربعا الشكل طول ضلع الواحد حوالي ٨م، أما الرواق الثالث وهو الشرقي فهو مستطيل الشكل أبعاده ١٤×٤م ، (انظر الشكل ٧)، ويعتقد أن بناء الأروقة هذه قد تم في نفس السنة التي بنيت فيها المدرسة النحوية . ويحتوي على ثلاثة مداخل تقع في الجهة الجنوبية مسقوفة بعقود مدببة (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

الكأس ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م لوحة (٨) شكل (١٦)

تعريفه ونشأته: وهو المتوضأ ، ويمكن تعريفه بأنه فسحة مبلطة ولها حوض مائي، ويوجد بأرضيتها مناهل لتصريف المياه، ويراعى فيها أن تكون منخفضة عن مستوى سطح

الأرض، وعادة ما تلحق بالمسجد أو المدرسة او الخانقاة، فالمتوضأ ابتكار إسلامي خالص، غايته وجوب الطهارة والنظافة التي أمر بها الدين الإسلامي الحنيف.

ظهر المتوضأ لأول مرة في جامع ابن طولون ٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٨م (شافعي،١٩٧٠) والكأس الموجود في ساحة المسجد الأقصى الشريف أنشأه الملك العادل أبو بكر أيوب سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وقد جدد زمن الأمير تنكز الناصري سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وأعيدت عمارته في عهد السلطان الأشرف قايتباي. (نجم وآخرون، ١٩٨٣؛ شعث، ١٩٩٣). وفي زمن ابن فضل الله العمري (القرن الثامن الهجري) كان الكأس عبارة عن بركة للوضوء، ومصدر مياهها من قناة من الخليل، تبعد عنه عشرين ميلاً (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١) .

والكأس عبارة عن حوض رخامي مستدير الشكل طول قطره ١٠ م (انظر شكل ١٦)، وفي وسطه نافورة، ويوجد على جوانبه من الخارج صنابير يخرج منها الماء للوضوء، وقد زود بمقاعد حجرية ليجلس عليها المتوضئون (نجم وآخرون، ١٩٨٣؛ شعث، ١٩٩٣).

٤ ـ المباني التذكارية:

عمّ الاستقرار بالمدينة وصبح لدى الأيوبيين إحساس بالعظمة والثقة وخاصةً ، بعد أن كان خلاص المدينة المقدسة من الغزو على أيديهم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فقد حاولوا أن يتركوا بصماتهم على منشآت المدينة والحرم القدسي الشريف، إذ أنشئت القباب ورمم بعضها، والتفتوا إلى بوابات الحرم الشريف الرئيسية وقاموا بتجديدها وما زالت النقوش ماثلة تشهد على هذه الأعمال المنسوبة إليهم .

أ. القباب:

نشأتها:

بدأت عمارة القباب في بلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد ثم استعملت في العمارة الرومانية والبيزنطية (شافعي، ١٩٧٠).

تعتبر قبة الصخرة (سنة ٧٢هـ) أول نموذج للقبة في العمارة الإسلامية، (وزيري، ١٩٩٩) ويمثل إنشاء القبة عند المسلم مدلول روحاني يرمز إلى السماء ، مستدلاً من الآية القرآنية: ***"الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها"***[1]. (شافعي،١٩٧٠؛ بهنسي، ١٩٩٥)

تميزت معظم القباب في العمارة البيزنطية قبل الإسلام إنها اعتمدت على تحويل الشكل المربع إلى دائرة (Creswell,1969) هذا وقد اتبع الفنان المسلم بناء القبة على عدة اساليب ، أولها ان يتم تحديد الشكل الدائري بواسطة الاعمدة وفوقها الاقواس المعروفة بالروتندا (Rotonda) وثانياً بواسطة الاعمدة التي تقام عليها القبة على اربع دعائم تمثل الشكل المربع وتحمل اربعة اقواس وفوقها حلقة العنق (Drum) وهنا تظهر المثلثات الكروية على الزوايا الاربعة (Pendentive) (التل، ١٩٦٩؛ Tell, 1982) مع العلم أن النوع الثاني من القباب قد عرف في الفترة الرومانية، حيث وجد نموذج له في نويجيس جنوب عمان (نهاية القرن الثاني الميلادي) (Creswell, 1969) والنوع الثالث يمثل تحويل المربع الى ثماني بواسطة الاقواس الثمانية التي تحمل القبة (Squinsh)

غلب على قباب الحرم القدسي الشريف الطابع التذكاري، ابتداءً من قبة الصخرةاما القباب التي أنشئت/ جددت خلال العصر الأيوبي فقد كانت محمولة على أعمدة التي يعلوها الأقواس ومن اشهرها قبة يوسف و قبة موسى (بهنسي، ١٩٩٥)

قبة يوسف ٥٨٧هـ/١١٩١م لوحة (٩، ١٠):

[1] الآية (٢) من سورة الرعد.

تقع قرب السور الجنوبي لصحن الصخرة المشرفة، بين المدرسة النحوية مـــن الغـــرب ومنبر برهان الدين من الشرق. (انظر الخريطة رقم ٤)

بنيت هذه القبة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وترك لنا في داخلها النقش التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد النبي وآله أمر بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونصر أعلامه في أيام الاسفهسلار الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله في سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة النبوية وبنظر الأمير ناصر الدين [ ] السيفي وفقه الله" (Berchem, 1925)

الوصف المعماري للبناء:

بنيت القبة فوق قاعدة مربعة الشكل طول ضلعها ٢م ترتفع عن الأرضية بمقدار ١٥سم، البناء مكشوف من جميع الجهات باستثناء الجهة الجنوبية، التي التي تمثل جداراً يحتـــوي فـــي وسطه على كوة مزخرفة (انظر لوحة ١٠) يعلوها قوس والجدار يحتوي في أسفله على الـــنقش التذكاري السالف الذكر. أما بقية البناء،فيوجد في الجهة الشمالية عمود رخامي فوقهما تيجـــان مزخرفة بالنحت الدقيق (نجم وآخرون،١٩٨٣).

يمثل بناء هذه القبة والطراز العربي الإسلامي التذكاري، إذ بنيت من الحجر وأقيمـــت على جدار وعمودين من الرخام ذات تيجان مزخرفة ، ويوجد بين الأعمدة والجدار عقود مدببة والتي إزدهرت في العصر الفاطمي. بالإضافة إلى أن زخارف هذه القبة إســـلامية الاســـلوب تعتمد على زخارف هندسية قوامها التكرار والتماثل والمحورية ٠ إن زخارف الواجهـــة تمثـــل

زخرفة هندسية على شكل حنية مبنية من الرخام الابيض ، وقوام هذه الزخرفة شكل زهرة تتوسط الجدار او النقوش بشكل مركزي متداخل .

قبة المعراج لوحة (١١)، (١٢):

تقع إلى الغرب من قبة الصخرة، وقد ذكر مجير الدين أنها كانت في زمنه مقصودة للزيارة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢).

كانت هذه القبة تسمى في العصر الفرنجي ببيت المعمورية الصليبية ، ويعود بناؤها الى فترات سابقة .

ولم يتم التوصل الى معرفة التاريخ الحقيقي بناء هذه القبة ، وكما يبدو اسمها فقد أقيمت لذكرى عروج النبي الكريم الى السموات العلى (Burgoyne , 1987) .

هذا وقد جددت خلال العهد الأيوبي زمن السلطان الملك العادل ٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م، وفي سنة(٥٩٧هـ / ١٢٠٠ م)على يد الاسفهسلار عز الدين عثمان بن علي الزنجيلي الذي كان والياً على القدس آنذاك. (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢). وقد ترك لنا نقشاً تذكارياً أعلى الباب الخارجي يبين ذلكهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم وما تفعلوه من خير يعلمه الله ومن يعمل مثقال ذره خير يره هذه قبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي ذكرها أهل التاريخ في كتبهم تولى إظهارها بعد عدمها وعمارتها بعد دثارها بنفسه وحالة الفقير إلى رحمة ربه الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير الأوحد الأعز الأخص الأحق المجاهد الغازي المرابط عز الدين جمال الإسلام سعيد السعداء سيف أمير المؤمنين ابي عمرو عثمان بن علي بن عبد الله الزنجبلي متولي القدس الشريف وذلك في شهور سنة سبع وتسعين وخمسمائة"

(Berchem, 1925)

الوصف المعماري للبناء:

القبة عبارة عن بناء ثماني الشكل، مبني على مصطبة مستطيلة الشكل ترتفع عن أرضية صحن الصخرة المشرفة مسافة ٢٢سم، طول هذه المصطبة من الشرقي إلى الغرب حوالي ٩م وعرضها من الشمال للجنوب حوالي ٧م، وللقبة باب يقع من الجهة الشمالية عرضه حوالي ٩٠سم، وطوله حوالي١,٥م يتم الدخول منه عبر صعود ثلاث درجات (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)

أقيمت القبة على أعمدة رخامية بيضاء عددها ثلاثون عموداً ارتفاع الواحد منها حوالي (٨٠ , ١ م) ، تقف كل أربعة في مجموعة واحدة باستثناء الجهة الجنوبية، فشكلت مجموعتيها ثلاثة أعمدة لكل مجموعة، وقد فرشت أرضيتها بالرخام. والمساحات التي بين مجموعات الأعمدة (أضلاع الشكل المثمن) كسيت بالرخام، وأبعاد القبة من الداخل من الداخل هي ، الطول من الشرق إلى الغرب حوالي ٤,٧٦م والعرض من الشمال إلى الجنوب حوالي ٤,٢٥م، وتحتوي عدداً من الطاقات، وقد زودت بمحراب مساحته حوالي ١م^{٢} لوحة رقم (١٢) (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١) وقد غطيت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص (شراب، ١٩٩٤).

جاءت التيجان الموجودة على الأعمدة الداخلية قرب المحراب مختلفة من حيث الزخارف انظر لوحة (١٢) (Burgoyne, 1987) ومن المحتمل أن يكون اختلاف التيجان هذا مقصوداً، وقد علل ذلك جرابار عندما وضح ذلك في التيجان التي ظهرت على الزخارف الفسيفسائية في قبة الصخرة، حيث كان أحدها مجنح والآخر شبه مستدير، وعلله برمز انتصار الإسلام على الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية (بيشه، ١٩٩٣).

قبة سليمان لوحة (١٣)، (١٤):

تقع هذه القبة في الجزء الشمالي من الحرم الشريف، قرب باب العتم، وقد جددت خلال العهد الأيوبي (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)، هذا وقد تم استخدامها خلال العهد الفرنجي وسميت بعرش المسيح (Burgoyne, 1987).

لم يعثر على نقش تذكاري يذكر إعادة بنائها خلال العهد الأيوبي إلا أن المحراب الموجود داخلها يعود لهذه الفترة (انظر لوحة ١٤)، وهو جزء لا يتجزأ من هذه القبة (Burgoyne, 1987)

الوصف المعماري للبناء:

بناء مثمن الشكل، له مدخل في الجهة الشمالية، بنيت أضلاعه الثمانية بالرخام، ويحتوي على أربع وعشرين عموداً رخامياً يبلغ طول الواحد منها حوالي ١,٧٠م وعلى جانبي المحراب يوجد عمودين رخاميين طول كل واحد حوالي ١م، وتبلغ مساحت البناء من الداخل حوالي ٤,٥م^{٢}. وترتفع أرضية البناء حوالي ١٣,٥سم عن سطح الأرض. (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١)

قبة موسى   لوحة (١٥) شكل (٨)، (٩)

تقع خارج الزاوية الجنوبية الغربية لصحن قبة الصخرة، وهي تقابل باب السلسلة الواقع في السور الغربي للحرم الشريف.

بنيت القبة خلال العهد الأيوبي في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٣-٦٤٧هـ) وكما يظهر في نهاية الكتابة كما بين النقش التذكاري الذي كتب بالخط النسخي الأيوبي فوق مدخلها وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمارة هذا المكان مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدنيا والدين ابن الملك الكامل في شهور سنة سبع وأربعين وستمائة"

(Berchem, 1925)

الوصف المعماري للبناء :

يتكون البناء من غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٦,٨م، بنيت على مصطبة ترتفع عن مستوى سطح الأرض حوالي ٣٥سم، يبلغ طول هذه المصطبة من الشمال إلى الجنوب حوالي ١٦,٣م، أما عرضها من الشرق إلى الغرب فهو ١٦,٦م، وقد جاء بناء غرفة القبة في الجهة الجنوبية من المصطبة. فرشت أرضية الغرفة بالرخام، ولها باب يفتح في الشمال عرضة(١ م) وطوله ١،٣٥م وهو الجزء الذي يعلوه النقش الشكل (٩: ج) وقد زود بنافذتين الشكل (٩: أ، ب) (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤ ج١)

بناء القبة شكل (٨) :

بنيت القبة على عقود، إذ جاء بين كل حائط وآخر قوس عقد (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١).

وجاءت رقبة القبة على شكل مثمن (Squinsh) ، إذ اعتمد في بنائها على تحويل الشكل المربع إلى مثمن والذي يسهل إقامة القبة عليه. وقد اتبع هذا الأسلوب في العمارة الإسلامية.

ب. تجديد وإعمار المداخل والبوابات:

البوابات والمداخل في التاريخ:

ترمز مباني المداخل الكثير للشعوب القديمة، وقد اختلفت أشكالها باختلاف الحضـــارات التي أنشئت فيها، مع بقاء التشابه والتباين في وظائفها. إذ جاءت مداخل الأهرامات المصـــرية التي تعود للحضارات الفرعونية سرية ولا يستطيع أي شخص الوصول إليهـــا، بينمـــا بوابـــة عشتار، الممثلة للحضارة البابلية، والتي جاءت غنية عـــن التعريـــف بضـــخامتها وفخامتهـــا، بالإضافة إلى زخرفتها البديعة بالطوب المزجج، هذا وقد تميزت مـــداخل الفتـــرات الرومانيـــة والإغريقية بالضخامة والعلو ووجود الأعمدة العالية والنوافذ الكبيرة (Fletcher, 1959) .

البوابة / المدخل في العمارة الإسلامية:

تكمن وظيفة المدخل في الدخول والخروج، ولإعطاء الطابع الحضاري سواء للمســـجد؛ أو للقصر أو المسكن أو السور، ولبيان حرمة الجزء الذي يكمن خلف المـــدخل، إذ أن القـــرآن الكريم أمرنا بالدخول من الأبواب ونهى عن الدخول من أي موضع آخر. إذ قال جل جلاله في محكم كتابه: *"وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت مـــن أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون"*. سورة البقرة الآية ١٨٨.

لقد اهتم المعماري المسلم بعنصر المدخل في عمارته، إذ قام بتزيينه بالعقود والأقـــواس المدببة والمخصصة. وهذه المعطيات الزخرفية أعطت المداخل الإسلامية صفة معمارية جمالية وظيفية، فبالإضافة إلى أن المعماري المسلم قد ابتكر فن زخرفي زيـــن بـــه المـــداخل وهـــو المقرنصات، إذ أعطت هذه الزخرفة المبتكرة بعداً ثالثاً في جمالية المدخل والمبنى ككل. (حسن، ١٩٨٧).

تجديد وإعمار البوابات خلال العصر الأيوبي:

أبدى الأيوبيون جل اهتمامهم في بوابات ومداخل الحرم القدسي الشريف وخاصة زمـــن الملك المعظم عيسى ٦١٥-٦٢٣هـ/ ١٢١٨-١٢٢٧م، والذي ترك لنا آثاراً جلية ليس فقط في منطقة الحرم الشريف بل في المدينة، إذ ورث عن أبيه الملك العادل سبعمائة ألف دينار استغلها

في إعمار المدينة وكما نعلم فإن السلطان صلاح الدين منذ أن فتح المدينة كان يقوم بحمل الحجارة بنفسه في عملية ترميم وبناء سور المدينة وبواباتها (الأصفهاني، ١٨٨٨) .

والأبواب التي جددت زمن المعظم عيسى هي: الرواق الشمالي، والرواق الشمالي للمسجد الأقصى، وباب العتم، وباب حطة، وباب السلسلة، وباب الناظر، وقناطر قبة الصخرة (الجنوبية – الشرقية) (Burgoyne ,1987) .

الرواق الشمالي ٦١٠هـ/١٢١٣م لوحة (١٦) شكل (١٠):

قام الملك المعظم عيسى بترميم وتجديد الرواق الشمالي للحرم الشريف، وذلك سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

وقد اشارت بعض المراجع الى ان هذا الرواق قديم ويعود إنشاء أجزاء منه إلى الفترة الهيرودية. (Burgoyne, 1987)

يمتد الجزء الذي جدده الملك المعظم عيسى من باب العتم (الدويدارية) وحتى النهاية الغربية للرواق بالإضافة الى عدد من المدارس التي أنشئت خلال العصر المملوكي وهي: الأمينية، والفارسية، والمالكية (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) .

لقد تم تأكيد هذا التجديد الذي قام به الملك المعظم للرواق الشمالي من خلال النقش التذكاري الذي كتب فوق الباب (٣) الشكل (١٠) وقد كتب النقش بالخط النسخي الأيوبي، وهذا نصه: "**جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة عشر وستمائة والحمد لله وحده في ولاية الأمير الأجل عز الدين عمر بن يغمور". (Berchem, 1925)**

الوصف المعماري لتجديد الرواق:

اشتمل التجديد الذي جرى زمن الملك المعظم عيسى على تسعة أبواب (١-٩) الشكل (١٠)، وقد لوحظ أن هذا الجزء الذي تم تجديده قد كان ذو عمق واحد وهو ٤,٦٥م، وهذا العمق يختلف عن عمق المباني التي بنيت في الفترات اللاحقة التي بلغ عمقها ٤,٣٧م (Burgoyne, 1987) ويعتقد بيرغوين أنه بني لأول مرة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

إن الباب رقم (١) الشكل (١٠) قد احتوى من الأعلى دعامات ذات سطح منحدر بشكل عمودي وذلك لتصريف مياه الأمطار، وهذه تقنية استخدمت خلال فترة الفرنجة، واستعملها المسلمون خلال الفترة الإسلامية الأولى، هذا وقد تم تكييف الجزء الذي أضيف للرواق الأيوبي في الفترات اللاحقة (المملوكية) بجانب الباب رقم (١) شكل (١٠) إذ كان يحتوي نافذة تعود لفترة مبكرة من بنائه – فقاموا بإزاحة كتف العقد ليلائم الرواق الأيوبي، بالإضافة إلى أنه تم بناؤه بنفس العمق الذي بنى به الرواق الأيوبي ٤,٦٥م ويعود تاريخ بناء هذا الترميم إلى ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. (Burgoyne, 1987)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأبواب ذوات الأرقام (٢) (٣) قد رممت خلال العصر العثماني (Burgoyne, 1987)

كان الطابع المعماري للرواق الشمالي الذي رممه الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ هو الطابع المعماري الإسلامي، إذ احتوى عنصر العقود، وذلك لإعطاء الهيبة والفخامة، حيث أعتمد عنصر التكرار (تكرار) العقود وهذا بحد ذاته ابتكار إسلامي خالص، إن استخدام العقود في العمارة الإسلامية يعتمد على .وسيلة تقنية معمارية وهي توزيع الثقل.(مشتت؛ يحيى، – ١٩٩) استخدمت الحجارة في بناء الرواق وأغلب الحجارة تمثل إعادة استخدام للحجارة المستخدمة في المباني الفرنجية ٠

باب العتم ٦١٠هـ/١٢١٣م لوحة (١٧) شكل (١١)

اهتم المسلمون بهذا الباب، إذ يعتقد مجير الدين الذي أطلق عليه تسمية باب شرف الأنبياء أنه الباب الذي دخل منه الخلفية عمر بن الخطاب عندما فتح المدينة سنة ١٥هـ /٦٣٦ م ، وقد أطلق عليه خلال العهد المملوكي بأن الدوايدارية نسبة إلى المدرسة المسماة بهذا الاسم (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) وقد سمي من قبل المجلس الإسلامي الأعلى اسم بوابة الملك فيصل، وذلك لأنه كان قد تبرع بعمارة المسجد الأقصى (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

جدد هذا الباب زمن الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣-١٢١٤م في نفس الفترة التي تم فيها تجديد الرواق الشمالي، إذ وجد عليه نقشاً يحمل اسم الملك المعظم عيسى وذكر في هذا النقش أبعاد الحرم ، وقد كتب النقش بالخط النسخي الأيوبي ونصه هو:

"بسم الله الرحمن الرحيم طول المسجد سبع مائة وأربع وثمانين ذراع وعرضه أربع مائة وخمسة وخمسين ذراع الملك" (Berchem, 1925) .

الوصف المعماري للباب (شكل ١١) :

يشكل باب العتم أحد الأبواب التي جددت ضمن الرواق الشمالي، فهو عبارة عن بوابة، ذات عقد مدبب ، يبلغ طوله ٥,٥م، وعرضه ٢,٧٠م (ابن فضل الله العمري، ١٩٢٤، ج١) وعمقه ٤,٦٥م وهو نفس العمق للرواق الأيوبي (الرواق الشمالي) بالإضافة إلى أنه احتوى في الجزء العلوي منه على دعامات ذات سطح منحدر بشكل عمودي (وهذه التقنية الفرنجية التي تم الحديث عنها سابقاً) (Burgoyne, 1987) .

باب حطة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م لوحة (١٨) شكل (١٢)

يقع هذا الباب في النصف الشرقي من السور الشمالي للحرم الشريف ، وهو من الأبواب القديمة للحرم، ويذكر لنا مجير الدين أنه الباب الذي ورد فيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ρ : قيل لموسى عليه السلام: قل لبني إسرائيل *"ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين"* الآية (٥٨) من سورة البقرة (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢)

جدد هذا الرواق زمن الملك المعظم عيسى سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م واستدل بها على ذلك من خلال النقش الذي وجد عليه وهو:

"جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وذلك في شهر رجب من سنة سبع عشرة وستمائة" (Berchem, 1925) ٠

الوصف المعماري للباب:

الباب عبارة عن مدخل عالي الارتفاع وذو عقد مدبب ، يبلغ عمقة (٣٧, ٤ م) الشكل (١٢) عمقه ٤,٣٧م وذو عقد مدبب، زينت مقدمته من الأعلى بحلية معمارية (طنف) (Corbel table). وهذا العنصر إعادة استخدام لأثر يعود إلى الفترة الفرنجية، وهو ليس الجزء الوحيد الذي يشكل إعادة استخدام لعناصر سابقة، إذ أن معظم الحجارة المستخدمة في بناء وتجديد باب حطة كانت مستخدمة في العهد الفرنجي، حيث ظهرت عليها توقيعات البنائين الإفرنج (Burgoyne, 1987). وقد بلطت أرضية ببلاط حجري (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

باب السلسلة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م لوحة (١٩)، (٢٠) شكل (١٣)

يقع باب السلسلة في السور الغربي للحرم الشريف، وبالتحديد في النصف الجنوبي منه.

الباب عبارة عن مدخلين هما: السلسلة والسكينة . وكان يطلق في السابق، على باب السلسلة اسم باب داود، باب السحرة، أما باب السكينة فهو مغلق ، كان يطلق عليه تسمية الباب المغلق (الحنبلي ١٩٦٨، ج٢)

جدد هذا الباب خلال العهد الأيوبي، وقد تم الاستدلال على ذلك من خلال تفصيلات وواقع أجزاء من البناء المشابهة للأبنية الأيوبية (نجم وآخرون، ١٩٨٣)، وقد بني بعناصر صليبية، لكن عمليات البناء أيوبية تعود لـ ٥٨٣هـ/١١٨٧م و٥٩٥هـ/١١٩٩م (Burgoyne, 1987)، وقد خضع الباب في العهود اللاحقة لعمليات التجديد وإعادة البناء، إذ يوجد عليه نقش يعود إلى سنة ٧١٣هـ/١٣١٣ (Burgoyne, 1987)

الوصف المعماري للباب:

إن أبعاد كلاً من السلسلة والسكنية متشابهة، وسيتم وصف باب السلسلة كونه هو المفتوح، يبلغ طوله تقريباً ٥م، وعرضه ٣,٥م (العمري، ١٩٢٤، ج١) وهو عبارة عن عقد مدبب تعلوه صنج حجرية معشقة. وقد زود بباب خشبي مكون من مصراعين (نجم وآخرون، ١٩٨٣؛ غوشة، ١٩٩١)

يتلو الباب رواق معقود على عشر سواري، يبلغ طوله حوالي ٣٨م وبعرض حوالي ٥م، وارتفاع العقود حوالي ٧م وبالاتجاه شرقاً يوجد ممر يؤدي إلى سلالم صحن الصخرة المشرفة وهي الواقعة قرب المدرسة النحوية (العمري، ١٩٢٤، ج١).

يوجد على جانبي الباب تسعة أعمدة رخامية (انظر اللوحة "٢٠") خمسة في الجهة اليمنى ، واربعة في الجهة اليسرى وكانت الغاية من هذه الاعمدة زخرفية اذا جاءت باحجام صغيرة نسبياًوضعت على جانبي الباب على شكل طابقين في الجهة اليمنى بلغ عدد الاعمدة السفلية ثلاث والعلوية اثنان واحد منها مزدوج (ملفوف ومثعبن) اما الجهة اليسرى الاعمدة

السفلية اثنان والعلوية اثنان أحدهما ملفوف ومثعبن كما في الجهة المقابلة ٠ (نجـم وآخـرون، ١٩٨٣)، ويمكن إدراك الطابع الإسلامي على هذا المدخل وهو تناظر الأعمدة التي وجدت على جانبي المدخل ولكن الغريب هو دمج الأعمدة، إذ اعتدنا وجود نمط واحد من الأعمدة في نفـس المبنى.

باب الناظر ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م لوحة (٢١) شكل (١٤)

يقع في الثلث الشمالي من سور الحرم الشريف، وهو قائم منذ أقدم الأزمنة وكان يعرف قديماً باسم باب ميكائيل، وقد أخبرنا مجير الدين أنه هو الباب الذي ربط به جبريل عليه السلام البراق ليلة الإسراء، وذكر أنه رمم زمن المعظم عيسى في حدود سنة ستمائة للهجرة بإشـراف الأمير حسام الدين الجراحي. (الحنبلي، ١٩٦٨، ج٢) ولا بد أن يكون قد ترك نقشاً تذكارياً يبين هذا الترميم، ويبدو أنه اندثر مع الزمن.

إلا أن ليسترانج – مستنداً على ما ذكره السيوطي – قد ذكر أن هذا الباب لم يرمم خلال العصر الأيوبي (سترانج، ١٩٧٠)

جدد بناء الباب خلال العصر المملوكي، إذ يوجد نقش تذكاري يذكر هذا التجديد يعـود إلى سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧–١٣٠٨م (Burgoyne, 1987)

الوصف المعماري للباب:

هو باب ضخم، بني باتقان، ذو عقد مدبب، وتعلوه زخرفة المقرنصـات التـي تعلـو المداخل (بواطن العقود) (انظر لوحة ٢١)، زود بمصراعين من الخشب صفحا بالنحاس (نجم وآخرون، ١٩٨٣).

لقد ابتكر المعماري المسلم وخاصة في الفترات اللاحقة للعصر العباسي استخدام زخرفة المقرنصات الصنج المعشقة في الأجزاء التي تعلو المداخل ، وقد كانت الغاية من إضافة هـذه العناصر زخرفية ليست معمارية "أما المقرنصات فكانت تتدلى من داخله (المدخل) بهدف جمالي بحت دون أضعاف القوة البصرية لقوة العقد فكان بطن العقد يبدوا وكأنه غار تتدلى منه الهوابط المتكلسة بحيث تعود بنا الناحية التعبيرية للشكل الإنشائي إلى خبرة الإنسان الأولى في الكهوف" (مشتت؛ يحيى، -١٩٩)

تجديد القناطر الجنوبية الشرقية لصحن قبة الصخرة ٦٠٨هـ لوحة ٢٢)

قام الملك المعظم عيسى بتجديد القناطر الجنوبية الشرقية لصحن قبة الصخرة سنة ٦٠٨هـ/١٢١١-١٢١٢م. (Burgoyne, 1987) .

وقد ترك نقشاً تذكارياً يبين هذا التجديد، هذا نصه:**"بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القناطر في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة ثمان وستمائة والحمد لله" (Berchem, 1925)**

ويذكر بيرغوين أن بيرشم لم يقرأ النقش كاملاً إذ زودنا بتكملته وهي:

"في ولاية الأمير الأجل عز الدين عمر بن يغمور" (Burgoyne, 1987)

الوصف المعماري للقناطر:

هذه القناطر عبارة عن أقواس حجرية مدببة، بنيت على دعامتين من الحجر المبنى حصر بينهما عمودين من الرخام (نجم وآخرون، ١٩٨٣)، وقد كان العرض لوجود هذه القناطر

في العمارة الإسلامية الاهتمام بالمداخل المؤدية إلى قبة الصخرة المشرفة، إذ جاء فيها عنصر تكرار الأقواس، وسمة التكرار هذه من أهم سمات العمارة الإسلامية.

تجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى ٦١٤هـ/ ١٢١٧م لوحة (٢٣) شكل (١٥)

(ملاحظة: كان من ضمن العمل لها عمل الأبواب الخشبية الموجودة عند مدخل المسجد الأقصى الشمالي عام ٦١٤هـ/١٢٢٦) .

قام الملك المعظم عيسى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بتجديد الرواق الشمالي للمسجد الأقصى، وهو المدخل الرئيسي للمسجد. وترك لنا نقشاً تذكارياً (اللوحة ٢٤) على لوح رخامي أعلى الباب، هذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم أنشئت هذه الوالي الأروقة في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي العزائم عيسى ابن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي بكر ابن أيوب ابن شاذي خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكهما وذلك في سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله"

(Berchem, 1922)

الوصف المعماري للرواق:

الرواق عبارة عن سبعة أقواس مدببة ، مبنية بالحجر، أكبرها الأوسط والـذي بلـغ ارتفاعه حوالي (٨ م) وعرضه حوالي (٤م) أما الأقواس الأخرى فبلغ ارتفاع كل واحد منها (٦م) وبعرض (١,٨م).

وقد ارتكزت هذه الأقواس على ثماني دعامات مربعة الشكل احتوت الدعامات الموجودة عند الباب الأوسط على أربع أعمدة تحمل تيجاناً، لقد تميز المدخل بالفخامة إذ تكون من واجهة اشتملت على دعامات، حملت هذه الدعامات عقوداً مدببة، وجاءت هذه العقود سعة في العرض والارتفاع لفضاء المداخل ، وهذا يعود لنمط توزيع القوى فيها وتحملها العالي للأثقال وقلة دفعها الجانبي، وقد أكسبتها هذه الصفة تحملها للأثقال أكثر ، وهذه المميزات ميزتها عن العقود الدائرية والمخروطية. وتعتبر هذه من صفات مداخل المساجد في العمارة الإسلامية٠

جاء باطن هذه العقود مزخرف (زخرفة منحوتة Zig-Zag) هذا وقد زخرف الجزء العلوي من الرواق وذلك على طول امتداده الأفقي بزخرفة قوامها قطعاً حجرية مقصوصة بحيث انتهت برؤوس مدببة (مقصقصات) (انظر للوحات ٢٣؛ شكل ١٥) وقد أعطت هذه الزخرفة سمة جمالية للواجهة.

ثالثاً: الآثار المنقولة في الحرم الشريف خلال العصر الايوبي ٠

أ. التحف والقطع الخشبية:

منبر نور الدين زنكي ٥٧٠هـ لوحة (٢٥)، (٢٦)

لمحة عامة عن المنبر ونشأته : ـ

المنبر من الفعل نبر وتعني ارتفع، والمنبر هو مرقاة الخطيب وقد سمي بهذا الاسم نظراً للارتفاع والعلو (ابن منظور، ١٩٥٦، ج٥) ٠

ألحق الرسول الكريم ρ بمسجده منبراً خشبياً صنعه له تميم الـداري فـي ٧هـــ / ٦٢٨م. وكان عبارة عن درجتين والثالثة هي مكان جلوس الخطيب (Houtsma, et.al, 1936)

وبهذا فقد كان منبر الرسول صلى الله عليه وسلم بسيطاً في التكوين ومتيناً في الصناعة (وزيري، ١٩٩٩) ، حيث كان الرسول قبل ذلك يستند إلى جذع نخلة في المسجد، وربما يكون هناك دكة طينية تقع إلى جانب الجذع يجلس الرسول عليها (رجب، ١٩٧٥) ٠

لقد مر المنبر بعدة مراحل خلال العصور الإسلامية، إذ أصبح يحتوي درجات عديـدة تتراوح بين ٨–١٠ درجات وزود بدرابزين على جـانبي الـدرج، وبـاب ذو مصراعيـن، وشرفات مزينة من الأعلى بالمقرنصات (غالب، ١٩٨٨) ٠

<u>منبر نور الدين زنكي (٥٧٠هـ) اللوحات (٢٥–٣٢)</u>

عندما دخل الإفرنج مدينة القدس ٤٩٢هـ /١٠٩٩م قاموا بإحراق المنبر الموجود فـي المسجد الأقصى، وقد نذر الملك العادل نور الدين نذراً؛ أن يستعيد بيت المقـدس مـن أيـدي الفرنجة ، وأن يصنع منبراً في حلب لينصب في المسجد الأقصـى ، ليـدل علـى انتصـاره (الكواكبي، ١٩٧٨). ولكن الأجل وافى نور الدين قبل إنجازه هذا المنبر وقبل أن يتم تحريـر بيت المقدس، فقد بدء العمل به سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وانتهت أعماله في ٥٧٠هـــ/ ١١٧٤م ، وحيث أكمل في عهد ولده الملك الصالح إسماعيل (Grabar, 1973; Berchem, 1927)

ولما كان فتح المدينة المقدسة على يد السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م أراد أن يصنع منبراً يليق بالمسجد الأقصى، فأشير إليه بالمنبر الذي أمر بعمله نور الدين منذ سـنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م. (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١ ؛ المقريزي، ١٩٩٧، ج١) .

وقد أورد لنا الأصفهاني أحداث هذا العمل المبارك إذ قال: "ولما فتح السلطان القدس تقدم بحمله وصح به في محراب الأقصى تفريق شمله، وظهر سر الكرامة، في فوز الإسلام بالسلامة، وتناصرت الألسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة ولصلاح الدين بالنصرة والنعمة" (أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣)

وربما كان وصول المنبر إلى بيت المقدس في النصف الثاني من رمضان لسنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، لأن دخول السلطان صلاح الدين المدينة كان في السابع والعشرين من شهر رجب، وبقي في المدينة حتى نهاية شهر شعبان من نفس السنة ، فإذا كان قد أمر باستحضار المنبر قبل أن يغادرها وضمن الترتيبات التي أمر بها فلا يعقل إلا أن يكون قد وصل بعد منتصف شهر رمضان المبارك (الأنصاري، ١٩٨٩) .

صناعة المنبر :

لقد كلف نور الدين نجاراً في حلب يدعى الأختريني (نسبة إلى بلده اخترين) وكان قد أوصاه بأن ينجز ويحسن ويتقن صناعة المنبر ، مهما تطلب منه ذلك من وقت ومن مال "فأمره نور الدين (الاختريني) بعمل منبر بيت الله المقدس، وقال له: "اجتهد أن تأتي به على النعت المفهوم، والنحت المهندس، فجمع الصناع وأحسن الإبداع ..." (أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣).

هذا وقد استغرقت صناعة المنبر مدة ست سنوات، وبعد أن اكتمل وضع في مسجد سليمان بن عبد الملك في مدينة حلب، حيث كان منبر هذا المسجد قد احترق منذ أيام نور الدين زنكي، ولكن المنبر الجديد نصب مكانه ليس ليحل محلة ، بل تم وضعة إلى حين أن يتم تخليص المدينة المقدسة من الفرنجة (الكواكبي، ١٩٧٨).

ولما كان المنبر في حلب ، قدم ابن جبير وصفاً له عندما كان في رحلتة يقوم بزيارة مدينة حلب سنة (٥٨٠هـ /١١٨٤) ووصف المنبر بالصفات التالية : "وقد استغرقت الصنعة

القرنصية جهدها في منبره، فما رأى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته واتصلت الصنعة الخشبية منه إلى المحراب فتجلت صفحاته كلها حسناً على تلك الصفة الغريبة. وارتفع كالتاج العظيم ... وقد قوس أعلاه وشرف بالشرف الخشبية القرنصية، وهو مرصع كله بالعاج والأبنوس، واتصال الترصيع من المنبر إلى المحراب..." (ابن جبير، ١٩٦٤)

كان إنجاز المنبر في مدينة حلب في المدرسة الحلوية التي ضمت فنانين وحرفيين في صناعة النجارة وهم من أصول حلبية، إذ تركوا أسمائهم على أماكن متفرقة من الباب (Berchem, 1927) ومن أبرز الأسماء صانع اسمه سلمان بن معالي ويعتقد أنه من أسرة عبيد النجار بن معالي ، صانع تابوت الإمام الشافعي سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م (حسن،١٩٥٦) أما الكواكبي فقد ذكر أنه هو الاخترينى (الكواكبي، ١٩٧٨) .

إن المنبر – واعتماداً على الفترة الفاطمية يمثل خصائص تلك الفترة البنائية والزخرفية، وهو يشابه النماذج الفاطمية الموجودة والمحفوظة إلى الآن، وكذلك فإن خصائص هذه النماذج استمرت خلال العصر المملوكي (Berchem, 1927 ؛ Houtsma, et.al. 1936) .

يمثل المنبر تحفة فنية رائعة، فقد تميز بالديكور الجميل والمتقن، والنقوش المنحوتة ضمن الأشرطة الخشبية المنحوتة، فهو مصنوع من خشب السرو الحلبي (أحد أنواع الأرز)، وقد طعم بالعاج والأبنوس، وتميزت صناعته بأنه كان بطريقة التعشيق، إذ لم يستعمل في صناعته مسمار ولا أي مادة لاصقة، (دونكان، ١٩٩٢). جاءت القطع الخشبية على نسق متداخل، ثم ان تشابك الأخشاب مغطى بالقطع العاجية المزخرفة (Buhl, 1927, , Berchem, 1927).

وصف بناء المنبر:

يرتكز المنبر على الحائط القبلي للمسجد الأقصى، له مدخل مكون من مصرعين (انظر لوحة "٢٦") يعلوهما قوس متعرج على شكل القبة ، وقد أحـيط البـاب بدعائـم تحمـل مقرنصات (تاج المدخل) وبعد الباب يوجد عدة درجات ، ارتفاع هذا الـدرج (٢٨٠ سـم) ، وهي تؤدي الى كرسي الامام الذي يتوسط مقصورة متوجة بمقرنصات تشابه تلك التـي تعلـو الباب لوحة (٢٧) ويوجد على جانبي كرسي الإمام نافذتين ذات عقود مدببة ، ويبلـغ ارتفـاع المنبر الكلي من سطح الأرض وحتى أعلى نقطة (٤٩٠ سم) . أما الدرجات فقد احيطت مـن الجانبين بدرابزين على شكل متوازي مسـتطيلات (Berchem, 1927،بهنسـي ١٩٩٠ الفنـي، ١٩٩٧) (انظر اللوحة ٢٨) .

زخارف المنبر:

لقد تم تصميم المنبر وتنفيذه ليوضع في صرح ديني، لذلك فقد راعـى الفنـانون فـي صناعته الاعتماد على الزخارف النباتية والهندسية والابتعاد عن تصوير الكائنات الحيـة ذوات الأرواح، وهذا لا ينفي أن المسلمين قد استعملوا الكائنات الحية على نماذجهم، بالرغم مـن ان الفن الإسلامي منذ نشأته اعتمد الأشكال النباتية والهندسية والكتابية وتكرار هذه الأشكال لتشكل لوحات فنية متناظرة قوامها التكرار الذي يعتبر من أهم صفات الزخارف الإسلامية، التي تعبر عن صفاء الروح والذهن والتي بدورها تواكب تعاليم الدين السمحة، ونلاحظ صـور ورسـوم الكائنات الحية على كثير من نماذج الخزف والمعادن الإسلامية التي تعود للعصور الوسطى.

احتوى المنبر كلاً من الزخارف التالية:

١ ـ الزخارف النباتية الشكل (١٧) والتي جاءت متنوعة ومتقنة، وأهم ما يميزها أنها جـاءت ذات حفر عميق (حسن، ١٩٥٦). وقد استخدمت هذه الزخارف في المنبـر لملـئ الحشـوات

الزخرفية وسد فراغاتها، وعمل الأفاريز وتغطية المساحات الزخرفية (الجنابي، ١٩٧٥)، هــذا وقد كانت الزخارف النباتية على منبر نور الدين مطعمة بالعاج (انظر الشــكل ١٨) وقوامهــا أغصان تلتف على بعضها البعض وتنتهي بوريقات.

٢ ــ الزخارف الهندسية في لوحة (٣١) ، جاءت في غاية الاتقان في منبــر نــور الــدين، إذ جاءت زخارف وأشكال هندسية مزجت بزخارف نباتية، بحيث أصبحت الخطوط الهندسية تمثل خطوطاً خارجية وملئت حشواتها من الداخل بالزخارف النباتية، والتــي ضــمت فــي ثناياهــا الحشوات العاجية المجمعة. ومن أصناف الزخارف الهندسية في المنبر الأطباق النجمية وهــذه الميزة من ميزات زخارف العصرين الفاطمي والأيوبي في مصر والشــام (مــاهر، ١٩٨٥). وهي ذات الرؤوس الثمانية التي جاءت على درابزين الدرج (لوحــة ٣٠) ، وهنــاك الأطبــاق النجمية ذات العشرة رؤوس (لوحة ٢٩) وقوام الأطباق النجمية هو عبارة عن نجمــة تحتــوي عدداً من الرؤوس اللوزية الشكل يدور حولها قطعاً هندسية ، ويسمى الطبق بعدد رؤوس النجمة المركزية فيه (الجنابي، ١٩٧٥).

هناك عنصر هام من عناصر الزخرفة الهندسية نفذت بمنتهى الدقــة والإتقــان وهــي زخرفة المقرنصات. والتي أخذت حيزاً لا بأس به من المنبر ، الى زين التاج الذي يعلو الباب، والتاج الذي يعلو مكان جلوس الخطيب بالمقرنصات المذهبة (انظر لوحة ٢٥).

والمقرنصات عبارة عن حلى معمارية زخرفية، تتكون من مجموعة من الحنايــا التــي تتدرج في صفوف فوق بعضها البعض، وقد استخدمت في العمارة الإسلامية، وشكلت أحد أهــم خصائص الفن الإسلامي، وقد نشأ وتطور هذا النوع من الزخارف على يد العرب المســلمين. (حيدر، ١٩٩٤)

وقد جاءت مقرنصات منبر صلاح الدين مركبة من ثلاث حنايا ومبنية على شكل مربع، وضعت بشكل فني إذ أن أركان الحنية العليا ارتكزت على رأسي الحنيتين اللتين تقعان أسفلها.

لقد تعدد استخدام المقرنصات في العمارة الإسلامية، فقد استخدمت وبشكل واسع في القباب، ولتزيين فتحات الأبواب والنوافذ، وتزيين العقود والمداخل والأركان والزوايا والأروقة والأعمدة وشرفات المآذن والمحاريب (حيدر، ١٩٩٤).

النصوص الكتابية على منبر نور الدين :

كان من ضمن الزخارف الهندسية على منبر نور الدين الزخارف الكتابية والتي كتبت بالخط النسخي الايوبي ، والتي جاءت على أماكن متفرقة من أجزاء المنبر ٠ ويمكن تقسيم النصوص الكتابية على هذه التحفة الى نوعين (الانصاري ،١٩٨٩) ٠

١ـ نصوص الكتابة التاريخية

أ ـ نص يشتمل على الشروع بانجاز المنبر بامر من نور الدين زنكي :

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله من الظالمين دينه الملك العادل نور الدين ركن الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القسم محمود بن زنكي أق سنقر ناصر أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره ونشر في الخافقين ألونية وأعلامه وأعز أولياء دولته وأذلّ كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقرّ بالنصر والزلفىعيناه برحمتك يا رب العالمين وذلك في شهور سنة أربعة وستين وخمس مائة". (Berchem, 1927)

يوجد هذا النص الكتابي التاريخي على جوانب الدرابزين الشمالي (الجهة الشرقية للمنبر من الخارج. ويبدأ من الجانب العمودي السفلي الصغير (من اليمين إلى اليسار)، ثم يستمر في الجزء العلوي من الدرابزين وعلى امتداده وينزل من الجانب العمودي العلوي الصغير ويقف. أما تكملة النقش فقد كتبها الفنان من اليمين إلى الشمال على الخط العمودي الطويل (السفلي)

أنظر اللوحة (٢٨) وهي التي تمثل هذا النص. ويلاحظ ان النص لم يرد فيه أن المنبر قد صنع خصيصاً للمسجد الأقصى (الأنصاري، ١٩٨٩). هذا وقد احتوى هذا النص رسومات جميلة ودقيقة ذات لون داكن، والكتابة (النص) كتب باللون الفاتح. (Berchem, 1927)

أشار النص الى مناقب نور الدين وهي العدل وتطرق الى بطولاته ومعاركه التي خاضها ضد الصليبيين. هذا بالإضافة الى اشتمال النص على لقب "الملك العادل" والذي يتبعه لقب "نور الدين"، وثم الكنية أبو القاسم والاسم الأول محمود. (Berchem, 1927) ٠

ب ــ نص يدل على انجاز المنبر في عهد الملك الصالح إسماعيل سنة (٥٧٠هــ)

والنص عبارة عن شريط يحيط بالقوس الموجود على قمة الدرج، وقد جاءت الكتابة على النحو التالي في الجزء الأيمن من القوس **" بسم الله الرحمن الرحيم"**. وفي الجزء الذي يعلو القوس كتب **" اتمامه في أيام حكم ابنه الملك العادل الصالح"**. وإلى الشمال من القوس كتب **" اسماعيل بن محمود بن زنكي بن أق سنقر" (Berchem, 1927) ٠**

ج ــ نصوص تشتمل على أسماء صانعي المنبر :

ترك الفنانون أسمائهم على المنبر وذلك كنوع من الكتابة التاريخية، حتى يخلدوا أنفسهم، أو ربما يكون ذلك للتبرك ، ويعتقد الأنصاري أن كل فنان أوخطاط قد وضع اسمه في الجزء الذي أنجزه (الأنصاري، ١٩٨٩). وقد نُقشت هذه الأسماء/ التواقيع في خانات صغيرة. وكان الخط بنفس اساليب الكتابات الأخرى على المنبر (من حيث عرض الخط وسمكه).... (Berchem, 1927) والنصوص هي:

في الجزء الذي يعلو المصراع الأيمن للباب:

" صنعه سلمان بن معالي رحمه الله"

في أعلى المصراع الأيسر:

" عمل حميد بن ظافر رحمه الله"

<u>وفي الجزء الذي يقع أسفل مقرنصات الباب وجاء بحروف مذهبة</u>
" عمل أبي الحسن بن يحيى رحمه الله"

<u>وعلى مسند المنبر في أعلى الدرج: وقد جاء باللون الأسود</u>
" صنعه حميد بن ظافر رحمه الله"

<u>تحت المنبر وفي الواجهة الشرقية خارجاً (لوحة ٢٩)</u>

" صنعه حميد بن ظافر الحلبي رحمه الله"

<u>تحت المنبر وفي الواجهة الغربية من الخارج</u>
" صنعه فضائل وأبو الحسن ولديّ يحيى الحلبي رحمه الله"

وقد تميز النقشان الأخيران أنهما كُتبا باللون الأبيض. (Berchem, 1927) .

ومما تجدر ملاحظته أن هؤلاء الحرفيين (سلمان بن معالي، وحميد بن ظافر، وفضائل وأبو الحسن ولديّ يحيى) هم من أصول حلبية وأن حلب هي مكان صناعة المنبر .

وقد جاء ترادف التعبير في أعمال الصناعة، إذ مرّ الفعل " صنعه والكلمة "عمل" ويعتقد أن هذا الترادف يشير الى الانتقال من مصطلح الى آخر. (Berchem, 1927)

٢- نصوص من القرآن الكريم

زين المنبر بآيات من القرآن الكريم، لها علاقة بالمساجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتميزت النصوص القرآنية والتي جاءت في مواضع مختلفة من المنبر بأنها كتبت بأسلوب زخرفي ومنسجمة مع زخارف المنبر. (الأنصاري، ١٩٨٩) والنصوص هي:

أ- نص يقع على يمين الخطيب ، زين افريز الدرجات من الخارج وكتب بشكل متوازي أضلاع ويمتد مع امتداد الدرجات. والنص هو:

" بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها. وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً. إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها

من بعد قوة انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمه إنما يبلوكم الله به، وليتبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ". (وهذه الآيات من -٩٠-منتصف٩٣- من سورة النحل)

ب- نص يقع على افريز مجلس الخطيب وإلى يساره من الخارج، وهو مكتوب على إطار يحيط بمربع، وتبدأ الكتابة من أسفل عمود المربع، ثم تصعد الى أعلى ثم تنعطف نحو الشمال على الضلع الأفقي للمربع ثم تتجه إلى أسفل مع عمود المربع وتستمر الكتابة من ناحية القبلة على العمود الأفقي الأسفل الى أن تلتقي مع نهاية العمود الشمالي وهنا ينتهي نص الآية الكريمة (وهي الآية ١٩) من سورة التوبة. (الأنصاري، ١٩٨٩).

هذا نصه " ***إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين***".

ج. نص يقع على يمين الخطيب من ناحية المحراب. وعلى الجزء الخارجي من المنبر، وكتب على إطار حول مربع (العارف، ١٩٥٥؛ الأنصاري، ١٩٨٩). "***في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة***"(سورة النور : ٣٦- ٣٧) .

منبر نور الدين والكارثة الكبرى سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٧م

بقي منبر نور الدين في مكانه على يمين المحراب وهو المكان الذي وضعه فيه السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد دخوله مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧. وكان يلقى الحفظ والصون على مر تلك العصور، فقد شكل رمز تحرير المدينة من الدخلاء، إلى أن جاء يوم

الخميس الواقع في ٧ جمادى الثاني لسنة ١٣٨١هـ/ ٢١-٨-١٩٦٩. وحصل حريق متعمد[١] في المسجد الأقصى، أدى الى إحراق ما مساحته ١٥٠٠م٢ من مساحة المسجد الإجمالية، وقد استفحل الحريق في منبر نور الدين، ومسجد عمر. ومحراب زكريا، ومقام الأربعين، وثلاثة أروقة ممتدة شمالاً مع الأعمدة والأقواس والزخرفة والسقف الذي إنهار نحو الأرضية والاعمدة، وأجزاء من القبة الخشبية وغيرها. (نجم وآخرون، ١٩٨٣)

إن التاريخ ٢١/٨ يعني الكثير لليهود فهو ذكرى تدمير الهيكل، فقد أرادوا أن يكون هذا التاريخ أيضا هو تاريخ حريق المسجد الأقصى. (نجم، د.ت)

التهمت النيران منبر نور الدين، وقد بقيت قطع قليلة منه وهي محفوظة الآن في المتحف الإسلامي في بيت المقدس. وهذه الأجزاء هي قطع من المدخل، وقسم من الباب، وقطعة مستطيلة زخرفية من أول درجة لمدخله، وقطعتان ؛ الأولى من مقرنصات المدخل ، والثانية من مقرنصات مكان جلوس الخطيب. (تقرير غير منشور من وزارة الأوقاف، د.ت)

الأعمال القائمة لإعادة صناعة المنبر

قام جلالة المغفور له الملك الحسين بن طلال وضمن احتفالات المملكة بذكرى المولد النبوي الشريف بتوجيه رغبته السامية الى رئيس الوزراء والحكومة في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٤هـ الموافق الثامن والعشرين من شهر آب لسنة ١٩٩٣م. وتتضمن هذه الرغبة الأمر بتوجيه لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة التي تتابع الإشراف على أعمال ترميم قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، أن تضيف الى مسؤوليتها مشروع إعادة صناعة المنبر الى مشروع ترميم قبة الصخرة المشرفة.

---

[١] نفذت الجريمة النكراء على يد " دونيس ردهان" وهو يهودي أسترالي الأصل.

وأن تتخذ الخطوات الكفيلة بإعادة الصناعة هذه، ويحشد المهندسين المختصين والفنيين المهرة والعمال البارعين حتى يعود كسابق عهده في المسجد الأقصى المبارك مهما كلف هـذا العمل من جهود ومن أموال. (تقرير من وزارة الأوقاف غير منشور، د.ت)

قامت لجنة أعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشـرفة باتخـاذ الإجـراءات اللازمة لإعادة صناعة المنبر، حتى يأتي المشروع بالمستوى الفني اللائق، فقد تم تأهيل عدد من الشركات والمؤسسات المحلية لعمل المخططات الفنية اللازمة لرسومات المنبر على الحاسوب، وتأهل لدى هذه اللجنة عدد من المؤسسات التي تقدمت بعروضها للقيام بهذا العمل. وبتـاريخ ١٩٩٦/١١/١٢ أحيلت أعمال إعادة مخططات منبر المسجد الأقصى المبارك علـى الحاسـوب على شركة المهيد صاحبة الاسم التجاري المحراب للعمارة الإسلامية والتي اعتمدت رسـومات جمال بدران بالتعاون مع جامعة البلقاء التطبيقية التي تضم طلاب فنانين مهرة وبـارعين فـي الحفر على الخشب، جاءوا من تركيا واندونيسيا وسوريا ومصر والمغرب ليقوموا بأعمال التنفيذ على المستوى المطلوب. (تقرير غير منشور من وزارة الأوقاف، د.ت)

كما أسلفنا فقد كان الاعتماد على رسومات الأستاذ جمال بدران (أنظر لوحة ٣٢) وهـو ابن المدرسة الرشيدية بالقدس والكلية العربية، وقد كُلف هذا الفنان سنة ١٩٧٢ بإعـادة رسـم المنبر بالاستعانة بالقطع المتبقية من المنبر، بالإضافة الى صورة قديمة للمنبر فاستطاع أن يرسم المنبر كاملاً بمقياس ١:١ وبرسومه ونقوشه المعروفة وأنجزت أعمال الرسـم خـلال خمـس سنوات، (الكواكبي، ١٩٧٨؛ دونكان، ١٩٩٢)

وفي القريب العاجل ستنجز اعمال صناعة المنبر حسب المستوى الفني والشكل اللائق ، بحيث يطابق الشكل الاصلي للمنبر ، وان يعاد ويوضع في مكانه ليشكل أملا لتحرير المدينة من وضعها الحالي والراهن، سيما وأن المنبر الأول (منبر نور الـدين) تفائـل صـانعوه وبـدأوا

بصناعته قبل تسعة عشر عاماً من تحرير المدينة من الاحتلال الفرنجي، وكان علامة لانتهـــاء ذلك الاحتلال.

ــ القبة الخشبية الداخلية لقبة الصخرة المشرفة ٠ (لوحة ٣٣) ٠

تعود القبة الخشبية الداخلية لقبة الصخرة المشرفة الى عهد الســلطان صـــلاح الــدين الايوبي ، والتي أمر بإضافتها سنة (٥٨٣هــ/ ١١٨٧م) ، وتحتوي هذه القبة على زخـــارف غاية في الاتقان ، قوامها اشرطة تحتوي زخارف مذهبة نافرة على ارضية زرقاء معتمة وقــد تعددت الالوان في هذه الزخارف (بهنسي ، ١٩٩٠) ٠

الموضوع الرئيسي في زخرفة القبة هو جديلة متواصلة من دوائـــر كبيـــرة ، تـــرتبط بأخرى أصغر ، وتتطور لتشكل شكل خماسي في الوسط ، وهي متنوعة ، ومشابهة للزخـــارف الصدفية في محراب المسجد الاقصى ، والذي نفذ بنفس الفترة (Berchem, 1927) ٠

لقد اتبع في زخرفة قبة الصخرة تعاليم الدين الحنيف ، وهي الصفة التي نفــذت علـــى زخارف قبة الصخرة منذ أن أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هــ) ، إذ جــاءت مقتصرة على الأشكال النباتية والهندسية ، والتي عكس فكر الإسلام عليها صفاء الروح وعذوبة الأخلاق ونكران الذات ٠

– الأبواب الخشبية على مدخل المسجد الأقصى

أمر الملك المعظم عيسى بتحديد الأبواب الخشبية الواقعة على مدخل المسجد الأقصـــى من الجهة الشمالية وذلك سنة ٦٣٤هــ/ ١٢٣٦م (يوسف، ١٩٨٢) ٠

– الحاجز الخشبي المحيط بالصخرة المشرفة

أبدى السلطان صلاح الدين اهتمامه بقبة الصخرة المشرفة، منذ أن دخل المدينة، فقــام بإزالة الصليب الذي وضعه الإفرنج على القبة (الأصفهاني ١٨٨٨)، وأزال الرسومات البشرية والحيوانية التي رسمت عليها من الداخل (ابن واصل، ١٩٥٧، ج٢) بالإضافة الى أنه قام بإزالة الرخام الذي كسا به الإفرنج الصخرة، لأن الحجاج الإفرنج كانوا يقطعون منها قطعاً ويبيعونهــا في القسطنطينية وصقلية (الأصفهاني، ١٨٨٨، أبو شامة، ١٩٩٧، ج٣) وكانــت مــن مكــارم الأيوبيين على الصخرة المشرفة أنهم كانوا يكنسونها ويغسلونها بماء الورد الذي جلب خصيصاً لها من حماه (الأصفهاني، ١٨٨٨).

والحاجز الخشبي المحيط بالصخرة المشرفة يعود الى زمن الملــك العزيــز عثمــان. (العارف ١٩٥٥؛ يوسف، ١٩٨٢).

ب- القطع الرخامية :

ترميم وإعمار محراب المسجد الأقصى ٥٨٣هـ/١١٨٧م (لوحة ٣٥)

تعريف المحراب ونشأته:

المحراب (لغة): صدر البيت أو المصلى ويطلق على أحد عناصر المسجد المعماريــة، وهنا يمكن تعريفه بأنه الحنية أو التجويف في جدار القبلة (ابن منظور، ١٩٤٦، ج٥).

يعود أول محراب في العمارة الإسلامية إلى عهد عمر بن عبد العزيز، والذي أضــافه إلى المسجد النبوي في المدينة المنورة سنة ٩١هـ، عندما كان والياً عليهــا، وهــذا المحــراب عبارة عن حنية في حائط القبلة (عبد الوهاب، ١٩٤٦) .

لقد تعددت المواد التي صنعت منها المحاريب نذكر منها، الحجر، الرخــام، الخــزف، الفسيفساء والخشب وغيرها، والمحاريب نوعان: ثابت ومتحرك (مصطفى، ١٩٧٥).

لعب المحراب دوراً كبيراً في التقاليد الإسلامية، فقد مثل للسلطان صلاح الدين رمز فتح المدينة وتخليصها من الإفرنج، فبعد أن صلى الجمعة وبعد الخطبة الشهيرة التي ألقاها القاضــي

الفاضل ابن الزكي أمر السلطان بإظهار المحراب، الذي قام الداوية بإخفائه ؛ بأن بنوا عليها جداراً (الأصفهاني، ١٨٨٨؛ الحنبلي، ١٩٧٣) .

لم يكتف صلاح الدين بإظهار المحراب فقط وإنما قام بترميمة وأنفق عليه الأموال الطائلة وأخبرنا ابن الأثير: "ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الأقصى واستنفاذ الوسع في تحسينه وترصيعه وتدقيق نقوشه، فأحضروا من الرخام الذي لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون إليه، قد ادخر على طول السنين، فشرعوا في عمارته، ومحوا ما كان في تلك الأبنية من الصور..." (ابن الأثير، ١٩٧٩، ج١١)

استخدم الرخام والفسيفساء في تجديد المحراب، إذ كان الرخام الموجود في الجهة الشرقية من المحراب ثميناً للغاية، وقد تميز بأنه ملون، وقد جاءت الألوان على سبعة عشر ضلعاً رخامياً، إذ ظهرت ثمانية بيض وأربعة حمر، وثلاثة سود، واثنان أخضران. وقد أشار الرحالة النابلسي أن الثمانية البيض إشارة إلى عدد ركعات صلاتي الظهر والعصر لأنهما نهاريتان ، وأن الأربعة الحمر رمزاً لصلاة العشاء لأنها تجب بمغيب الشفق الأحمر، والثلاثة السود رمزاً لصلاة المغرب لأنها تجب عند أول الظلام، والاثنان الأخضران رمزاً لصلاة الصبح. (النابلسي، ١٩٩٠).

إن خاصية استخدام الألوان المتعددة من أهم صفات الزخارف على العمارة الإسلامية وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة في المساجد وغيرها من المباني. وكان ذلك ابتداءً من العصر العباسي (Derek, 1964). وكان المسلمون قد تأثروا بهذه الظاهرة الزخرفية من البيزنطينين .

أما الفسيفساء الذي زين به المحراب فهو زجاجي ومذهب، ولم يعرف مصدر هذه المواد الثمينة، وربما تكون من القسطنطينية بناء على طلب من السلطان صلاح الدين، والذي كان يتمتع بعلاقات ودية مع بيزنطة، وقد ذكر لنا ابن الأثير في مواضع أخرى من كتابة أن

يكون مصدر الرخام والفسيفساء من الإرث الفرنجي/اللاتيني. مع العلم أن الفاطميين قد صنعوا الفسيفساء وكان يطلق عليها آنذاك (الفصوص القسطنطينية، وكان من عمليات التجديد للمحراب داخل المسجد إضافة الأعمدة الزخرفية الجميلة (الشكل ٢٠: أ ؛ اللوحة ٣٥). (Berchem, 1924)

النصوص الكتابية الأيوبية على محراب المسجد الأقصى:

جاءت الكتابات الأيوبية على محراب المسجد الأقصى على نوعين (Berchem, 1922) هما:

الأول: نص تذكاري يبين أن صلاح الدين قد أمر بتجديد المحراب في سنة خمس مائة وثلاث وثمانين. وهو مكتوب على لوحة من الفسيفساء بلغت أبعادها ٤٠×١٠سم. وقد ثبت أعلى المحراب في الجزء الذي يعلوا القوس. هذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسة مائة وهو يسأل الله إيزاعه شكرهذه النعمة وإجزال خطه من المغفرة والرحمة" (Berchem, 1922,) وقد دمر هذا النقش في حريق سنة ١٩٦٩ (الفني، ١٩٩٧).

لقد كتب النقش بالخط النسخي الأيوبي، وبحروف متوسطة، وجاءت الكتابة بلون فاتح (الأبيض) على خلفية من الأخضر الداكن، ونلاحظ في هذا النص التذكاري ولأول مرة في نقوش تجديد صلاح الدين لفظة (عبد الله ووليه) لتدل على أن هذا العمل ابتغاء مرضاة وجه الله تعالى. وقد استخدم هذا اللفظ في النقوش الفاطمية (Berchem, 1922) .

الثاني: <u>**أشرطة من الآيات القرآنية وهي:**</u>

١ ـ شريط كبير من الآيات القرآنية، وجد على الحائط الشمالي للمحراب وعلى ارتفاع ٣م تقريباً. وقد كتب بالخط الكوفي بحروف كبيرة سوداء مرصوصة على زخارف بنية مزهرة باللون الأخضر، ويعلوها اللؤلؤ والصدف، وقد جاءت الخلفية مميزة بأنها مذهبة والنص القرآني (شكل ٢٠: ب) تمكن بيرشم من قراءة جزء من هو .. "المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لنريه من آياتنا" (Berchem, 1922).

٢ ـ نص قرآني كتب على لوح رخامي، يقع تحت الطرف الأيسر للنص السابق، وجاء بألوان متعددة، وهو ممتد من الأعلى إلى الأسفل وعلى نفس الحائط. وهو: ***"إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك"***.

والنص مكون من أربعة سطور قصيرة، وكتب بالخط البنفسجي الأيوبي، وجاءت حروفه صغيرة، وهي من الحجر ذات لون أسود، على خلفية من المرمر الأبيض (Berchem, 1922).

٣ ـ نص قرآني مكون من ثلاثة أو أربعة سطور صغيرة جداً، إذ جاءت الحروف صغيرة جداً. وهي بيضاء على خلفية من المرمر الأسود. ولم يتمكن بيرشيم من قراءتها (Berchem, 1922).

زين المحراب بالزخارف الهندسية والنباتية، والتي ملئت بالصدف في أشكالها المحفورة على الرخام. إذ جاء الصدف عبارة عن جديلة متواصلة قوامها دوائر كبيرة ارتبطت بأخرى أصغر شكل(٢٠: ج)، أما الأشكال النباتية فهي عبارة عن أوراق وقطوف من العنب، (شكل ٢٠: د) وكان يعلوها الصدف واللؤلؤ بنفس الطريقة السابقة (Berchem, 1922) .

تجديد القطع الرخامية في جدران قبة الصخرة:

قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بإضافة الألواح الرخامية ، وهـــــي مـــــــــن نوع (كرارا) ، لونها ابيض ، وأحتوت تموجات طبيعية من الالوان ، الرمادي ، الاسود ،القرميدي وقد رتبة باسلوب فني رائع ، إذ اعطت الشكل المعينـــــي الممـــــــوج (لوحة ٣٤، شكل ٢٣) ٠

غطت هذه الالواح أجزاء متعددة من القبة من الداخل وهي (اعلى عتبـــات الابـــواب والدعامات التي تحمل القبة، والدعامات التي تحمل المثمن الداخلي ٠ (أبو خلف ، ١٩٨٧)

الفصل الرابع

الخصائص المعمارية والزخرفية الإسلامية لمباني الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي ٥٦٤-٦٤٨هـ/١١٦٥-١٢٥٠م

تمهيد :

أولاً: العمارة

أ ــ الخصائص العامة للعمارة العربية الإسلامية.

ب ــ العمارة الأيوبية (خصائصها، أنواعها).

ج ــ العناصر الإنشائية المعمارية الأيوبية في الحرم القدسي الشريف (العقود، القباب، الصنج المعشقة)

ثانياً: الزخارف:

أ ــ الخصائص العامة للزخارف الإسلامية.

ب ــ العناصر الزخرفية الإسلامية الأيوبية في الحرم القدسي الشريف.

١ ــ الزخارف الكتابيــة.

٢ ــ الزخارف الهندسية.

٣ ــ الزخارف البناتيــة.

٤ ــ المقرنصـــــــات

تمهيـــــــــد:

بعد أن توحدت مصر والشام على يد الأيوبيين، نشطت حركة عمرانية في مـــدن تلـــك الأقاليم بالرغم من الصراعات التي كانت قائمة آنذاك مع الإفرنج والحملات العديدة التي شهدتها فلسطين وسائر البلدان العربية.

تمثلت الحركة العمرانية خلال العصر الأيوبي بالمباني الدينية (كالمساجد، والمـــدارس الدينية)، والمباني المدنية (كالمدارس والبيمارستانات والحمامات والخانات وغيرها).

أما المباني الدفاعية التحصينية فقد احتلت الجانب الأكبر من اهتماماتهم بالبناء والعمارة، إذ جددوا بناء الأسوار والاستحكامات والقلاع والأبراج وأقاموا الخنادق وذلك بسبب ما آلت إليه الظروف التاريخية من صراع مرير مع الفرنجة، والخوف المتتالي من الفاطميين الشيعة الـــذين ظلوا يتهددوا قوة صلاح الدين والدولة الأيوبية. وبناء على ذلك فقد جدد سور القاهرة وحصنت كلاً من دمشق وحلب وبيت المقدس .

إن الظروف التاريخية السائدة خلال تلك الفترة، أعطت العمارة والفنون الأيوبية ميزات التحصين العسكرية ، إذ غلب على المباني الأيوبية الطابع التحصيني المتقن، أمـــا الزخـــارف والفنون فقد جاءت قليلة نادرة، والتي بدورها جاءت بخصائص الفنـــون والزخـــارف العربيـــة الإسلامية التي تحاكي وتواكب تعاليم الدين السمحة.

أولاً: العمـــــــــارة:

أ. الخصائص العامة للعمارة العربية الإسلامية:

تختلف الفنون الإسلامية بشقيها المعمارية والزخرفية عن ما سبقها من الفنون ٠ أن منفذيها مجموعة من الناس اعتنقوا الدين الإسلامي خلال العقد الثالث من القرن السابع الميلادي،

وتأثروا بالعمائر والفنون السابقة للإسلام والتي احتواها الإسلام (الفن المسيحي، البوذي، الإسباني) وتلقتها بإبداع وعبقرية، وأظهرت منها طابعاً جديداً يتفق مع فلسفة وتعاليم الإسلام حتى وصل إلى ما وصل إليه من إبداع (Grabar, 1973).

بالرغم من أن معظم باحثي الآثار المستشرقين والمحدثين قد جردوا العمارة والفنون الإسلامية من عروبتها وأصالتها. فأبعدوها عن العرب ونسبوها للفنون السابقة للإسلام كالساسانية، والهيلينية، والرومانية، والبيزنطية، والقبطية، ولم يدركوا أن العمارة والفنون الإسلامية كانت قبل انتشار الإسلام ترتبط بالعمارة والفنون العربية (Al-Abed, 1992)، إلا أنها صقلت بالمفهوم الإسلامي وتعاليمه، وامتدت في سائر الأقاليم الموروثة. إذ حرص الإسلام على إعطاء الصبغة الدينية والحضارية للأمم والشعوب التي انضوت تحت لوائه.

ومن وجهة نظر الباحثة فقد تميزت العمارة العربية الإسلامية بخصائص ومميزات تناسبت مع متطلبات وتعاليم الدين الإسلامي السمحة، وقد تبلورت هذه الخصائص في العالم العربي الإسلامي والتي احتفظت بأصالتها ونقائها وقوة شخصيتها في جميع مراحل تطورها ابتداء من العصر الإسلامي الأول.

ويمكن إجمال السمات والخصائص العامة للعمارة العربية الإسلامية بما يلي:

١ـ الوحدة (Unity) والتنوع:

يقصد بالوحدة في العمارة تشكل العناصر المعمارية في وحدة واحدة ذات صفات مشتركة ومميزة، أما التنوع فهو أن لا يكون معنى الوحدة دالاً على تماثل تام؛ إذ لا يتبع أسلوب واحد في الإنشاء المعماري والزخرفي، فهناك الحس الفني الذي عمل على تنوع وتجديد الطرز والأشكال، هذا بالإضافة إلى أن الموروث المحلي، ومواد البناء المألوفة، والمناخ وجميعها لعبت دوراً في التنوع المعماري الإسلامي وأثرائه (Burckhardt, 1976).

لقد اتبع المعماري المسلم أسلوب الوحدة في منشأته، وذلك من أجل خلق نظام جمـــالي متحد، نابع من الوحدة (وحدة الإله)، والوحدة التي ضمت الشعوب الإسلامية وهي وحدة العقيدة والحضارة والثقافة، والوحدة التاريخية (مارسيه، ١٩٦٨) والتي بدورها تعني التماسك والاتساق والتكامل والوحدة وهي تمثل التكوين ، إذ لا يوجد تكوين بدون وحدة كما وأن الوحدة تقودنـــا إلى التكامل الذي لا يمكن أن تحصل إلا بالتكرار (Tonna, 1990 ؛ Burckhardt, 1976)

٢ــ الإيقاعية الهندسية في العمارة :

وهذه سمة بارزة من سمات العمارة والفنون الإسلامية، والتي تعتمد على أسس ومفاهيم هندسية ثابتة ومدروسة. ويندرج تحت هذه السمة صفة المحوريـــة والتنـــاظر، إذ أن التنـــاظر يتشكل من محور أو محورين والذي بدوره يؤدي إلى التوازن المعماري. وهذا الـــذي يجعـــل المبنى يتمتع بالمحورية العالية ليس فقط في جزء من المبنى إنما على مســـتوى المبنـــى ككـــل (Grabar, 1978).

٣ــ استخدام المقياس الإنساني (Human Scale):

اتبع المعماري المسلم أسلوب المقاييس الإنسانية في منشآته المعماريـــة، والتـــي تعنـــي بمفهومها، أن تتناسب حجوم ومرافق المباني مع التكوين الفسيولوجي الطبيعي للإنسان، إذ لـــم يعمد إلى إنشاء الأبنية الشاهقة. إلا أن مداخل المساجد والقصور تميـــزت بـــالعلو والفخامـــة (عكاشة، ١٩٨١)، وقد تمت معالجة هذه الفخامة بإضـــافة العناصـــر الزخرفيـــة والإنشـــائية كالمقرنصات، والأشرطة المنحوتة، وتكرار الأعمدة التي تعلوها الأقواس (Tonna, 1991).

٤ـ شيوع عناصر معمارية شكلت أجزاء أساسية من العمائر الإسلامية :

شاع في العمارة العربية الإسلامية عناصر معمارية إنشائية شكلت أجزاءًا أساسية في العمارة الإسلامية كالقباب التي انتشرت في معظم المباني الدينية وبعض المباني المدنية (غالب، ١٩٨٨) والصحن الذي يشكل حجر الزاوية في العمارة الإسلامية، وقد اتخذ عنصراً مهماً في العمارة من العصر الإسلامي الأول، وكان سائداً قبل الإسلام في العمارة السورية، وذلك بسبب طبيعة مناخ بلاد الشام الحارة صيفاً، فيقوم الصحن (الساحة المكشوفة، Open Court Yard) بتلطيف الجو وإعطاء البرودة والظل (Tell, 1982; Tonna, 1991)

لقد استخدم الصحن في العمارة الإسلامية وألحق بالعمائر الدينية والمدنية على السواء، ففي العمارة الدينية ألحق بالمسجد كساحة مكشوفة مسورة لها اتصال بالمسجد، وتحيط بها الأروقة من الجهات الثلاث؛ أما الجزء الرابع وهو الجزء الموازي للقبلة من الساحة والذي بدوره يصل إلى بيت الصلاة في المسجد. أما المباني المدنية فقد الحق الصحن ليشكل ساحة تفتح عليها القناطر والأبواب، والنوافذ، ويمكن التوصل من خلاله إلى سائر مرافق المنزل/ المدرسة (Hill & Grabar, 1967).

وتعتبر العقود والأقواس من أهم مميزات العمارة الإسلامية (الريحاوي، ١٩٩٠).

٥ـ المرونة والانسجام:

يقصد بمرونة العمائر والفنون الإسلامية إضافة وابتكار وحدات وأشكال متنوعة حسب متطلبات ذلك المبنى. دون أن يؤثر ذلك على شكل المبنى الكلي، أو تغيير وظيفته وهذا هو الانسجام (عكاشة، ١٩٨١ ;Tonna, 1991) ، وهذا دليل واضح على أن العمارة الإسلامية تعتمد على الابتكار والتطوير ٠

ب. العمارة الأيوبية:

الطراز المعماري المتبع خلال العصر الأيوبي:

بعد أن تمكن السلطان صلاح الدين من تكوين الكيان الأيوبي، لعبت الظروف التاريخية دوراً بارزاً في تحديد الطراز المتبع في البناء؛ إذ أن محاربة الفرنجة والتصدي الدائم لحملاتهم ناهيك عن الخوف المستديم من الفاطميين الشيعة الذين كانوا يقوموا بثورات وتمـردات ضـد الأيوبيين. وهذه الظروف التاريخية فرضت على العمارة الأيوبية الطابع التحصـيني المحكـم (Rice, 1965).

لقد تجلت العمارة الأيوبية بتشييد القلاع والحصون وبناء الأسوار وتزويـدها بـالأبراج العالية المحكمة، بالإضافة إلى توسيع المدن وتدعيم أسوارها، وتجديد أسواقها وقد هدف توسيعها لتشمل المدارس والخانات والأضرحة الفخمة والبيمارستانات والحمامات وغيرها (عبد الجـواد، ١٩٦٩) . هذا وقد اتبعت بعض الأساليب الفاطمية في العمائر الأيوبية (Dimand, 1958) .

خصائص وسمات العمارة الأيوبية:

١ـ مادة البناء: تميزت العمائر والمنشآت الأيوبية باعتمادها على الحجر لذلك تمتعت المبـاني الأيوبية بالحصانة والمتانة. وكما عمدوا إلى بناء الأسوار والقلاع بالحجارة الكبيـرة لإضـفاء الطابع التحصيني على مثل هذا النوع من العمائر. وقد استخدمت مساحيق الحجارة مع المونة ثم طليت بالجص، خاصة في الجـدران الداخليـة للمبـاني. المدنيـة (Hillenbrand, 1985; Ettinghausen & Grabar, 1987)

٢ــ اتخذت العمائر الأيوبية نمط البساطة والتقشف وعدم المغالاة إلى جانب القوة والمتانة والحصانة. وهذا بالطبع عائد إلى الظروف التاريخية وما شهدته من صراع مرير مع الإفرنج.

أنواع العمارة الأيوبية:

١ ــ **العمارة العسكرية:** لقد تحملت الدولة الأيوبية أعباء التصدي للإفرنج الذين اجتاحوا البلاد العربية الإسلامية منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. وبناء على ذلك فقد ازدهرت العمارة العسكرية وجددت الأسوار وحفرت الخنادق وشيدت القلاع، وهذا أدى إلى إكتسابها خبرة عظيمة وواسعة في فنون العمارة العسكرية التي اشتملت على شروط المتانة والحصانة واتقان التخطيط والبناء. سيما وأن الاعتماد الرئيسي في البناء اقتصر على الحجارة ذات الأحجام الكبيرة ٠

وكان من أبرز مظاهر العمارة العسكرية، إقامة الأسوار العالية والمدعمة بالابراج حول المدن ، والتي جهزت بوسائل الدفاع والمراقبة، ومرامي السهام، والنوافذ والأبواب. ولا تزال الأمثلة باقية على التحصينات الأيوبية المنتشرة في مصر وبلاد الشام كقلعة دمشق، وحلب، والقاهرة (Ettinghausen. & Grabar, 1987).

٢ــ **العمارة الدينية:** لقد تعددت المساجد والمدارس الدينية خلال العصر الأيوبي، إذ احتفظت المساجد والمصليات بالعناصر التخطيطية للمساجد، فاهتموا بمداخل المساجد إذ أن مدخل المسجد هو مقدمة لبيت الصلاة. وقد زود المدخل على كل جانب من جوانبه بمصطبة حجرية، ويمتد على كلا جهتي المدخل الواجهة البارزة والمعقودة التي تحتل غالباً الجزء الشمالي من المسجد (Tonna, 1991). ومن عناصر المسجد التي لاقت الأهمية عند الأيوبيين المحراب، إذ صنعت المحاريب خلال العهد الأيوبي من الرخام الملون، بالإضافة إلى أنها رصعت بالفسيفساء المذهبة والصدف. أما المآذن فقد تميزت بالفخامة والعلو والإتقان (سالم، ١٩٦٣).

أما المدارس فقد انهمك الأيوبيون في إنشائها، وذلك ابتداء من عهد السلطان صلاح الدين. وكان الهدف من ذلك هدفاً مذهبياً، إذ أراد الأيوبيون نشر المذهب السني، ومحاربة الفاطميين الشيعة بعد أن شاع المذهب الشيعي خلال العصر الفاطمي (عبد الجواد، ١٩٦٩؛ الأبيض، ١٩٩٤).

٣ــ **العمارة المدنية:** اهتم الأيوبيون بهذا النوع من المباني، إذ نلحظ في أبنية المدارس أنها أصبحت ذات حجم أكبر مما هي عليه ، وخاصة المدارس التي تقع خارج أسوار المدينة؛وذلك لتشمل اكبر عدد ممكن من طلاب العلم ٠

لقد تميزت المدارس خلال العصر الأيوبي ويمكن وصف مسقطها الأفقي بما يلي: أنها جاءت بمخطط مستطيل أو مربع. وقد استخدم التناظر في هذا المخطط إذ قسمت إلى ثلاثة مجازات الأوسط منها محراب، والجانبية تكون كقاعات للتدريس. وهناك الإيوان والصحن والرواق. وقد غلب على المدارس الأيوبية صفة أنها احتوت غرفة تشمل مدفناً . وهذا كان سائداً خلال العصر الفاطمي (فكري، ١٩٦٥).

ج. العناصر الإنشائية الأيوبية في الحرم القدسي الشريف:

استخدم في العمارة العربية الإسلامية العديد من عناصر الإنشاء المعمارية التي كانت سائدة في العصور السابقة للإسلام. وقاموا بالإضافة والتطوير على هذه العناصر، والتي طبعت بطابعهم الخاص والمميز الذي اختلف من منطقة إلى أخرى، ومن قطر إلى آخر.

بعد أن تم تحرير بيت المقدس من الإفرنج، قام الأيوبيون ابتداءً من عهد صلاح الدين بالأعمال العمرانية في المدينة وإزالة المعالم الفرنجية التي سادت في المدينة مدة ثماني وثمانين سنة.

اشتملت المعالم الأيوبية في الحرم الشريف على عناصر إنشائية معمارية ذات مـدلول وطابع إسلامي كالقباب والأقواس والعقود، ... وغيرها. ومما تجدر الإشـارة إليـه هـو أن عناصر الانشاء هذه ذات طابع إسلامي خالص، وقد تأثرت بالأساليب المعمارية الفاطميـة، إذ ارتأى الأيوبيون إعادة الطابع الإسلامي للمدينة بالسرعة الممكنة، وبأي شكل من الأشكال. وقد اتبعوا الأساليب الفاطمية، وذلك بحكم أن الفاطميين كانت سيادتهم على مصر وعلى فلسطين قبل الاحتلال الفرنجي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. هذا وقد كان للفاطميين خبرة واسعة في الابتكـارات المعمارية والزخرفية والتي تجلت في مدينة القاهرة، التي شهدت نمواً حضارياً متعدد الجوانـب خلال حكم الفاطمين لها. بالإضافة إلى أن الأيوبيين قبل أن ينضـووا تحـت لـواء الخلافـة العباسية كانت قيادتهم تابعة للفاطميين.

وسينفرد هذا الباب بالحديث عن العناصر الإنشائية المعمارية الأيوبية ومميزاتهـا فـي الحرم القدسي الشريف، والتي رأيت دراستها بعدما تعرضت في الفصل السـابق الـى الآثـار الأيوبية في الحرم القدسي الشريف.

١ـ العقود(vaults) :

استخدم الأيوبيون في واجهات المباني المداخل والبوابات ذات العقود المدببة. وهـذا النوع من العقود هو ابتكار معماري إسلامي خالص. إذ استخدم ولأول مرة في قصر الحيـر الشرقي ١٦١هـ/٧٧٨م (فكري، ١٩٦١؛ ١٩٦٧).

يتشكل العقد المدبب من تقابل مستقيمين في الاعلى بزاوية معينة ، بطريقة يكون فيهـا وضع رجلي العقد مكوناً خطوط رئيسية مستقيمة ، ويتميز العقد المدبب المبتكر فـي العمـارة العربية الإسلامية بأنه يحتوي على قوسين يرسماً من مركزين (شكل ٢١: أ) أو أن يكون مـن أربعة أقواس مرسومة من أربعة مراكز (شكل ٢١: ب) (شافعي، ١٩٧٠).

لاقت المداخل الاهتمام في العمارة الأيوبية ، فقد جاء الرواق الشمالي للمسجد الأقصى ــ وهو ايوبي البناء ــ عبارة عن أقواس عقدت بعقود مدببة، وقد توخى المعماري الدقة في هذا الرواق ، إذ جاء باتساع مجوف، وعرض يوحي بالاتزان المتناظر، هذا بالإضافة إلى أن الرواق مؤلف من تكوينات نحتية من الكتلة المعمارية، والتي بدورها تكشف الفضاء وتعطية سعة في الامتداد، وبالتالي إيجاد نوعاً من العلاقة بين الكتلة والفضاء وذلك من خلال الرواق الذي يشتمل أقواساً ودعامات (Greene, 1965:Tonna, 1991)

٢ــ القباب (Domes):

لقد عرفت القباب منذ أقدم الأزمنة. وكما أشير سابقاً، فإن إنشائها يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. في بلاد الرافدين.

قام المعماري المسلم بتطوير القبة وأصبحت تضم أنواعاً وأحجاماً عديدة في العمارة الإسلامية، ومن وجهة نظر هندسية أصبحت القبة في العمارة الإسلامية تهدف إلى تجزئة الكتلة إلى خطوط هندسية. (فكري، ١٩٦٧).

كانت المادة الأساسية في بناء القباب خلال العهد الأيوبي، الحجر المنحوت أما قمة القبة فقد شكلت من الآجر المكسو، وقد كانت القباب الأيوبية تتميز بأنها ذات أضلاع شاقولية (قباب مضلعة) (عبد الجواد، ١٩٦٩؛ قاجة، ٢٠٠٠).

قام الأيوبيون ببناء قبتين في ساحة الحرم الشريف هما قبة يوسف ٥٨٧هـ/١١٩١م وقبة موسى ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، وكانت مادتهما الأساسية هي الحجر المنحوت. وقد اتبعت الأساليب التالية في تشكيلهما وهي:

١ ــ تحويل الشكل المربع إلى الشكل الدائري مباشرة:

وتكون هذه الطريقة باستخدام الحنايا الركنية (Pendentive) (انظر الشكل ٢٢: أ،ب) إذ ينتج عن قطع نصف قبة كروية بأربعة مستويات متوازية ، وعمودية على المستوى الأفقي المار بمركز القبة، ومستوى آخر أفقي يقطع القبة من جزئها العلوي، بالتالي يتشكل لدينا أربعة مثلثات كروية رؤوسها إلى الأسفل وقواعدها المقوسة إلى الأعلى (Tell, 1982) وتشكل المثلثات التـــي تقام القبة عليها جزءاً من القبة (انظر الشكل ٢٢: ج) لذلك فإن هذا النوع من القباب يكون ذات حجم صغير ومنخفض ؛ وينطبق على هذا النوع قبة يوسف ٥٨٧هـ/١١٩١م التي شيدت فـــي عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وقد سميت باسمه.

٢ ــ تحويل الشكل المربع إلى مثمن : (Squinche) ٠

وذلك عن طريق إضافة ضلع في كل زاوية من زوايا المربع، وبناء على ذلك يستعمل مثلث هرمي مقلوب، أو قوس عقد (انظر الشكل ٨: ب) ونجد هذا في قبـــة موســـى ٦٤٧هـــــ (انظر الشكل ٨) وقبة المعراج[١].

٣ ــ الصنج المعشقة Joggled Voussoris: (شكل ٢٤)

تعتبر الصنج المعشقة من عناصر الانشاء المعمارية التـــي تكســـب الواجهـــة/ العقـــد/ المدخل، صفة المتانة والقوة، بالرغم من انه استخدام كعنصر زخرفي تجميلي في نشأته الأولى ويعود اول مثال له في قصر الحير الشرقي (شافعي، ١٩٧٠).

أقيمت الصنج المعشقة كعناصر إنشائية ، في بوابات الحرم الشريف وهي باب السلسلة والسكينة ٦٠٠هـ/١٢١٣م (لوحة ١٩) ؛ وباب الناظر ٦٠٠هـ/١٢١٣ (لوحة ٢١) . وقد استخدمت لاكساب المداخل المتانة، بالإضافة إلى أنها أعطت منظراً غاية في الجمال.

[١] يعود انشاء قبة المعراج إلى فترات سابقة ربما تكون الفترة الأموية.

تقوم تقنية الصنج المعشقة على بناء عتبات أفقية من قطع حجرية متلاصقة أو متعاشقة بحيث تنحت الحجارة بشكل عريض من الأعلى، وضيق من الأسفل ويقابل هــذا جــزء آخــر منحوت بنفس الطريقة؛ وعندما يركب في الوضع النهائي فإن الجزء البارز من الصنجة يرتكز (يعشق) على الجزء الداخل والعكس، بحيث يبدو بشكل مزرر، وهذا بدوره يؤدي إلى تماسـك الصنجات وأدائها لدورها الوظيفي المعماري بشكل جيد (انظر شكل ٢٤)(شـافعي، ١٩٧٠). أما إذا كانت غايتها زخرفية وتجميلية، فتقوم صناعتها على صقل الحجـارة وتنسـيقها بشـكل ونموذج معين على العتبات الأفقية للنوافذ والأبواب بدلاً من العقود المقوسة والمدببة (فكـري، ١٩٦٥).

ثانيا: الزخارف

أ ــ الخصائص العامة للزخارف الإسلامية :

اختلفت الفنون والزخارف الإسلامية عما سبقها من الفنون التي كانت سائدة عند الشعوب والحضارات السابقة للإسلام. إذ كره الإسلام تصوير ذوات الأرواح والمنحوتات المجسمة، مما حدا بالفنان المسلم أن يتخذ أسلوب التحوير والتجريد في رسوماته، وبالتالي اتخاذ نمطاً خاصـاً للفنون الإسلامية قوامه الأشكال الهندسية التـي تحتـوي علـى الأطبـاق النجميـة والـدوائر والمثلثات..... وغيرها، والأشكال النباتية من أوراق وأغصان وثمار وأزهار.

لقد كان للدين مغزى في كراهية تصوير ذوات الأرواح، وذلك حتى لا ينقلب الفنان إلى خالق في نظر نفسه، وحتى لا تتحول الصور إلى معبودات وهذا ما كان شائعاً فـي الأيقونـات البيزنطية (بهنسي، ١٩٩٠).

تشكل الزخارف الإسلامية بمضمونها وشكلها وأنماطها، الابتكارات العربية، والتي كانت بداياتها (قبل انتشار الإسلام) تسمى بالفن العربي السوري، ثم شهدت انصهاراً في بوتقة الفنون الإسلامية، وذلك بحكم انتشار الدين الإسلامي في المنطقة بعد أن كانت تـدين بالمسـيحية. إذ تلاءمت وانسجمت الفنون العربية مع الدين الجديد، وأصبحت تواكب تعاليمه السمحة. لكن واقع

هذا الانسجام لا ينطبق على المسلمين الذين ينتمون لأصول غير عربيــة كــالفرس والأتــراك والهنود، إذ أن هؤلاء نقلوا التأثيرات الحضارية الخاصة بهم إلى ممارساتهم الفنية بعدما اعتنقوا الإسلام والتحقوا بالدولة الإسلامية (التل، ١٩٨٣).

ويمكن إجمال الخصائص العامة للزخارف الإسلامية بالشكل التالي:-

١ ــ التكرار: وتتشكل هذه الخاصية من تكرار عنصر أو وحدة زخرفية على نســق متصــل. ويكون التكرار على ثلاثة أنواع (قاجة، ٢٠٠٠):

ــ التكرار العادي: ويقصد به تكرار الوحدات الزخرفية في وضع ثابت متناوب ومتتالي.

ــ التكرار المتعاكس: ويتم من خلال تقابل الوحدات الزخرفية في أوضاع متعاكسة في الاتجاه والوضع.

ــ التكرار المتبادل: ويمكن الحصول عليه من تعاقب وحدتين من العناصر الزخرفية.

٢ ــ مليء الفراغ: تعتبر هذه من أبرز صفات الفنون الإسلامية ، إذ راعى الفنــان المســلم أن تمتلئ المسطحات الموجودة داخل الإطار الزخرفي الواحد، فلا يترك فراغاً إلا ويكسى بــالحلي والزخارف. وتكون الأطر الخارجية في الزخارف هي الحد الفاصل بين الزخرفة والفــراغ، إذ تشتمل الأطر في داخلها على زخارف متعددة وخارج حد الإطار يكون لإطار آخر يحمل نفــس تفاصيل الإطار السابق ٠ (Baer, 1998).

٣ ــ التشابك: تمتاز الزخرفة العربية الإسلامية بهذه الخاصية، والتي هي عبارة عــن التفــاف وتداخل الأشكال الهندسية، بحيث تبدو بشكل معقد ليس له بداية أو نهاية، ويمكن أن تتشكل هذه الخاصية من تشابك الأزهار والأوراق النباتية لتشكل الزخارف النباتية (Baer, 1998) ويكــون التشابك على نوعين (قاجه، ٢٠٠٠) هما:

ــ التشابك المتتابع: وفيه تلتف الأوراق والأزهار بشكل متتابع أو على شكل حلزونــي يضــم أزهاراً وأوراقاً متتابعة على ساق ملتوية.

ــ التشابك المتعاكس: وهو عبارة عن التفاف ساقين نباتين بشكل متعاكس مع وجــود الأوراق والأزهار.

٤ ــ الاتزان: تعتبر هذه سمة غالبة على الفنون الإسلامية، ويقصد بها تناسق وانسجام العناصر الزخرفية مع بعضها البعض، بحيث يبدو السطح المزخرف متكامل من حيث توزيع العناصــر والوحدات الزخرفية والألوان (Grabar, 1973).

٥ ــ التناظر أو التماثل: لم تقتصر صفة التناظر على المباني والعمارة في الفنون الإسلامية، بل كانت أحد أهم ميزات الفنون والزخارف، والتي يمكن تعريفها هنا بأنها عملية تنسيق التكوينات الزخرفية، بحيث إذا قسمت الى نصفين متساويين فإن هذين النصفين ينطبقــا علــى بعضــهما البعض (Baer, 1998) والتناظر في الزخارف الإسلامية نوعان (قاجة، ٢٠٠٠) هما:

ــ التناظر النصفي: ويشتمل على عناصر زخرفية متقابلة يكمل نصفها الآخر.

ــ التناظر الكلي: وهو اكتمال عنصرين زخرفيين متشابهين تشابهاً كلياً في وضــع متقابــل أو متعاكس.

٦ ــ التناسب: وهذه سمة من أبرز سمات الزخارف الإسلامية، والتي بدورها تعطــي الفنــون الإسلامية جماليتها الخاصة، إذ تعتمد على تناسب الأحجــام والمقــاييس للعناصــر الزخرفيــة وأجزائها بحيث تبدو النماذج الفنية في هيئة متكاملة (Baer, 1998).

ب- العناصر الزخرفية الإسلامية الأيوبية في الحرم القدسي الشريف :

١- الزخارف الكتابية

تعد الكتابات والنقوش العربية من إبداعات العرب المسلمين على مخلفــاتهم المعماريــة والفنية ، فقاموا بتزويق وتنسيق الحروف العربية والتي تعددت أنواع الخطوط فيها، بالإضــافة إلى احتواء النصوص الكتابية على زخارف هندسية ونباتية، أعطتها طابعاً زخرفياً فنياً رائعــاً،

وبشكل عام فقد ازدحمت المباني الإسلامية بالكتابات؛ إذ زينت الواجهات الخارجية والمــداخل والواجهات التي تطل على صحن المسجد والجدران بنماذج رائعة من الزخارف الكتابية، والتي تشرفت باحتواء بعضها منها بالآيات القرآنية المباركة، وبعض الأقوال المأثورة.

وفي العصر الأيوبي كانت النقوش والزخارف الكتابية تكتب بالخط النسخي، وقــد زود كل أثر في الحرم القدسي الشريف يعود إلى هذا العصر بنص كتابي كتــب الخــط النســخي، ويحتوي النص على البسملة في البداية، ثم تعريف بالبناء والسلطان أو الملك الذي أنشي المبنى في عهده، ويذكر في بعض الأحيان اسم القائم على العمل بالإضافة إلى التاريخ بالشهر والســنة (Berchem, 1925).

هذا وقد كانت النقوش الكتابية الأيوبية تنحت على لوح رخامي أو حجري، ويتم التنفيــذ عن طريق كتابة النص على اللوح أولاً، ثم يقوم الفنان بقطع شظايا من الرخــام بعمــق ٢ملــم فتتشكل نتيجة لذلك بروز الحروف، وتظهر النقوش عى شكل بارز عن الأرضية. وتدعى هذه الطريقة بـــ (Champler Technique).

وفي بعض الأحيان كتبت النقوش على اللوح الرخامي أو الحجري عن طريــق حفــر الأحرف، فكانت النصوص تظهر بشكل غائر .

٢- الزخارف الهندسية

أبدع الفنان المسلم بابتكار أنماطاً عديدة من الزخارف الهندسية على الرغم من أنها كانت معروفة في فنون قبل الإسلام، لكن تعاليم الدين فرضت على الفنان المســلم تجنــب الأشــكال الآدمية والحيوانية في رسوماته وزخارفه على الأخص في المباني الدينية، مما حدا به أن يبتكر ويبدع في الزخارف الهندسية كونها هي المتاحة له هي والزخارف النباتية.

تجاوزت الزخارف الهندسية الإسلامية الأشكال البسيطة التي كانت سائدة في فنون ما قبل الإسلام كالمثلث والمربع والمعين والشكل الخماسي والسداسي والخطوط المجدولة والخطوط المنكسرة والمتشابكة، لتصبح نموذجاً يحتوي تراكيباً معقدة من الأشكال النجمية التي تتعدد رؤوسها ست، ثمانية، اثنا عشر، وثمانية عشر. والتي تضم بداخلها أشكالاً هندسية كالمربعات والدوائر والمعينات. والزوايا وتتصل مع بعضها البعض لتشكل نسيجاً هندسياً رائعاً، ولم يكن هذا التكوين خالي من أي معنى، على العكس فهو مفعم بالمعاني، إذ يعني علاقة الكل بالواحد (Grabar, 1973؛ بهنسي، ١٩٩٠) .

لقد جاءت الزخارف الهندسية الإسلامية على نوعين (Baer, 1998) هما:

ـ زخارف هندسية مغلقة: تتشكل الرسومات عن طريق رسم شكل هندسي رئيسي ويكون متعدد الرؤوس، ويضم بداخله أشكالاً هندسية متداخلة ومتقاطعة ولا تتعدى الحدود الخارجية للإطار الهندسي الرئيسي.

ـ زخارف هندسية مفتوحة: وفي هذا النوع ترسم الأطر الهندسية المتعددة الرؤوس (الرئيسية) على مساحة مزخرفة بالأشكال الهندسية المتعددة والمنسوجة والمتداخلة مع بعضها البعض، والتي بدورها تشكل خلفية للأطر الخارجية.

وقد عرفت هذه الأنواع من الزخارف الهندسية منذ العصر الأموي، حيث وجدت في زخارف خربة المفجر وغيرها من الآثار الأموية، واستمرت حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي (Rise, 1965; Baer, 1998).

لقد كانت الزخارف الهندسية خلال العصر الأيوبي على الرغم من قلتها مقلدة للزخارف الهندسية خلال العصر الفاطمي، إذ أبدع الفاطميون في هذا النوع من الزخارف في مصر والشام (Dimand, 1958)، ولعل منبر نور الدين زنكي خير مثال لتحفة فنية خشبية تحمل الزخرفة الهندسية المطعمة والمعشقة.

ولم يبرز الأيوبيون الاهتمام بالزخارف الهندسية على آثارهم في الحرم الشريف سوى الدوائر والمضلعات التي زينت محراب المسجد الأقصى (شكل٢: أ،ب،ج) ويعود عدم اهتمام الأيوبيين لعنصر الزخرفة في الحرم الشريف، لأنهم وجهوا طاقاتهم لإعادة الحرم الى الحظيرة والطابع الإسلامي، إذ أن الاهتمام بالزخارف عملية ليست سهلة وتحتاج إلى وقت وجهد، كانت الدولة بحاجتهما لمطاردة الإفرنج، الذين كانوا يحاولون إعادة السيطرة على المدينة.

٣- الزخارف النباتية:

وهي ما يطلق عليها الأرابيسك (Arabesque) أو الرقش العربي ويمثل ابداعات العرب المسلمين في ابتكار الزخارف التي تشتمل على تنسيق الأزهار والثمار والأوراق على الغصون مع الأشكال الهندسية المتعددة (Grabar, 1973; Burck hardt, 1976) بشكل يدعو إلى الإيقاعية والتناغم ويطلق عليه (فكري) تسمية التوشيح العربي وعرفه بمايلي " هو أسلوب تتخلص مبادؤه في تنسيق الأشكال النباتية داخل مضلعات هندسية مجردة، وتتعانق فيها السيقان والأغصان، وتملتئ الفراغات، وتتكرر التموجات الخطية تكراراً تختلط فيه البداية والنهاية. ويتحقق فيه التماثل والحركة التوفيقية" (فكري، ١٩٦٧).

ويخضع لهذا النوع من الزخارف زخرفة التوريق ، والتي هي عبارة عن اشتمال الخط العربي (الكوفي) على أغصان مورقة ومزهرة بحيث تلتف هذه الأغصان على امتداد النص بطريقة هندسية، اعتماداً على التكرار والتعاقب والتبادل لملئ الفراغ والاستمرار إلى ما لا نهاية (Kuhnel , 1976 ;Baer, 1998)٠

وهناك نماذج إسلامية متعددة من فن الأرابيسك؛ ابتداءً من فسيفساء قبة الصخرة، التي احتوت زخارف الفسيفساء فيها على هذا النوع من الزخرفة والذي نفذ باتقان لم يسبق له مثيل؛ وقصر المشتى، إذ اشتملت المنحوتات الحجرية المتمثلة بواجهة القصر على نماذج الأرابيسك المنفذة بغاية الدقة والاتقان. وهناك العديد من نماذج هذا الفن كرسومات خربة المفجر ومحراب

الجامع الأموي. ومحراب جامع القيروان وغيرها (Kuhnel, 1976) .وفي العصر الفاطمي ابدع الفنانون بهذا النوع من الزخرفة على القطع والتحف الخشبية والمنابر، والقطع الرخامية.

وقد جاءت النماذج الايوبيية (على الرغم من قلتها) في الحرم الشريف مقلدة للنماذج الخشبية الفاطمية والسلجوقية (Grabar, 1973) والمتمثلة بالقطع الخشبية الأيوبية والأقصى المزخرفة بالحفر النافر بعناصر نباتية من أوراق الكرمة والاغصان التي تلتف عليها الأوراق وتزينها، والتي بدورها تؤطر العنصر الرئيسي في الزخرفة وهو وردة وورقة داخل شكل هندسي تابعين أو الشكل الخماسي.

ومن نماذج الأرابيسك الأيوبية في الحرم الشريف محراب المسجد الأقصى، الذي قوام الزخرفة فيه دوائر كبيرة ترتبط بأخرى أصغر بالإضافة إلى احتواء هذه الدوائر على أوراق الكرمة وقطوف العنب (شكل ٢٠ : ج) .

بالإضافة إلى قطع الرخام الأيوبية الموجودة على رقبة القبة، والتي تحتوي على زخارف نباتية تشتمل على أشكال لولبية عبارة عن ساق يتفرع منه انصاف ورقات النخيل باتجاهين متعاكسين. وفي أعلى الساق ورقة عنب خماسية يعلوها النخيل باتجاهين متعاكسين. وفي أعلى الساق ورقة عنب خماسية يعلوها ورقة نخيل قسمت إلى نصفين متساويين، وفي وسطهما كأس مملوء بالأوراق النباتية.

٤ – المقرنصات :

وهي جمع مقرنص، والمقرنص عبارة عن عنصر انشائي وزخرفي، يصنع من الحجارة التي تنحت وتجمع في أشكال ذات نتوءات بارزة تؤلف خلايا معمارية تتكون من صواعد وهوابط تشبه خلايا النحل، وتتدلى في طبقات تصطف بعضها فوق بعض في أماكن مختلفة من العمائر الإسلامية كأركان القباب، وشرفات المآذن، والواجهات والنوافذ والعقود والأعمدة

والزوايا وغيرها وهي نوعان هندسي تكعيبـــــــي والآخــــــــر علــى شكـــــــل حنايا (عبد الجواد ، ١٩٦٩; Baer1998 ; Burckhard 1976) وقــد عثر علـــى أول نمـــوذج للمقرنصات في نيسابور، والذي يمثل العمارة السلجوقية في إيران ويعود إلـــى فتـــرة القـــرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إذ استخدم المقرنص كعنصر انشـــائي وزخرفـــي . (Burckhardt, 1976)

كما أسلفنا فإن المقرنصات ذات غايات انشائية وزخرفية، فالإنشائية تســتخدم لتحويـــل السطح المربع إلى السطح المثمن وبالتالي إلى دائرة. وذلك في إقامة الشكل الـــدائري بواســـطة الحنايا الركنية (Squinches) لتسهيل بناء القباب، أما المقرنصات ذات الغاية الزخرفية فتكـــون عبارة عن خليات زخرفية تتدرج فوق بعضها البعض في واجهات الأبنيـــة وتيجـــان الأعمـــدة وبواطن عقود المداخل والأسقف الخشبية وغيرها (Baer, 1998)

أبدع الفنان الأيوبي في هذا العنصر الزخرفي، إذ أن معظم المقرنصات التي تعود لهذا العصر ذات غايات زخرفية، فتركوا لنا نماذج عديدة وفي بيت المقدس وما يهمنا هـــو الحـــرم الشريف، إذ حلي باب الناظر بالمقرنصات والذي جدد بناؤه خلال عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٠ هـــ / ١٢٠٣، وقد استعمل هذا العنصر كغاية زخرفية وإنشائية في آن واحد فمن ناحيـــة زخرفية ظهرت الحلى الزخرفية المصطفة فوق بعضها البعض والتي تشبه خلايا النحـــل، أمـــا الغاية الإنشائية فقد تمثلت في باب الناظر إذ تشكل في باطن عقد المدخل شكلاً مربعاً (والـــذي احتوى قوس داخلي وقوس خارجي) فأراد المعماري أن يحول الشكل المربع إلى الشكل الدائري بواسطة المقرنصات (انظر لوحة ٢١).

أما المقرنصات التي زينت منبر نور الدين زنكي فيعود إنشاؤها إلى العصر الفاطمي في سنة ٥٧٠هـــ / ١١٧٤م، وهي عبارة عن حلي زخرفية زين بها التاج الذي يعلو باب المنبر، وكذلك

التاج الذي يعلو كرسي الخطيب، وقد صنعت من الخشب، وكان صانعها قد خاف عليهـــا مـــن عوامل الزمن؛ إذ غطيت بطلاء من الذهب.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة حقبة تاريخية هامة شهدتها مدينة القدس زمناً مدته ٦٥ سنة وهــذه الحقبة هي العصر الايوبي في المدينة وقد قسمت الدراسة الى أربعة فصول بعد المقدمة ؛ ففــي الفصل الاول تم الحديث عن أهمية ومكانة المدينة عند المسلمين بالاضافة الى نبذة تاريخية عن المدينة منذ الفتح الاسلامي لها وحتى تعرضها للغزو الفرنجي ، أما الفصل الثاني فقــد تنــاول تاريخ المدينة في العصر الايوبي ، ثم بيان الدور القيادي والريادي الذي لعبــة الأيــوبيين فــي تحرير المدينة منتهجين نهج أسلافهم (الأمراء الزنكيين) ، وقد بدأ هذا الفصل بالحديث عــن الظروف التاريخيــة التــي أدت الــى تعــرض المدينــة للغــزو الفرنجــي وسقوطهــــــا أمامــــــــــــــه سنة (٤٩٢ هــ / ١٠٩٨ م) ، أما الفصلان الثالث والرابع فقد اختصــا بدراسة المخلفات والآثار الأيوبية في الحرم الشريف ؛إذ إنفرد الفصل الثالث بالحديث عن الاثار الايوبية بنوعيهــا الثابتة (العمارة بانواعها : الدينية والدفاعية والتذكارية ومباني الخــدمات) ،والمنقولة (القطع والتحف الخشبية ، القطع الرخامية) ٠ أما الفصل الرابع فقد أعطى مميزات هذه الآثار والمخلفات بعد ان تم الحديث في بدايته عن مميزات وخصــائص الآثــار والفنــون الإسلامية بشكل عام ،إذ تعتبر الاثار والفنون جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية ، وقد تــم التوصل الى النتائج التالية :

١ ــ عندما تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من دخول المدينة فاتحاً ومحــرراً لهــا مــن الفرنجة سنة ٥٨٣هــ/١١٨٧م،وكان ذلك بعد أن حقق النصر عليهم في طبرية وذلك في معركة حطين الشهيرة ، ولم تكن هذه الأحداث وليدة لحظاتها؛ إذ شكلت الحلقة المفقودة مــن الجهــود والأحداث التاريخية التي ابتدأت منذ حوالي أربعة عقود، إذ تمكن عماد الدين زنكي عندما كــان في الجزيرة الفراتية من القضاء على إمارة الرها الفرنجية سنة ١١٤٢م، ثم إتباع ابنه نور الدين على نهجه في مطاردة الإفرنج، والذي قام بحركات وسلسلة هجمات على المعاقل الفرنجية، بعد

أن شهدت بلاد الشام آنذاك توغلاً فرنجياً على أراضيها، فأحكموا سيطرتهم على ساحل بلاد الشام من طوروس شمالاً وحتى حدود مصر جنوباً فقام نور الدين بالسيطرة على مدينة دمشق سنة ١١٤٩م.

٢ ــ إن الدور القيادي الذي قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي بدأ منذ ١١٧٤م، وذلك بعد وفاة سيده نور الدين زنكي الذي خلف صبياً لا يتجاوز الثانية عشر من عمره، حيث قام السلطان صلاح الدين (بعد قدومه من مصر التي كان آنذاك وزيراً فيها) بالسير إلى دمشق، ووحد مصر والشام والجزيرة الفراتية، وهذه هي الطريقة المثلى التي يستطيع بها كسر شوكة الإفرنج، وردع أمراء البيت الزنكي الذي تنافسوا على الحكم.

٣ ــ إن هدف السلطان صلاح الدين من توحيد مصر والشام تحت قيادة واحدة، هو إحاطة بيت المقدس ومملكة اللاتين من جميع الجهات، وبالتالي يسهل عليه مهاجمة الإفرنج، سيما وأنه قد استولى على الثغور والموانئ على البحر الأحمر، البحر الأبيض المتوسط (في مصر)، لضمان عدم وصول نجدات أوروبية في حال حدوث حرب.

٤ ــ لقد امتد النفوذ الأيوبي ضمن مسافات شاسعة من الأقاليم الإسلامية، إذ بلغت حدود دولته من ليبيا غرباً إلى الموصل شرقاً، ومن أرمينيا في الشمال وحتى شبه الجزيرة العربية في الجنوب، وقد تمكن السلطان صلاح الدين من حشد قوات المسلمين من كافة الأقاليم في صيف (تموز ١١٨٧م)، وحدثت المعركة الشهيرة في طبرية (معركة حطين)، والتي من خلالها الوصول إلى بيت المقدس، فكان قضاؤه على فرسان الداوية والاسبتارية، ورجال القيادات العسكرية في مملكة بيت المقدس، هو الذي سهل هذه الغاية التي خطط لها منذ أكثر من عقد ونصف.

٥ ــ لقد تم دخول المدينة المقدسة في نفس السنة في ٢٦ أيلول ١١٨٧م/ ٢١ رجب ٥٨٣هـ. وشتان ما بين الطريقة التي دخل بها السلطان صلاح الدين المدينة، وتلك الطريقة

الوحشية التي دخلها فيها الإفرنج المدينة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، إذ دخلها سلماً بدون قتال، ضمن شروط نصت عليها الاتفاقية المعقودة بين الطرفين.وبعد أن خرج الإفرنج من المدينة، أراد السلطان أن يعيد المدينة المقدسة إعادة فعلية إلى طابعها الإسلامي المتغيب عنها مدة ثماني وثمانين سنة، وهذا شأن خلفائه من أبنائه وأخوانه، وقد شهدت القدس حركة عمرانية في عهد الملك المعظم عيسى.

٦ ــ من خلال الآثار الأيوبية في الحرم القدسي الشريف، نتبين نشاطاً عمرانياً ملحوظاً في المدينة خلال تلك الفترة، والتي تمثلت بالعمائر الدينية التي لطالما كانت أكثر من غيرها داخل أسوار الحرم الشريف، وذلك لأن الهدف هو إعادة الطابع الديني الإسلامي المنتهك في هذه المدينة منذ ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، فقد تم بناء المدارس الفقهية الشافعية، والزوايا وغيرها من المرافق، وهناك المباني المدنية كالمدارس، البيمارستان، ومباني الخدمات التي أقيمت بدورها لخدمة متطلبات الزائرين والمتعبدين في الحرم الشريف، أما المباني العسكرية، والتي شهدت ابتكارات خلال العصر الأيوبي في مصر والشام وصقلت الطابع المعماري الأيوبي بطابعها، فقد كان للمدينة نصيب من هذا النوع من العمارة، إذ قام السلطان صلاح الدين بإعمار السور وحفر خندقه ودعمة بالأبراج وذلك سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وذلك للتصدي لحملة فرنجية أرادت السيطرة ثانية على المدينة المقدسة.

٧ ــ لقد كانت المادة الأساسية في العمارة الأيوبية، استعمال مادة الحجر مما أكسبها قوة ومتانة، وكان الحصول على هذه المادة بتقطيعها من الصخر الطبيعي، بالإضافة إلى أنهم استخدموا حجارة استعملت خلال الفترة الفرنجية، وقد استخدموا عناصر إنشائية معمارية اسلامية والتي تأثرت أشد التأثير بالأساليب الفاطمية كالمقرنصات والصنج المعشقة والعقود المدببة والأعمدة الفرنجية؛ إذ استخدمت المقرنصات والصنج المعشقة كحلي زخرفية في أعلى

الأبواب، والأقواس المدببة في الواجهات لإعطاء الهيبة والفخامة لواجهات المساجد والمباني الهامة.

٨ ــ إن الزخارف والفنون على الآثار والمخلفات الأيوبية في الحرم الشريف وبالرغم من قلتها، اتخذت الطابع الزخرفي الإسلامي التقليدي ، الذي يعتمد على عنصر التكرار والمحورية والتماثل، والذي ظهر بجلاء على القطع الخشبية في المسجد الأقصى . وبشكل عام فقد تأثرت الزخارف الأيوبية بالزخارف الفاطمية ، وقد فرضت قدسية المدينة على الايوبيين أن يبتعدوا عن تصوير الكائنات الحية التي كانت من أهم مميزات فنون وزخارف الفاطميين ، وخاصة على الخزف .

قائمة المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم.
- الأبيض، أنيس، ١٩٩٤، **بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، الطبعة الأولى، جروس برس، لبنان.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، ١٩٦٣، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ١٩٧٩، **الكامل في التاريخ**، الأجزاء ٩-١٣، دار صادر، بيروت.
- الأنصاري، محمود، ١٩٨٩، **منبر نور الدين في بيت المقدس**، نشرة صادرة عن قسم أحياء التراث الإسلامي، النشرة رقم ١٣، دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، القدس.
- الأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن محمد القرشي الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، ١٨٨٨، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، طبعة ليدن، بريل.
- ١٩٧٩، **سنا البرق الشامي**/ اختصار الفتح، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- الباشا، حسن، ١٩٩٩، **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، أوراق شرقية، بيروت.
- برجاوي، سعيد، ١٩٨٤، **الحروب الصليبية في المشرق**، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، ١٩٧١، **سنا البرق الشامي**، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت.

- البيطار، أمينة، ١٩٨٢، **تاريخ العصر الأيوبي**، جامعة دمشق، دمشق.

- بيشه، غازي، ١٩٩٣، **الحرم الشريف وقبة الصخرة المشرفة في ضوء الحفريات والدراسات الحديثة**، يوم القدس، أبحاث الندوة الرابعة، عمان، الأردن، ص١٤٨-١٦٧.

- بهنسي، عفيف، ١٩٩٠، **العمارة والزخرفة في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي**، الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٤ القسم الثاني ، الطبعة الأولى، بيروت، ص٧٨١-٨٣٦.

- ١٩٩٥، **الأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها، يوم القدس**، أبحاث الندوة السادسة، منتدى شومان، عمان، الأردن، ص٧٧-٩٨.

- ابن تغربردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأتابكي(ت ٨٧٤ هـ) ،١٩٩٢، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٥، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

- التل، صفوان، ١٩٦٩، **الإنجازات والدراسات الأثرية الجديدة في الأردن**، حولية دائرة الآثار العامة، مجلد ٤، ص٢٩-٣٨.

- ١٩٨٣، **بناء وزخارف قبة الصخرة في القدس دراسة تحليلية**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عمان، ص١٤١-٢٠٣.

- ١٩٨٨ ، **الاثار العربية والاسلامية في الاردن** ، سلسلة التثقيف الشبابي ، وزارة الشباب في المملكة الاردنية الهاشمية ، عمان

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي (ت ٦١٤) ،١٩٦٤، **رحلة ابن جبير**، تحقيق حسن نصار، مكتبة مصر، القاهرة.

- الجنابي، كاظم، ١٩٧٨، **حول الزخارف العربية الإسلامية**، مجلة سومر، مجلد ٣٤، ص٤٦-٥٣.

- جوني، وفاء، ١٩٩٧، **دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين**، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.

- حسن، حميد محمد، ١٩٨٧، **العقود في العمارة العربية الإسلامية**، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢، ص٧٠-٨٢.

- حسن، زكي محمد، ١٩٥٦، **أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية**، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة.

- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، ١٩٧٩، **معجم البلدان**، ج٥- ٦ ، دار صادر، بيروت.

- الحنبلي، أبي اليمن القاضي مجير الدين العليمي (ت٩٢٨هـ/ ١٥٢١م)، ١٩٦٨، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، الجزء الثاني، المطبعة الحيدرية، النجف.

- ١٩٧٣، الجزء الأول، مكتبة المحتسب، عمان.

- الحنبلي ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ، (ت ٦٤٣ هـ) ، ١٩٨٥ ، **فضائل بيت المقدس** ، الطبعة الاولى ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق

- الحياري، مصطفى، ١٩٩٢، **القدس تحت حكم الصليبيين**، في، القدس في التاريخ، ترجمة وتحرير كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ص١٦٥-٢٠٢.

- ١٩٩٤، **القدس زمن الفاطميين والفرنجة**، مكتبة عمان، عمان.

- حيدر، كمال، ١٩٩٤، **العمارة العربية الإسلامية**، الخصائص التخطيطية للمقرنصات، دار الفكر اللبناني، بيروت.

- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، ١٩٧٨، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، الجزء السابع، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- خليل، مقبولة، ١٩٩١، **مدينة القدس في العهد الأيوبي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

- الدباغ، مصطفى مراد، ١٩٦٥، **بلادنا فلسطين**، الجزء الأول، القسم الأول؛ الجزء التاسع، القسم الثاني، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت.
- الدوري، عبد العزيز، ١٩٩٢، **القدس في الفترة الإسلامية الأولى من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر في القدس في التاريخ**، ترجمة وتحرير كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ص١٣١-١٦١.
- دونكان، اليستر، ١٩٩٢، **مناقشة عرض شريط تلفزيوني عن الحرم القدسي الشريف**، يوم القدس، الندوة الثالثة، عمان ص٤٩-٥٨.
- أبو دية، عدنان، ٢٠٠٠، **الزوايا الصوفية في مدينة الخليل في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، القدس.
- رجب، محمد غازي، ١٩٧٢، **المسجد الأقصى بالحرم الشريف ببيت المقدس**، مجلة سومر، مجلد ٢٨، ص١٣٣-١٤٥.
- ١٩٧٥، **المنبر في العصر الإسلامي الأول**، مجلة سومر، مجلد ٣١، ص ٢٢١-٢٣٠.
- الريحاوي، عبد القادر، ١٩٩٠، **العمارة في الحضارة الإسلامية**، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
- رنسيمان، ستيفن، ١٩٩٧، **الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت.
- زكار، سهيل، ١٩٨١، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، الطبعة الأولى، دمشق.
- ١٩٨٨، **إمارة حلب**، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، دمشق.
- زيادين، فوزي، ١٩٩٣، **آثار بيت المقدس من عهد الروم البيزنطيين وحتى صلاح الدين الأيوبي**، يوم القدس، أبحاث الندوة الرابعة، عمان، ص ١١٣-١٣١.

- سالم، السيد عبد العزيز، ١٩٦٣، **القيم الجمالية في فن العمـــارة الإســـلامية**، محاضـــرات الموسم الثقافي الثالث لجامعة بيروت العربية، لبنان.

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلـــي التركـــي (ت٦٥٤هــــ/ ١٢٥٦م)، ١٩٥١، **مرآة الزمان من تاريخ الأعيان**، ج٨، ق١، طبعـــة دائـــرة المعـــارف العثمانية، حيدر آباد ، الهند .

- ١٩٥٢، ج٨، ق٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.

- سترانج، لي ١٩٧٠ ، **فلسطين في العهد الإسلامي**، الطبعة الأولى، ترجمة محمود العمايرة، وزارة الثقافة والإعلام، عمان.

- شافعي، فريد، ١٩٧٠، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

- شاندور، ألبير، ١٩٩٣، **صلاح الدين البطل الأنقى في الإسلام**، الطبعة الثانية، ترجمة سعيد أبو الحسن، تحقيق نديم مرعشلي، طبعة دمشق، دار طلاس.

- إبن شداد ، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢ هــ)، ١٩٩٤، **النـــوادر الســـلطانية والمحاسن اليوسفية** المسماة بسيرة صلاح الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- شعث، شوقي، ١٩٩٣، **التراث المعماري في القدس الشريف بالعهـــد الأيـــوبي ووســـائل صيانته وترميمه**، بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي فـــي إطـــار الحـــوار الإسلامي – المسيحي، منشورات أيسسكو، الرباط.

- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بـــن إبـــراهيم المقدســـي الدمشـــقي (ت ٦٦٥هــ)، ١٩٩٧، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصـــلاحية**، الأجـــزاء ١-٤، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- شراب، محمد محمد، ١٩٨٧، **معجم بلدان فلسطين**، الطبعة الأولى، دار المأمون للتـراث، دمشق، بيروت.
- ١٩٩٤، **بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة**، دار القلم، بيروت.
- الصوري، وليم، ١٩٩٤، **تاريخ الحروب الصليبية تاريخ الأعمال فيما وراء البحار**، الجزء الثاني، ترجمة سهيل زكار، بيروت.
- طقوش، محمد سهيل، ١٩٩٩، **تاريخ الزنكيين في الموصل وبـلاد الشـام**، دار النفـائس، بيروت.
- العارف، عارف، ١٩٥١، **تاريخ القدس**، دار المعارف، مصر.
- ١٩٥٥، **تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس**، مطبقة دار الأيتام، القدس.
- ١٩٦٠، **المفصل في تاريخ القدس**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعـة دار المعـارف، القدس.
- عاشور، سعيد، ١٩٧٤، **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، في المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر الهجري، الطبعة الأولى، الجامعة الأردنية، عمان، ص٢١٩-٢٤٤.
- ١٩٨٢، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسـطى**، الأجزاء ١، ٢، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- العبادي، أحمد مختار، ١٩٩٥، **في تاريخ الأيـوبيين والمماليـك**، دار النهضـة العربيـة، بيروت.
- عبد الجواد، توفيق، ١٩٦٩، **تاريخ العمارة في العصور المتوسطة**، مصر.

- عبد المهدي، عبد الجليل، ١٩٨٣، **العلوم الدينية واللسانية في ظل المسجد الأقصى في العصريين الأيوبي والمملوكي**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عمان، ص١٤١-٢٠٣.
- عبد الوهاب، حسن، ١٩٤٦، **تاريخ المساجد الأثرية**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ابن العبري، غريغورس أبو الفرج بن أهروت (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، ١٩٥٨، **تاريخ مختصر الدول**، تصحيح وفهرسة الأب أنطون اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت.
- العسلي، كامل، ١٩٨١، **معاهد العلم في بيت المقدس**، الجامعة الأردنية، عمان.
- عكاشة، ثروت، ١٩٨١، **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة.
- عوض، مؤنس، ١٩٩٩، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، عين شمس.
- غالب، عبد الرحيم، ١٩٨٨، **موسوعة العمارة الإسلامية**، عربي، فرنسي، إنجليزي، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت.
- غوانمة، يوسف درويش، ١٩٨٢، **إمارة الكرك الأيوبية**، مطبعة دار الفكر، عمان.
- غوشة، محمد هاشم ، ١٩٩١، **بوابات القدس**، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان.
- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، ١٩٢٤، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ١٩٩٥، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.
- فكري، أحمد، ١٩٦١، **المدخل إلى مساجد القاهرة**، ومدارسها، دار المعارف، مصر.
- ١٩٦٥، مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة.

- ١٩٦٧، **التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوروبية**، مجلة سومر، المجلد الثالث والعشرون، ص٦٧-٩٤.

- الفني، إبراهيم، ١٩٩٧، **التسوية الشرقية للمسجد الأقصى (المصلى المرواني)**، مركز القدس للأبحاث، القدس.

- قاجة، جمعة، ٢٠٠٠، **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق.

- ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت٥٥٥ هـ/١١٦٠م)، ١٩٨٣، **المذيل على تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان، دمشق.

- قلعجي، قدري، ١٩٩٢، **صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد**، بيروت.

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، ١٩٧٧، **البداية والنهاية**، الأجزاء، ١٢-١٣، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت.

- الكواكبي، سعد زغلول، ١٩٧٨، **منبر المسجد الأقصى**، حولية عاديات حلب، العددان الرابع والخامس، ص ٣١-٥٦.

- لتل، دونالد، ١٩٩٥، **القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك**، في، القدس في التاريخ، ترجمة وتحرير كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ص٢٠٣-٢٣٠.

- لجنة يوم القدس، ١٩٩٦، **القدس أمانة في عنق كل عربي ومسلم**، الندوة السابعة، عمان، الأردن.

- ماهر ، سعاد، ١٩٨٥، **العمارة الإسلامية على مر العصور**، الطبعة الأولى، دار البيان، جدة.

- مارسيه، جورج، ١٩٦٨، **الفن الإسلامي**، ترجمة عفيف بهنسي، وزارة الثقافة والسياحة والآثار والإرشاد القومي. دمشق.
- محمود، شفيق جاسر، ١٩٨٤، **تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي**، الطبعة الأولى، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان.
- المدني، زياد، ١٩٩٦، **مدينة القدس وجوارها خلال ١٢١٥-١٢٤٥هـ/١٨٠٠-١٨٣٠م**، الطبعة الأولى، منشورات بنك الأعمال، عمان.
- مشتت، صباح ويحيى، وضاح، -١٩٩، **الخصائص التصميمية للمداخل في العمارة الإسلامية**، صنعاء.
- مصطفى، صالح لمعي، ١٩٧٥، **التراث المعماري الإسلامي في مصر**، جامعة بيروت العربية، بيروت.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت ٨٤٥هـ)، ١٩٩٧، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت.
- المقدسي، شهاب الدين أبي محمود إبن تميم ، (ت ٧٦٥هـ)، ١٩٩٤، **مثير الغرام لزيارة القدس والشام**، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ) ، ١٩٥٦، **معجم لسان العرب**، الأجزاء، ١١، ٥ دار صادر، بيروت، بيروت.
- المومني ، سعد ، ١٩٨٥ ، **القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية المملوكية** ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، عمان ٠
- مؤنس، حسين، ١٩٨٢، **العمارة والفنون في دولة الإسلام في المساجد**، دار المعرفة الكويتية، الكويت.

- ١٩٨٤، **نور الدين محمود سيرة مجاهد وصادق**، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر، جدة.
- النابلسي، عبد الغني، (ت ١١٤٣م)، ١٩٩٢، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، الطبعة الأولى، تحقيق ودراسة أكرم الحلبي، دار المصادر، بيروت.
- نجم، رائف وآخرون، ١٩٨٣، **كنوز القدس**، الطبعة الأولى، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان.
- د.ت، **إحراق المسجد الأقصى المبارك**، المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، ص١-٧.
- نوري، دريد، ١٩٧٦، **سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ٥٧٠-٥٨٩ هـ/١١٧٤-١١٩٣م**، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، **الموسوعة الفلسطينية** الأجزاء ٣ - ٤، الطبعة الأولى، دمشق.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، ١٩٥٣، **مفرج الكروب في إخبار بني أيوب**، الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة أحياء التراث القديم، وزارة المعارف المصرية، دار الثقافة العامة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة.
- ١٩٥٧، الجزء الثاني، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة أحياء التراث القديم، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة العامة، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- ١٩٦٠، الجزء الثالث، تحقيق جمال الدين الشيال، دار القلم، القاهرة.
- ١٩٧٢، الجزء الرابع، تحقيق حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر.
- ١٩٧٧، الجزء الخامس، تحقيق حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر.

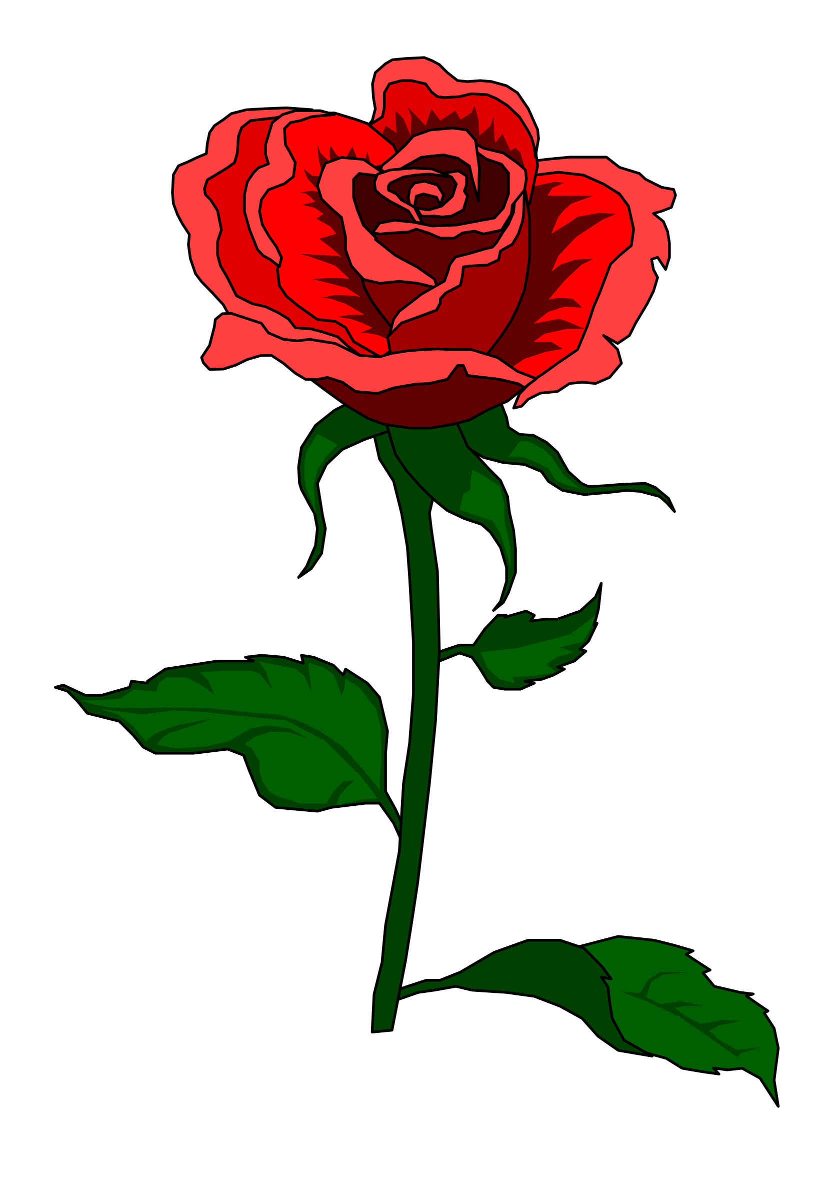
- وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، د.ت، **منبر صلاح الدين الأيــوبي**، تقريــر غير منشور.

- وزيري، يحيى، ١٩٩٩، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، مصر.

- يوسف، حمد أحمد عبد الله، ١٩٨٢، **بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولـــة الأيوبية**، دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، القدس.

الملاحق

ملحق (١) الخرائط
ملحق (٢) اللوحات
ملحق (٣) الاشكال



قائمة المراجع الأجنبية :

- Al-Abed, B, 1992, **Aspects of Arabic Islamic Architectural Discourse**, Proefschrift ter Verkrijging Van de Graad Van Doctor aan de Technische Universiteit Delft.
- Baer, E, 1998, **Islamic Ornament**, Edinburgh University Press, Edinburgh.
- Berchem, M , V , 1922, **Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum**, Imprimerie De l'Institut Francais, Le Caire.
- 1925, **Materiaux Pour un Corpus Inscription Arabicarum** (Jerusalem-Haram), Imprimerie De L'Institute Francais, Le Care.
- 1927 **Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum,** Deuxieme Partie, Syrie du Sad (Jerusalem-Haram) Imprimerie de l'institut Francais, Lecare.
- Bienkowski, P, 1991, **The Art of Jordan,** First Published, National Museums and Gallaries on Merseyside, United Kingdom.
- Buhl, F, 1927, **"Al-Kuds"**, Article, in The Encyclopedia of Islam, Vol. II, PP. 1094-1104.
- Burckhardt, T, 1976, **Art of Islam Language and Meaning** World, of Islamic Festavel, Publishing Company Ltd.
- Burgoyne, M, H, 1987, **Mamluk Jerusalem**, World of Islam Trust.
- Creswell, K.A.C, 1969, **Early Muslim Architecture,** Ummayyads A.D. 622-750, second edtion, Vol., 1, Oxford, at the Clarendon Press.
- Dimand, M.S, 1958, **a Hand Book of Muhammadan Art**, Third Edition, The Metropolitan Musum of Art, New York.
- Duncan, A, 1972, **The Noble Sanctuary**, Longman Group, London.
- Ettinghausen, R. & Grabar, O, 1987, **The Art and Architecture of Islam** 650-1250A.D, Pengium Group.

- Fletcher, B, 1959, **a History of Architecture**, B.1, Bast ford, LTD, London.
- Grabar, o, 1973, **The Formation of Islamic Art**, Yale University Press, New Haven and London.
- 1978, **Architcuture and Art**, in the Ginius of Arab Civilization – Source of Renaissance; J.R (editor); Phaidom; PP، 91-92.
- Grabar, O & Nuseibeh, S, 1996, **The Dome of the Rock**, First Published, Thames and Hudson Ltd., London.
- Greene, th, M, 1965, **The Art and The Art of Architecture**, Princeton, University Press, Princeton, London.
- Hill, D. & Grabar, O, 1967, **Islamic Architecture and its Decoration**. AD800-1500, London.00000
- Hill, D, 1964, **Islamic Architecture and its Decoration**, Faber and Faber, London.
- Hillenbrand, R, 1985, **"Eastern Islamic Influnces inSyria**": Raqqa and Qala't Ja'abar in the later 12th. Century, in the Art of Syria and the Jazira 1100-1250A.D, Edited by Julian Raby, Oxford Studies and Islamic Arts, oxford university, PP. 21-48.
- Hillenbrand, C, 1999, **The Crusaders Islamic Perspective**, Edinburgh, University Press.
- Houtsma, et.al, 1936, **"Minbar"**, in , The Encyclopedia of Islam, Vol. III Adictunary of the Geography, Ethnography and Biography of the Mohammaden Peoples, Leiden, Brill, PP. 499-500.
- Kuhnel, E, 1976, **The Arabesque Meaning and Transformation of an Ornament**, Translated from the origin text in German by Richard ettinghausen, Graz-Austria.
- Rice, D, 1965, **Islamic Art**, Thames and Hudson ,London.

- Rosen, A, M, 1974, **Notes on a Particular Technique of Architectural Decoration**, Israel Exploration Journal, Vol. 9, No. 3-4, PP. 233-235.
- Schaefer, K, 1985, **Jerusalem in the Ayyubid and Mamluk Eras**, PH.D, New York university.
- Tell, S., 1982, "**Early Islamic Architecture in Jordan**", In, Studies in the History and Archaeology of Jordan, Vol. 1, Published by the Department of Antiquities of Jordan, Amman, PP. 323-329.
- Al-Tibawi, A, 1978, **The Islamic Pions Foundations in Jerusalem**, The Islamic Cultural Center, London.
- Tonna, J, 1990, **The Poetics of Arab Islamic Architecture**, in, Muqarnas, an Annual of Islamic Art and Architecture, Vol.7, PP. 183-198.
- Yadin, Y, 1976, **Jerusalem Revealed**, New haven and London, Yale University Press and Israel Exploration Socity.

Abstract

Archaeology and History of Al-Haram Al- Shareef in Jerusalem, During the Ayyubid Period (564 – 648 A.H / 1165 - 1250 A.D)

By

Maha A. Al-Daghesh

Supervisor

Prof. Safwan Kh. Tell

The study deals with the history and archaeology of Al-Haram Al-Shareef in Jerusalem during the Ayyubid period (564 – 648 A.H / 1250 A.D). This study aims to highlight the cultural political and leadership role which Ayyubids began with Salah El- Ddin , that Culminated with freeing Jerusalem from Crusaders occupation (Latin Kringdom) which lasted 88 years to be the capital of this Kingdom.

The study contains four chapters including an introduction and a conclusion. Chapter one talks about the Geography and Islamic history of Jerusalem, and its Importance in Islam , chapter two deals with the city's occupation in 492 A.H / 1099 A.D and the role of the Ayyubids. Chapter three highlights the issue of Ayyubid Archaelogical remains in

Al-Haram Al- Shareef, both fixed and moved remains. Finally, it deals with Islamic Art and Architecture represented in the city.

The study highlights the importance of the political role of the Ayyubids in freeing the city of Frankish occupation. It shows additions artistic and architectural (and their characteristics) achievements in the city during the ayyubids period.